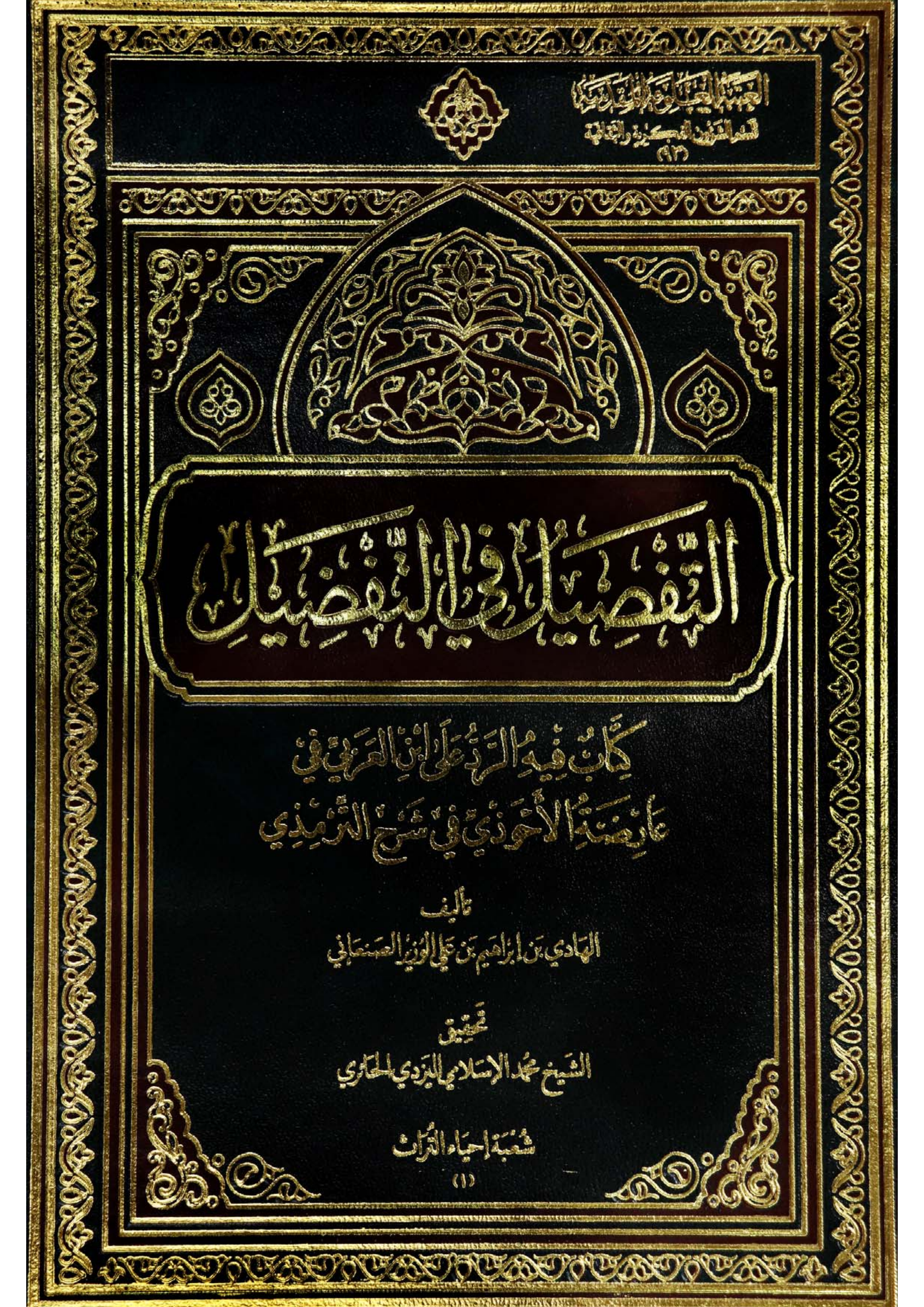
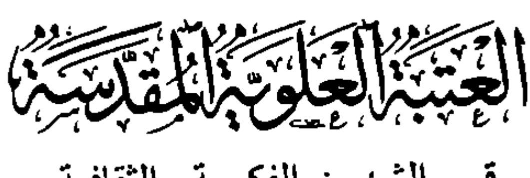

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
(٩٣)
التفصيل في التفضيل
كتاب فيه الرد على ابن العربي في
عارضة الأحوذي في شرح الترمذي
تأليف
الهادي بن ابراهيم بن علي الوزير الصنعاني
تحقيق
الشيخ محمد الاسلامي اليزدي الحائري
شعبة إحياء التراث
(١)



قسم الشؤون الفكرية والثقافية

(٩٣)

التفصيل في التفضيل

كتاب فيه الرد على ابن العربي في عارضة الأحوذي في شرح الترمذي

تأليف

الهادي بن إبراهيم بن علي الوزير الصنعاني

تحقيق

الشيخ محمد الإسلامي اليزدي الحائري

شعبة إحياء التراث والتحقيق

(١)



اسم الكتاب: التفصيل في التفضيل

تأليف: الإمام الهادي بن ابراهيم بن علي الوزير

تحقيق: الشيخ محمد الإسلامي اليزدي الحائري

الناشر: العتبة العلوية المقدسة/ قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ شعبة إحياء التراث والتحقيق

الاخراج الفني: كفاح حسن الدجيلي

سنة الطبع: ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٠٠) لسنة ٢٠١١م

www.imamali-a.net
info@imamali-a.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده ويمتري العظيم من فضله ونداه، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين مصابيح الدجى ومنار الهدى، لا سيّما بقية الله في الأرضين مولانا قطب دائرة الإمكان صاحب العصر والزمان أرواحنا لتراب مقدمه الشريف الفداء.

وبعد ...

ففي الوقت الذي يزف فيه قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة هذا النتاج بحلته هذه إلى القراء؛ فإننا نمد كف الضراعة إلى المولى تعالى سائلين أياه أن يسدد يراع زملائنا في شعبة إحياء التراث والتحقيق لتقديم كل ما هو رائع ونافع لخدمة شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، فإنه ما أن انقشعت غيوم الطغيان والدكتاتورية البغيضة عن سماء عراق أهل البيت عليهم السلام؛ حتى نهدت العتبات المقدسة بقياداتها وإداراتها الجديدة بمهمة النهوض بالمستوى الفكري والثقافي لأبناء الإسلام العظيم مضطلعة بحمل هذا العبء عن طريق نشر وتحقيق المؤلفات التي تصب في خدمة الإنسان والإنسانية بكل بعد من أبعادها.

وما شعبة إحياء التراث والتحقيق إلا نافذة من النوافذ التي يراد لها أن تكون عاكسة بحق لأنوار العترة المحمدية.

وهذا الكتاب الذي بين يدي قرائنا يمثل واحداً من اصداراتها، حيث تظافرت جهود الأخوة في الشعبة المباركة على اخراجه بهذه الصورة، والله نسأل أن تنال هذه الجهود رضا صاحب هذه البقعة المباركة ثم رضا كل من تصفح هذه الأوراق ليستمد نوراً من ضياء امير المؤمنين عليه السلام فإن كان ثمة نقص فان العصمة لأهلها وأبوابنا مشرعة لتلقي كل ما يقوّم أعمالنا من إشاراتِ وإفاضاتِ أصحابِ الفضيلةِ من العلماء والباحثين.

ومن الله نستمد العون وهو حسبنا ونعم الوكيل متوسلين بباب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون هذه الجهود في ميزان حسناتنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن المؤبّد على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

٦ / ٢ / ٢٠١٤

٦/ ربيع الأخر/ ١٤٣٥

النجف الأشرف

مقدمة شعبة إحياء التراث والتحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على أشرف الخلق أجمعين محمد الامين وآله الطاهرين.

من الوضوح بمكان غزارة الارث المعرفي الاسلامي بعامة، والشيعي بصورة خاصة، وازدهار المكتبة الاسلامية بالمطبوعات في مختلف حقول المعرفة، ما يعكس المساحة العظمى التي منحها الاسلام للفكر، واهتمام المسلمين به أيّما اهتمام، ولا عجب، فهم أمة "إقرأ"، الذين بعث الله تعالى فيهم رسولا منهم، تلا عليهم آياته وزكّاهم وعلّمهم الكتاب والحكمة، وللناظر ان يجول بناظره في مكتبة من المكتبات ليرى دليل ذلك، فالأعداد تنأى عن العدّ، وتنوعها المعرفي يفوق الحد.

ولكن العجب من بقاء ما يناهز هذا العدد ـ ان لم يتعداه ـ قيد الحجب، لا ترى عين باحث إليه سبيلاً، ولا فكر مفكر عليه دليلاً، يستأنس بالتراب بدل نظرات الطلاب، ويتوسد الرفوف عوض الكفوف، وكأنه ما أُلّف الا لمؤلفه ومن عاصره، فيعيش بعيشهم، ويموت بموتهم، الأمر الذي تكون معه مسؤولية إخراجه من ظلمات المخازن والرفوف حتماً على كل من استطاع إليه سبيلاً.

فنهض بأعباء هذه المسؤولية رجال أخذوا على عاتقهم مهمة متابعة هذا التراث الثر تنقيباً وفهرسةً وتحقيقاً ونشراً، ليلبسوا نفائسَه من الحُلل أبدعها ومن الأساليب أروعها، فرفدوا المكتبة الاسلامية بكتب ومؤلفات لم تكن ترى النور لولا جهودهم، فحفظوا بذلك علماً كان في معرض الضياع، وخلدوا اسماء مؤلفيها ومؤلفاتهم،

خدمة للعلم، جعل الله تعالى ما عانوه ويعانونه في ميزان حسناتهم، ان الله لا يضيع أجر المحسنين.

ولما كان الطريق طويلاً، والنهوض بهذه المسؤولية يحتاج إلى تضافر الجهود، وإسهاماً في تقديم ما يمكن تقديمه من إمكانات خدمةً لهذا الهدف الجليل قامت العتبة العلوية المقدسة بإنشاء "شعبة إحياء التراث والتحقيق" لتتكفل بالعمل على محورين، هما:

أ: تحقيق المخطوطات وتقديم الخدمات للمحققين، بدءاً من تهيئة مصورات المخطوطات وانتهاءً بطباعة الاعمال التحقيقية، وذلك من خلال وحدة إحياء التراث المخطوط التي أعدّت قاعة مجهّزة بمكتبة تضم ما يحتاجه المحقق في عمله من مصادر أولية وكتب متنوعة أخرى، كما جُهّزت بحواسب (كومبيوتر) حديثة، الى غير ذلك مما هو ضروري لعمل المحققين.

ب: متابعة التراث المطبوع والعمل على تحقيقه وإعادة طباعته ونشره: وذلك من خلال وحدة إحياء التراث المطبوع التي تعنى بمتابعة الكتب المطبوعة قديماً وإعادة طبع ما يكون في معرض حاجة المجتمع الان بعد تحقيق ما يحتاج الى تحقيق منه.

ومن دواعي السرور ان يكون باكورة أعمالها نشر مجموعة قيمة من الأعمال التحقيقية، منها العمل التحقيقي للمخطوطة النفيسة الموسومة بـ" التفصيل في التفضيل" لمؤلفها الشيخ الهادي بن ابراهيم بن علي الوزير الصنعاني (٧٥٨ـ٨٢٢هـ)، بتحقيق فضيلة الشيخ محمد الاسلامي الحائري دام تأييده، الذي لم يأل جهداً في إخراجها بهذه الحلة القشيبة، سائلين الله له ولنا وللعاملين دوام التوفيق، انه وليّ ذلك، وله الحمد اولاً وآخراً.

شعبة إحياء التراث والتحقيق في

العتبة العلوية المقدسة

يوم الغدير المبارك من العام ١٤٣٣هـ

الإهداء

أهدي هذا المجهود المتواضع إلى من غذاني بأخلاق الولاء الصادق لأهل بيت الوحي والرسالة، ورسم لي نهج سلوك طريق العلم الذي يرفع أهله في الدنيا والاخرة، سماحة الوالد المقدس آية الله الحاج الشيخ غلام حسين اليزدي الحائري قدس الله روحه ونور ضريحه.

ولدك محمد



مقدّمة المحقق:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين المعصومين الأئمّة المنتجبين، وعلى أوليائهم الأخيار المهتدين، واللعن الدائم على أعدائهم ومبغضيهم الظالمين الضالّين من الآن إلى قيام يوم الدين.

وبعدُ، فإنّ الظلمَ هو وضعُ الشيء في غير موضعه، وفي المثل: «من استرعى الذئبَ فقد ظَلَمَ»[1] هذا في اللغة، وأمّا قضيته في الحياة فقد كان الظلم والظالم والمظلوم، ولا يزال يكون! ومقابله قضيّة العدل والعدالة والعادل؛ فهما مقولتان مُتقابلتان، ومُتضادتان، لا تجتمعان.

وبعثَ اللهُ تبارك وتعالى الأنبياءَ والرُسُلَ لِلحثّ على العدل والعدالة، والزجر عن الظلم والظالمين.

فمنذُ خلق اللهُ تبارك وتعالى آدمَ عليه السلام وأمرَ الملائكةَ بِالسُجُودِ لهُ، واستكبرَ عليه إبليسُ؛ ظلمه وأنكر فضله وطغى عليه.

وهكذا سرتْ مادّةُ الظلم إلى حياة البشر، من أخلاق ووساوس شيطانيّة.

فأوّلُ الظالمين من بني آدم هو قابيلُ الّذي ظلمَ أخاهُ وعاداهُ وحسدهُ وقتلهُ.

---

(١) المصباح المنير للفيومي: ٣٨٦.

وهكذا فَشَتْ قصّةُ ظلم الظالمين عبر القُرون ومُحاربتهم للعدل والعادلين من الأنبياء والمرسلين والصالحين، ومذكورةٌ في القرآن الكريم؛ يعرفه كلّ قارئ للقرآن المجيد.

وللظلم أقسام ودرجات وشدّةٌ وضعفٌ. ومن الظلم الفاحش هو نسبة الفضل لغير أهل الفضل، أو سلب الفضل من أهل الفضل.

وابن العَرَبيّ في مقالته هذه هو أحدُ الظالمين لأمير المؤمنين عليّ بن أَبِي طالِب عليه السلام حيث رام سلب فضائل إمام الفضائل أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وسار على نهج أسياده وأوليائه من بني أُميّة الذين ظلموا النَبيّ وآله ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ منذُ بدء الرسالة والدعوة الإلهيّة، وأَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو أوّل المظلومين بعد النَبيّ صلى الله عليه وآله.

وأشار ابن أبي الحديد إلى جملة من أقواله عليه السلام المتواترة في هذا المجال مثل قوله عليه السلام: «ما زلتُ مظلوماً منذُ قَبَضَ اللهُ رسوله حتّى يوم الناس هذا».

وقوله عليه السلام: «اللهمّ اخز قريشاً، فإنّها منعتني حقّي وغصبتني أمري».

وقوله عليه السلام ـ وقد سمع صارخاً ينادي أنا مظلوم ـ فقال عليه السلام: «هلمّ فلنصرخ معاً فإنّي ما زلتُ مظلوماً»، وقال عليه السلام: «ما زلت مستأثراً عليَّ مدفوعاً عمّا استحقّه واستوجبه».

وقوله عليه السلام: «أرى تراثي نهباً».

وقال عليه السلام أيضاً: «فجزى قريشاً عنّي الجوازي فإنّهم ظلموني حقّي واغتصبوني سلطان ابن أُمّي»[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

ولم يكتف الأُمويون بالحقد فقط، بل سعوا سعياً دؤوباً في طمس فضائل الإمام عَلِيّ عليه السلام وكانوا يهدّدون كلّ من تحدّث بمناقبه[١] وإلى يومنا هذا.

وهذا الّذي دفع الكثيرين إلى التساؤل... لِمَ؟!

ولا تعبير أبلغ لجواب لهذا السؤال من قول مروان للإمام عَلِيّ بن الحُسَين عليه السلام عندما سألَهُ عن مغزى الإصرار على شتم علي عليه السلام على المنابر، من قوله: «لا يستقيمُ لنا هذا؛ إلاّ بهذا»[٢].

نعم، كما لا يستقيمُ الأمرُ لأتباعهم إلاّ بتكفير الشيعة وإباحة دماء أتباع عَلِيّ عليه السلام.

والمؤلّفُ لكتابنا هذا، العلاّمةُ السيّدُ الهادي بنُ إبراهيم الوزير، إنّما قام بالردّ على ابْن العَرَبِيّ دِفاعاً عن الإمام المظلوم عَلِيّ بن أَبِي طالِب عليه السلام فجزاهُ اللهُ أحسنَ الجزاء؛ فإنّهُ قام بِجهاد عظيم، وفازَ بِفضلِ ما في الحديث: «مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء».

وقد قال في آخر الكتاب «ما كان تأليفي له إلاّ حميّة على أَمِير المُؤْمِنِيْنَ وسيّد الوصيّين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، جمّ الفضائل والمناقب قصارى بغية الطالب أبي الحسن عَلِيّ بن أَبِي طالِب عليه السلام حين فضّلَ عليه أبا بكر في عِلْمِهِ وفَضْلِهِ وزُهْدِهِ وسَخائِهِ وشَجاعَتِهِ وتَدْبِيرِهِ، وغير ذلك من المنازل التي ذكرها!!؟.

وعرفتُ أنّ ذلك منه كان غمصاً لمن فضّله اللهُ ورسولُه، وحميّةً منه على مذهبه، وخشيتُ أنْ يراهُ من يتوهّمُ صِدْقَهُ في وقيعته، وينخدعَ بِسَرابِ قِيعته، فيحسبَ ضَبابَهُ سُحّاً، وسَرابَهُ شَراباً، وخَزَفَهُ ذَهباً، وتمويهَهُ مَذْهباً، وزُورَهُ صِدْقاً، وباطِلَهُ حَقّاً، وحَيْفَهُ عَدْلا، وجَوْرَهُ فَصْلا، وفُضُولَهُ فَضْلا، فيجترّه

---

(١) الإصابة لابن حجر: ج٢/ ٥٠٧.

(٢) أنساب الأشراف ج٢/ ١٨٤.

بزمامِ غِوايتهِ، ويَشْتري الضلالَةَ بهدايته، ويَبْتاع الجهالَةَ بِدِرايَتِهِ، ويظنّ بجهلِهِ أنّهُ هَداهُ، ولا يعلمَ بحقيقةِ عِلمِهِ أنّهُ أرداهُ، وإنّما يؤتى الناسُ من العُلماءِ، وقد قال ﷺ: «قَطَعَ ظَهري اثنانِ: جاهِلٌ يغرّ الناسَ بِنُسكِهِ، وعالِمٌ مُنْهَمِكٌ في فِسْقِهِ»، وإنّما كان ضلالُ أكثرِ هذهِ الأمّةِ لتقليدِ عُلماءِ السُوءِ الّذين جَحَدُوا فضلَ الذُرّيّةِ، ومالُوا بِأتْباعِهِم غيرَ مذهب العترةِ الزكيّة، وعَدَلُوا بهم عن البَحْرِ الزَخّارِ إلى ركيّة، وأوقعوهم في المهاوي السحيقةِ، وصرفُوهم عن الأخذِ في فَهْمِهم بالحقيقةِ، والاعتصامِ بالعُروةِ الوَثيقَةِ.

فنجدُهُم مُصرّحينَ بِسُيوفِ تقليدِ الأسْلافِ، مُرضعين دُعافِ أخْلافِ الخِلافِ.

فرأيتُ أنْ أُزيلَ من كلام ابْن العَرَبيّ تَمْوِيهَهُ، وأميطَ من شُبَهِهِ تشْبِيهَهُ، لِيَقِفَ حيثُ وقفهُ دليلُ التفضيل خاسِئاً، ويذوقَ وَبالَ أمرِهِ، ويتحسّاهُ إنْ كان لابدّ حاسِئاً.

والكلامُ هذا موجّهٌ إلى من اعتقدَ عقيدَتَهُ، وأوضعَ إلى ما أوضعَ من المحال مطيّتَهُ، ولَسْنا ـ بحمد الله ـ نُسرِفَ في التفضيل، ولا نتعدّى ما وردَ بِهِ الدليلُ، ولا نجهلُ ما لِلصحابة من الفضلِ المشهورِ، والعملِ المبرورِ، والجهادِ المرضِيّ، والطريق النبويّ، بل نوقفُ كلّ أحد في درجته، ولا نتجاوزُ بِهِ فوق رُتبتِهِ، ونقول: لكلّ منهم فضلٌ، ولأبي الحسن «وخيرُ الأمور أوسطها» والتوسّطُ فيهم هو القولُ الحسنُ، فنحنُ لحقّهِم راعُون، ولفضلهم مُراعُون، ولتفضيلِ أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام مُظهِرُون، ولِهذا القولِ بِالكتابِ والسُنّةِ مُنتصِرُون، ولِكلامِ ابْن العَرَبيّ ناقِضُون، ولِثوابِ اللهِ على ذلك مُتعرِّضُون، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وسلامٌ على عباده الّذين اصطفى، ولا حولَ ولا قُوّةَ إلاّ بِاللهِ العَلِيّ العَظِيم.

فنقول له: هذا وجزاكَ اللهُ أحسنَ الجزاء.

وقد قُمنا بتحقيق هذا الكتاب اعتماداً على نسختين:

النسخةُ الأولى: مخطوطة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء في اليمن كتبت سنة ١٠٦٣هـ جاء في صفحة العنوان منها ما نصّه:

كتاب التفضيل في التفضيل ألّفه ردّاً على أبي بَكْر ابن العَرَبِيِّ، تأليف السيِّد الإمام، الهادي بن إبراهيم بن عليّ بن المرتضى بن مفضّل الهادويّ بلّ الله بوابل الرحمة ثراهُ، ورحم مثواهُ كانتْ وفاتُهُ سنةَ اثنتين وعشرين وثمانمائة وقبرُهُ بِلِمار.

وتحت هذا ختم منقوش فيه: من وقف الخزانة المتوكّليّة بالجامع المقدّس بصنعاء. وتحته:

الحمد لله، من جملة الكتب الموقوفة للانتفاع بها الّتي أمر مولانا الإمام أمير المؤمنين المتوكّل على الله ـ حفظه الله وأحيى به معالم الدين ـ بوضعها في المكتبة الجامعة لكتب الوقف الّتي أمر بعمارتها عَدَنِيّ الصومعة الشرقيّة بالجامع الكبير بمدينة صنعاء، بتاريخه شهر محرّم سنة ١٣٥٥هـ.

وجاء في نهايتها ما صورته: فرغ من تحريره بحمد الله تعالى وتيسيره وإعانته عصر يوم الأحد ٢٣ شهر رمضان الكريم سنة ١٠٦٣هـ.

وهي من المجموعة رقم (١٤٧٦/ف) المحفوظة في المكتبة المذكورة حماها الله.

وقد طلبنا من الفاضل العلاّمة المحقّق السيّد عبد السلام عبّاس الوجيه، صورة هذه النسخة فأرسلها إلينا مُتفضّلاً، وفّقهُ اللهُ لكلّ خير وعافاهُ، وآتاهُ مُناهُ، بِجاهِ محمّد وآله الأطهار.

النسخة الثانية: مخطوطة كتبت في سنة ١٠٦٥هـ يبدو أنّها نسخة يمنيّة محفوظة في خزانة العلاّمة المحقّق المتتبّع الخبير الحجّة السيّد محمّد عليّ بن محمّد هاشم الموسويّ الأصفهانيّ المشتهر بالروضاتيّ تتئل، في مدينة أصبهان في الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران. وعلى طرّتها ما يلي:

كتاب التفصيل في التفضيل ألّفه ردّاً على أبي بكر القاضي المالكي صاحب التصانيف في الحديث والفقه والتفسير، السيّد الإمام العلاّمة البحر المحيط الأفضل الفهامة جمال الإسلام وجامع علوم العترة الكرام، الهادي بن إبراهيم بن عليّ بن المرتضى ابن الهادي إلى الحقّ يحيى بن الحسين بن القاسم ابن رسول الله ﷺ وحشرنا في زمرتهم، آمين.

نظر فيه العبد محمّد علي بن محمّد هاشم الموسوي المشتهر بالروضاتي الأصفهاني وفّقه الله تعالى لمرضاته.

وقد تفضّل السيّد الروضاتي دام فضله علينا بصورة منها، وتقع في ١٥٤ صفحة من القطع الكبير في ٣٤ سطر بمعدل ١٦ كلمة في السطر الواحد.

و كان عملنا في تحقيق الكتاب ما يأتي:

١. ضبط المطبوع بالمقابلة بالنسختين.

٢. مراعاة الإملاء الحديث.

٣. تقطيع النصّ حسب القواعد المتعارفة.

٤. تخريج النصوص من مصادرها المحدّدة في فهرس المصادر.

٥. قدّمنا أمام العمل ترجمة ضافيةً للمؤلّف.

قم المقدسة

محمد الإسلامي اليزدي الحائري

المؤلِّفُ حياتُه، ومؤلَّفاتُه[1]

قال الأستاذ عبد السلام عباس الوجيهُ:

الهادي الوزير «٧٥٨ـ٨٢٢ هـ» ابن إبراهيم بن عليّ الوزير: أحد أعلام الفكر الإسلامي في اليمن، ومن علماء الزيديّة المتبحّرين، عالمٌ، مجتهدٌ، إمامٌ في شتى العلوم.

مولده بهجرة الظهراوين من شظب، ورحل إلى صعدة لطلب العلم، فتتلمذ على مشاهير العلماء أمثال: النجراني، والدواري، وعمّه السيّد المرتضى.

ثمّ رحل إلى مكّة، وسمع الحديث، وبرع في جميع الفنون، حتّى أصبح من كبار العلماء وأحسنهم نظماً وشعراً.

ساجل وكاتب العلماء والأدباء والشعراء، وجرت بينه وبين أخيه محمّد بن إبراهيم الوزير صاحب العواصم محاوراتٌ ومناظراتٌ.

---

(١) اعتمدنا في هذه الترجمة على ما ذكره المحقّق السيّد عبد السلام عبّاس الوجيه، في كتابه القيّم أعلام المؤلّفين الزيديّة الصادر من مؤسسة الإمام زيد بن علي عليه السلام الثقافية، عمان ـ الأُردن ١٤٢٠هـ بتصرّف.

ثمّ اعتمدنا على ما ذكره المحقّق عبد الرقيب بن مطهر محمد حجر في مقدّمته الرائعة لكتاب هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين من منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية في اليمن ـ صعدة ١٤٢٣هـ.

وعكف على التأليف والتدريس والإفتاء وخدمة العلم، والدفاع عن مذهب الآل، حتّى توفّي في عيد الأضحى سنة ٨٢٢هـ بمدينة ذِمار.

أخباره كثيرةٌ، ومناقبه وفيرةٌ.

وقال عبد الرقيب بن مطهّر محمّد حجر، في تقديم «هداية الراغبين» للمؤلّف:

نسبه:

هو السيّد الإمام الهادي بن إبراهيم بن عليّ بن المرتضى بن المفضّل ابن منصور بن محمّد العفيف ابن المفضّل الكبير ابن عبد الله بن عليّ بن يحيى بن القاسم ابن الإمام الداعي يوسف ابن الإمام المنصور بالله يحيى ابن الإمام الناصر أحمد ابن الإمام الهادي يحيى بن الحسين عليهم السلام.

مولده ونشأته:

ولد رضوان الله عليه في هجرة الظهراوين بشظب، يومَ الجمعة السابع والعشرين من شهر محرّم الحرام سنة ٧٥٨هـ.

نشأ نشأةَ أهل بيته، في حِجْرِ والده الفاضل، مُترعرعاً في أحضان تلك الأسرة المعروفة بالعفّة والفضل والتقوى، وفي بيئة علميّة.

ولّما فرغَ من قراءة القرآن سارَ والدُه به وبابن عمّهِ إلى صَعْدَة، فقرأَ مدّةً طويلةً، وكانَ ذا فطنة ساعدتهُ على تناول المفهوم والمنطوق من العلوم، وكان أديباً على تداني سنّه.

مشايخه:

١. الإمام الواثق بالله المطهّر بن محمّد بن المطهّر، المتوفّى سنة ٩٠٩هـ عن تسعة وتسعين سنةً.

٢. السيّد صلاح الدين المهديّ بن أحمد بن صلاح بن الهادي ابن الإمام إبراهيم تاج الدين، وهو خاله، وكان ممّن يُشار إليه بالإمامة، وهو من معاصري الإمام الناصر صلاح الدين بن عليّ.

٣. القاضي عبد الله بن الحسن الدواري المتوفّى سنة ٨٠٠هـ، وهو عمّه، تزوّج المؤلّف بابنته مهديّة، وهي من الفاضلات.

٤. القاضي إسماعيل بن إبراهيم بن عطيّة النجرانيّ المتوفّى سنة ٧٩٤هـ.

٥. العلاّمة أحمد بن سليمان الأوزري المتوفّى سنة ٨١٠هـ.

٦. الفقيه محمد بن علي بن ناجي الحملاني.

٧. السيّد المرتضى بن عليّ بن المرتضى المتوفّى بصعدة، سنة ٧٨٥هـ عن ثلاثين سنة، وهو عمّ المؤلّف.

٨. السيّد أحمد بن عليّ بن المرتضى، عمّ المؤلّف.

٩. الشيخ محمد بن عبد الله بن ظهيرة (٧٥١ـ٨١٧هـ) أخذ عليه بمكّة المشرّفة.

١٠. العلويّ عُمَر بن إبراهيم تقيّ الدين، يروي عنه إجازةً، كما في طبقات الزيديّة.

هؤلاء الذين ذكروا في تاريخ بني الوزير (الفضائل) عن: كتاب المستطاب، وطبقات الزيدية، ومطلع البدور.

١١. السيّد الحافظ محمّد بن الحسن بن باقي، قرأ عليه، كما في مطلع البدور، وقال: كان يرجع إليه في حلّ عقد «نهج البلاغة» وتبيين مقاصدها.

١٢. السيّد داود بن يحيى بن الحسين الهدويّ المتوفّى سنة ٧٩٦هـ، قرأ عليه، كما في ملحق البدر الطالع.

من أخذ منه العلم: أخذ عليه عدّة من العلماء، منهم:

١. صنوه محمّد بن إبراهيم الوزير.

٢. السيّد أبو العطايا عبد الله بن يحيى المتوفّى سنة ٨٧٣هـ.

٣. السيّد عزّ الدين محمّد بن الناصر.

٤. السيّد عبد الله بن الهادي ابن الإمام يحيى بن حمزة المتوفّى نحو سنة ٧٩٣هـ صاحب العقد النضيد في مختصر شرح ابن أبي الحديد.

نعته ومكانته العلميّة:

قال صاحب كتاب الفضائل فيه: السيّدُ السَنَدُ الإمامُ المعتمَدُ، ذُو الفضائل والآثار، والذي لم تسمحْ بوجود مثله الأعصارُ، الركنُ الأشمُّ في أولاد الهادي، والمُرْبي على أقرانه في الحواضر والبوادي، جامع أشتات العلوم وشاطرها في المنثور والمنظوم.

وقال صاحب حلية الإخوان: هو رجلٌ جامعٌ للعلوم، له موضوعاتٌ في كل فنٍّ، أكمل أهل زمانه، يؤهّل للإمامة، ويُتَوَخَى لتحمّل أمر الخاصّة والعامّة، مع الخوف العظيم للعدل الحكيم، والورع الشافي، ومكارم الأخلاق، الّتي شرف بها وفاق، يُضربُ بلطفِ شمائلهِ المَثَلُ، ويُقتدى به في كلّ قول صالح وعمل، إمامٌ لأهل العبادة، قد زيّنهُ اللهُ بالتقوى والزهادة، وكمّلهُ بفصاحة اللسان الّتي لا توجد الآن في إنسان، من النظم والنثر والتصانيف الرائقة، والحكم الفائقة.

وقال الكينعي: هذا الهادي بن إبراهيم إمامٌ من أئمّة أهل البيت، لأنّه أعرفُ الناس في علوم الشريعةُ وأكملهم في علوم الطريقة.

وقال صاحب الطبقات: كانَ السيّدُ الهادى إماماً، عَلَمَ الأعلام، وعلاّمة الآل الكرام.

وقال السيّد مجدُ الدين المؤيّدي رحمه الله: السيّد الإمام بحر العلوم الزاخرة، وبدر الهداية الزاهرة، ونجم العترة الطاهرة، العَلَم المنير، والعالم الكبير.

مؤلّفاته، مرتّبةً على حروف المعجم:

١. إجازاته وأسانيده: (خطّية) ضمن مجموع بمكتبة المرتضى هجرة السر.

٢. الأجوبة المذهّبة عن المسائل المهذّبة: (خطّية) ضمن ٢٣٧ (مجاميع) غربية ق ٧٥ـ١٥٩.

٣. البروج في أسماء أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام: مرتّب على الحروف الهجائيّة (خطّي) في ١٦٨ صفحة سنة ٨٠٩هـ بقلم المؤلّف (المفقود من المجلد كثير نزعت أوراق من أوّله وآخره) بمكتبة السيّد المرتضى الوزير هجرة بيت السيّد وهو ضمن مجموع مع النفحات المسكية.

وقد قمنا بتحقيقه بعون الله وتوفيقه وطبع في منشورات جامعة الأديان والمذاهب، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ) قُمّ، إيران.

٤. تاريخ بني الوزير، وهو تراجم آل الوزير: (خطّي) بقلم المؤلّف في ١٠٧ ورقات، رقم ٢٢١٧ مكتبة الأوقاف، ثانية برقم ٤١ (تاريخ) المكتبة الغربية (تحت الطبع بتحقيق زيد بن علي الوزير).

٥. التحفة الصفيّة في شرح الأبيات الصوفيّة: (خطّي) منه ثلاث نسخ في المكتبة الغربية بأرقام ٢٨، ٩٦، ١١٩ (مجاميع) أخرى: ضمن مجموع بمكتبة عبد الله بن قاسم الضوء ـ رحبان ـ صعدة.

٦. التفصيل في التفضيل في الردّ على أبي بكر ابْن العَرَبِيّ في كتابه تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي:

(خطّي) سنة ١١٦٣هـ ق ٧١ـ١٤٩ برقم ١٤٧٦ (أصول الفقه) مكتبة الأوقاف.

أخرى: مخطوطة سنة ١٠١٣هـ أمبروزيانا.

أخرى: مصوّرة بمكتبة العلاّمة السيّد محمّد عبد العظيم الهادي.

ومنه مخطوطة في مكتبة العلاّمة السيّد محمّد علي الروضاتي، في مدينة أصفهان ـ إيران.

و هو هذا الكتاب الّذي نقدّم له، ونقدّمه محقّقاً بتوفيق الله.

٧. تلقيح الألباب في شرح أبيات اللباب: (خطّية) رقم ٣٤، ٣٥ (علم الكلام) غربية.

أخرى: بأسم (شرح نظم الخلاصة) مصوّرة بمكتبة السيد محمّد عبد العظيم الهادي.

٨. الجواب الناطق بالحقّ اليقين: (خطّي) برقم ٤٠ (علم الكلام) المكتبة الغربيّة.

٩. جوهرة العقد الفريد في التوسل بأئمّة العدل والتوحيد: (قصيدة) (خطّية) ضمن مجموع بمكتبة السيّد عبد الله بن محمّد بن غمضان.

١٠. دامغة الدوامغ: (خطّية) برقم ١٤٠ (تاريخ) ق ١٨٢ـ١٨٥ المكتبة الغربية.

أخرى: ضمن سفينة شعريّة، مكتبة المرتضى الوزير بهجرة السرّ.

أخرى: ضمن مجموع بمكتبة السيّد محمّد بن محمّد الكبسي سنة ١٠٤٠هـ باسم: الدامغة لدامغة الدوامغ، ردّ بها على عليّ بن سليمان الفضلي صاحب الردّ على مسلم بن عليف، وهي باسم (القصيدة البديعة):

(خطّية) ٣٦ (مجاميع) أوقاف، ١٤٤ غربية.

أخرى: بمكتبة السيّد محمّد محمّد المنصور.

١١. درّة الصمصامة جوهرة السادة الأئمّة الأعلام: (خطّية) ٧٨ (مجاميع) غربية ق ٢٩ـ١٣١.

١٢. درّة الغوّاص في نظم خلاصة الرصّاص: (خطّية) منها نسخ في الأوقاف بأرقام ٧٧٦، ٦٥١، ١٥٣٧، وفي الغربية بأرقام ١٨، ٨٤، ١٣٩، ١٩٩ (مجاميع) ورقم ٥٧، ٦٠ (كلام) وبرقم ٦٢ (نحو) ٥٢ (فرائض) وسمّاها البعض: (كتاب المصاصة في نظم مسائل الخلاصة) وهي باسم (نظم خلاصة الرصاص في أُصول الدين) في ١١ صفحة (خطّية) سنة ١٣٣٠ هـ ضمن مجموع بمكتبة السيّد محمّد ابن يحيى بن المطهّر بتعز.

أخرى: ضمن مجموع بمكتبة السيّد محمّد الكبسي باسم (نظم الخلاصة) خطّت سنة ١٣٧٣هـ، جامع الإمام الهادي في صعدة.

وهي قصيدة رائيّة، مطلعها:

أبـا حَسَـن يـابنَ الجَحاجِحَـةِ الغُـرِّ   مِـنَ القَمَـرِ النَـوّارِ والكَوْكَـبِ الـدُرّي

وقد شرحها العلاّمة عبد الكريم بن عبد الله الملّقب أبا طالب[1].

١٣. ديوان شعر: (خطّي) ضمن مجموع بمكتبة السيّد المرتضى الوزير.

أخرى: نبذة منه بمكتبة الأوقاف ٦٦٩ ورقة، ١٥٧ـ١٩٥.

١٤. الرسالة الوازعة لذوي العقول عن الافتراق في دين الرسول ﷺ شرحها أحمد بن عبد الله الدواري، كما في (المستطاب).

١٥. الرسالة في مدائح القرّاء، كما في (المستطاب).

---

(١) لاحظ نهاية التنويه: ٢٢.

١٦. رياض الأبصار في ذكر الأئمّة الأقمار، والعلماء الأبرار، وشيعتهم الأخيار: (أُرجوزة):

(خطّية) سنة ١٠٥٥ ق ٢١٧-٢٣١ رقم ٣١٥٤ مكتبة الأوقاف.

أخرى: ١٩٧ (مجاميع).

أخرى: ٢٥٥ (مجاميع) غربية.

أخرى: أمبروزيانا ١١٩a .

أخرى: بمكتبة السيّد محمّد محمّد الكبسي ـ مخطوطة سنة ١١٣٩هـ ضمن مجموع.

أخرى: ضمن مجموع بمكتبة السيّد عبد الرحمن شايم خط سنة ١١٧٣هـ.

أخرى: مصوّرة بمكتبة الهادي.

١٧. السلاسل الذهبيّة في جواب المسائل المذهبيّة: (خطّية) رقم ٦٦٩ مكتبة الأوقاف ق ١٤٤ـ١٦٥.

وقال الحبشي: المسائل الذهبيّة ينقل عنه صاحب (مطلع البدور).

ولعلّه المذكور في هذه القائمة برقم(٢)

١٨. السيوف المرهفات في الردّ على من ألحد في الصفات.

١٩. شرح نهاية التنويه في إزهاق التمويه: (خطّية) في ١٠٨ صفحات (أصول الدين) ضمن مجموع بمكتبة السيّد محمّد بن يحيى بن المطهّر بتعز.

أخرى: ضمن مجموع بمكتبة السيّد عبد الرحمن شايم، مخطوطة سنة ١٣٧٨هـ.

٢٠. شريعة الفرات في شرح ما التبس من الأبيات: (خطّية) سنة ٨٠٩هـ بقلم المؤلّف برقم ٤٠ (علم الكلام) غربية ق ١٣٧ـ ٢٤٦.

أخرى: بمكتبة السيّد المرتضى الوزير ضمن سفينة أدبيّة.

٢١. الطرازين المعلّمين في المفاخرة بين الحرمين أو في فضائل الحرمين: (خطّية) سنة ١٠٧٣هـ ق ٢٩ـ٤١ رقم ١٠ (مجاميع).

ثانية ٢١ (مجاميع) بمكتبة الأوقاف.

ثالثة الأمبروزيانا ٣٤.

٢٢. الفواتح المسكيّة والعوارف النسكيّة في علم البديع: قال الحبشي: (خطّية) جامع ٦١ (مجاميع).

٢٣. قصيدة رائيّة في مناسك الحجّ: (خطّية) في ٧ صفحات ضمن مجموع خطّي سنة ١٠٦٤هـ بمكتبة السيّد علي بن إبراهيم مصوّر بمكتبة نديم عبادي.

٢٤. كاشفة الغمّة عن حُسن سيرة إمام الأئمّة: نسخة ٣٣٩١ المتحف البريطاني بخطّ المؤلّف في ٣٧٩ صفحة، مكتبة ورثة أحمد بن قاسم حميد الدين، مصوّرة بمكتبة معهد القضاء العالي.

أخرى: في ٢٨٨ صفحة مصوّرة عن أصل خطّ سنة ١٠٦١هـ بمكتبة السيّد عبد الرحمن شايم.

أخرى: ١٥٧، ١٥٨ بالمكتبة الغربيّة.

٢٥. كتاب الردّ على الفقيه عليّ بن سليمان في كتابه (المعارضة والمناقضة).

٢٦. كريمة العناصر في الذبّ عن سيرة الإمام الناصر صلاح الدين بن محمّد بن عليّ الّذي حكم اليمن من ٧٣٩ـ٧٩٣هـ: (خطّية) بقلم المؤلّف في ١٨٥ ورقة نزعت منه أوراق من آخره، فأتمّها محمّد بن عثمان بن علي الوزير سنة ١٠٣٠هـ.

أخرى: برقم ١٦٠ (تاريخ) المكتبة الغربية.

أخرى: بمكتبة علي أميري ـ مخطوطة سنة ١٣٨١هـ.

أخرى: المتحف البريطاني ٥٣٩٣.

أخرى: بمكتبة أيا صوفيا ٣١٨١، أخرى: الأمبروزيانا ٩٥ a.

٢٧. كفاية القانع في معرفة الصانع.

٢٨. منظومة في التصوّف: شرحها أخوه محمّد بن إبراهيم.

٢٩. منهاج الخيرات إلى اقتطاف نفائس الثمرات: (خطّية) ضمن مجموع بمكتبة المرتضى هجرة السرّ (منظومة في فصول) كما في (المستطاب).

٣٠. نظام جواهر الحكمة المختار من كلام إمام الأئمّة: مجلّد مخطوط بمكتبة السيّد المرتضى الوزير، في آخره نقول وقصائد متفرّقة للمؤلّف، وللإمام الناصر.

٣١. نظم (خلاصة الفوائد في أُصول الدين، للقاضي جعفر بن عبد السلام): مخطوط ضمن مجموع بمكتبة السيّد محمّد بن حسين الجلال.

آخر: بمكتبة محمّد عبد العظيم.

٣٢. نظم ذيل خلاصة الرصاص: في ثمان صفحات: مخطوط سنة ١٣٣٠هـ ضمن مجموع بمكتبة السيّد محمّد بن يحيى بن المطهّر بتعز.

آخر: (مجاميع) ٤٩، ٧٨، ١٣٧ غربية.

٣٣. النفحات المسكيّة في الأحوال المكيّة والأعمال المنسكيّة: فرغ منه سنة ٨٠٩هـ مخطوط بقلم المؤلّف في ١١٠ صفحات ضمن مجموع مع (كريمة العناصر) بمكتبة السيّد المرتضى الوزير هجرة بيت السيّد.

٣٤. نهاية التنويه في إزهاق التمويه: طبع بهذا العنوان بتحقيق أحمد بن درهم بن عبد الله حورية، و إبراهيم بن مجد الدين بن محمّد المؤيديّ، من منشورات مركز أهل البيت عليهم السلام للدراسات الإسلاميّة، صعدة ـ اليمن ١٤٢١هـ اعتماداً على ثلاث نسخ.

وقد مضى في هذا الفهرس برقم (١٩): شرح نهاية التنويه في إزهاق التمويه فليلاحظ.

٣٥. هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين: مخطوط بقلم المؤلّف عليه حواش بخطّ السيّد صارم الدين، إبراهيم بن محمّد الوزير.

مخطوط قديم مقارب لعصر المؤلّف، في مكتبة السيّد المرتضى الوزير هجرة السرّ.

آخر: برقم ١٣٣٢ هـ بمكتبة الأوقاف ١٣٣ ورقة.

آخر: غربية ٣٣٢ فقه.

ثالثة أمبروزيانا ٣٤.

وطبع بتحقيق عبد الرقيب بن مطهر محمد حجر في منشورات مركز أهل البيت للدراسات الاسلامية اليمن صعدة ١٤٢٣هـ.

و ذكر له في (المستطاب):

٣٦. منظومة ميميّة لخلاصة الرصاص: ومنها قوله:

وإنْ يقولوا: «بِلا كيف» فقدْ رَجعُوا إلى مَقالتِنا يا مَرْحباً بِكُمُ

٣٧. شفاء القلوب المحزنة.

وذكر لنفسه في هداية الراغبين:

٣٨. المخبرة في أخبار العترة المطهرة.

٣٩. الجواب الفاصل على الفقيه الفاضل.

وذكر لنفسه في كاشفة الغمة:

٤٠. حواش على شرح النهج لابن أبي الحديد.

٤١. النكتة اليسيرة الكافلة لإظهار محاسن السيرة: وقال: أنشأها قبل كريمة العناصر.

وذكر لنفسه في الأجوبة المذهّبة:

٤٢. نظم يواقيت من المناقب الإماميّة.

٤٣. دعوة الإمام علي بن صلاح: قال المحقّق عبد الرقيب بن مطهر محمد حجر: لَدَيّ منها نسخة كتبت سنة ٨٩٢هـ ومعها توقيعات لبعض من بايع تلك الدعوة.

أدب المؤلّف نثره وشعره:

يدلّ ما وجدناه من أعمال المؤلّف على أدب فذّ، في النثر والشعر، ومؤلّفاته المطبوعة ظاهرة الدلالة على ذلك في النثر.

ولنقدّم نماذج من شعره إلى جانب تفنّنه ومشاركته في العلوم، لندلّل على أنّ العلاّمة الهادي الوزير كان من كبار الشعراء المُفْلِقِين.

فنجدُ في مؤلّفاته (ديوان شعره) كما أنّ كثيراً منها بين «قصيدة» و«منظومة» و«أرجوزة» إلى ما تناثر من نظمه في مؤلّفاته هو ومؤلّفات الآخرين، كما اشتملت أشعاره لفنون العلم، مثل قصيدة في أصول الدين، وأخرى: في أصول الفقه، وفي الحجّ، وفي التصوّف، وفي مدح أهل البيت والتوسّل بهم إلى الله تعالى، والردود على الملحدين والحشويّة السلفيّة والمعاندين من المخالفين، وأرجوزة في أحوال الأئمّة الكرام عليهم السلام.

وقد وقفنا على قصيدة رائعة تحتوي على مجاراة بين السيّد المؤلّف الهادي، وبين أخيه محمّد بن إبراهيم الوزير، ردّ فيه الهادي على قصيدة أخيه الذي انحرف عن سيرة آبائه والتزم مذهب السلفية.

وتجد في هذه القصيدة براعة المؤلف في النظم والشاعريّة، كما هو في النثر وقوّة الاستدلال وإقامة الحجّة، وقد نقلناها من كتاب **عيون المختار** لشيخنا

العلاّمة الحجّة إمام الزيديّة المعاصر السيّد مجد الدين المؤيّدي رحمه الله تعالى، وهذا نصّ ما أثبته بعنوان: «بين السيّد الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير وأخيه محمّد» قال:

وقد رأيت النقل من قصيدة السيّد الحافظ محمّد بن إبراهيم الوزير، وجوابها لأخيه السيّد الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير ـ رضي الله تعالى عنهم ـ:

ظلّت عواذله تروح وتغتدي ... وتعيد تعنيف المحبّ وتعتدي
واللوم لا يثني المحبّ عن الهوى ... ويزيد توليع الفؤاد المعْمدِ
إنّ المحبّ عن الملامة في الهوى ... في شاغل لولا اللوائم تعتدي
ألهى المحبّ عن الملام وضدّه ... بين الجوانح لوعة لم تبردِ
وخفوق قلب لا يقرّ قراره ... وسفوح دمع صوبه لم يجْمدِ
قل للعذول أفِقْ فلست بمنته ... عن حبّ أجمل من تحلّى فابعدِ
لو لمتني في الغور لم أشتق إلى ... شطيه أو في نجدهم لم أنجدِ
أو كان لومك في التصابي ماصبا ... قلبي ولا غلب الغرام تجلّدي
أو لُمتَني في اللهو لم أطرب على ... نغم الغناء من القريض ومعبدِ[1]
أو لُمتَني في المال لم يستهوني ... نظر اللّجين ولا نضار العَسجَدِ[2]
أو لُمتَني في حبّ غير محمّد ... لحسبت أنّك بالنصيحة مرشدي
أو لو رأيت محبّة مثلا له ... للمهتدي والمرتجي والمحتدي
يهديه أو يجديه أو يغنيه عن ... نور الرسول الساطع المتوقّدِ

---

(١) هما مغنّيان مشهوران.

(٢) اللجين: الفضّة، العسجد: الذهب.

هيهات ما ابتهج الوجود بمثله ... فدع اللجاج فمثله لم يوجدِ
يا صاحبيّ على الصَبابة والهوى ... من منكما في حبّ أحمد مسعدي
حسبي بأنّي قد شهرت بحبّه ... شرفاً ببردته الجميلة أرتدي
لي باسمه وبحبّه وبقربه ... ذمم عظام قد شددت بها يدي
ومحمّد أوفى الخلائق ذمة ... فلتبلُغنّ بي الأماني في غد
يا قلب لا تستبعدنّ لقاءه ... ثِقْ باللقاء وبالوفا وكأن قدِ
يا حبّذا يوم القيامة شهرتي ... بين الخلائق في المقام الأحمدي
بمحبّتي سنن الشفيع وإنّني ... فيها عصيت معنّفي ومفنّدي
وتركت فيها جيرتي وعشيرتي ... ومحلّ أترابي وموضع مولدي
فلأشكونّ إليه شكوى موجع ... متظلّم متجرّم مُسْتَنْجد
ممّا لقيت من المتاعب والأذى ... في حبّه من ظالميّ وحُسّدي
وأقول أنجد صادقاً في حبّه ... من ينجد المظلوم إن لم تُنْجدِ
إنّي أحبّ محمّداً فوق الورى ... وبه كما فعل الأوائل أقتدي
فقد انقضت خير القرون ولم يكن ... فيهم بغير محمّد من يهتدي
وأحبّ آل محمّد نفسي الفدا ... لهم فما أحد كآل محمّد
هُمْ بابُ حطّة والسفينة والهدى ... فيهم وهم للظالمين بمرصد
و هُمُ النجومُ لخيّر متعبّد ... وهم الرجوم لكلّ من لم يَعْبُد
و هُمُ الأمانُ لكلّ من تحت السما ... وجزاء أحمد ودّهم فتودّدِ
والقومُ والقرآنُ فاعرف قدرهم ... ثقلان للثقلين نصّ محمّد
وكفى لهم شرفاً ومجداً باذخاً ... شرع الصلاة لهم بكلّ تشهّد
و لهُمْ فضائل لستُ أُحصي عدّها ... من رام عدّ الشهب لم تتعدّد

إلى قوله:

وأنا الّذي أفنيت شرخ شبيبتي ... في بحث كلّ محقّق ومجوّد

والافتخار مذمّة منّي فسل ... عنّي المشايخ فالمشايخ شهّدي

وإذا أتتك مذمّتي من ناقص ... فافهم فتلك كناية عن سُؤددي

وإذا شككت بأنّ تلك فضيلة ... فاستقر ويْحَك وصف كلّ محسّدِ

فلحسّدي ما في الضمائر منهمُ ... يغلي ولي ما هم عليه حسّدي

وهي طويلة اكتفيت بهذا القدر منها.

وهذا جواب أخيه السيّد الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (رضي الله عنه):

عجلت عواذله ولم تتأيّد ... وجَنَت عليه جناية المتعمّدِ

ما شرْعة العذل المعوّج نهجه ... عن سنة العدل القويم الموردِ

شيئان ما أعْيى الأنام سواهما ... لوم البريّ وتهمة المتودّد

وأخو الهوى مسدودة أسماعه ... لا يرعوي لمقال كلّ مسدّد

سدّد كلامك في إصابة رأيه ... أو لا تقع في مسمع متسدّدِ

يا عاذلي في حبّ آل محمّد ... دعْ ما تقول فأنت غير محمّدِ

لو كنت تعذل في محبّة غيرهم ... لعلمت أنّك بالنصيحة مرشدي

أأحبّهم وأحبّ غير طريقهم ... هذا المحال من الضلال الأبعد

من مال عنهم لم يكن منهم وسلْ ... أهل المعارف والطريق الأرشد

أنا منهم في فعلهم ومقالهم ... يا شاهد الله المهيمن فاشهد

حبّي لهم فرض وحبّي جدّهم ... مجد وصلت فريضتي بتمجد[1]

لا ريب في حبّ النبيّ لمسلم ... إذ كان ذلك أصل دين محمّد

فاخصص بحبّك آله متقرّباً ... بهمُ إليه وودّهم فتزوّد

لم يسأل الرحمن إلاّ ودّهم ... أجراً على إبلاغ ملّة أحمد

ما ذاك إلاّ أنّ حبّ محمّد ... شرعٌ له في الناسك المتعبّد

جمعَ الطوائفَ حبُّه وتفرّقوا ... في حبّ عترته بغير تردّد

فاجعل ودادك حيثما افترقوا تُصِبْ ... نهجاً معبّدةً لخير مُعَبَّد

ومحبّر وافى إليّ نظامه ... كالدرّ في عنق الغزال الأغيد

رقّت محاسنه برقة شوق مَن ... أهداه في طلب الحديث المسند

وافى وعين جماله وكماله ... تزهي ولمّا يكتحل بالأثمد

ما كان أحوج ذا الجمال إلى الذي ... فيه من العين اتقاء الحسّد

لمّا تنحّى عن محجة أهله ... ومشى على الطرقات مشيَ الأصيدِ

أأخي وقرّة ناظري ومشاركي ... في أصله ومحلّه والمولد

أخوان إلاّ أنّ هذا قد عتا ... كِبَراً وهذا في الشباب الأملد

ولدٌ صغيرٌ في حداثة سنّه ... وأخٌ كبيرٌ في العلا والسؤدد

أربى عليّ براعة وبلاغة ... وأكلّ مذوده المفوّه مذودي[2]

---

(١) كذا في الأصل، وكان الصواب أن يقول: حبّي لهم مجد وحبّي جدّهم فرض... الخ، كما لا يخفى على المتأمّل.

(٢) في نسخة: «وأبذ»، أي غلب، والمذود: اللسان، أي غلب المذود ذلك.

قــد زادنــي علمــاً فتلــك وسـيلة ... للـــراغبين فـــإن تجــدها فـــازددِ
وأفـــادني مـــن علمـــه وبيانـــه ... حســن الإفــادة فاســتفده وأسْــندِ
أبُنـــــيَّ إن ناديتـــــه لتلطّـــــف ... وأخــــيّ إن ناجيتـــــه لتجلّـــــدِ
مــا لــي أراك وأنــت صــفوة سـادة ... طابــت شمائلــهم لطيــب المحتــد[1]
تمتــاز عـــنهم في مآخـــذ علمهـــم ... وهــم الــذين علــومهم تــروي الصـدي
أخـــذوا مبــاني علمهــم وأُصــولهم ... عــن أهلــهم عــن ســيّد عــن سـيّد
ســند عـــن الهـــادي وعـــن آبائـــه ... لا عــن حــديث مســدّد بــن مسـرهدِ[2]
ســـند عـــن الآبـــاء والأجـــداد في ... أحكـــامهم وفنـــونهم والمفـــرد
وكــذلك في التجريـد والتحريـر والـ ... ـــتعليق والمجمـــوع ثـــم المرشـــد
لهــم مــن التصــنيف ألــف مصــنّف ... مـــا بـــين عِلْـــم ســـابق ومجـــدّد
قــد قلــتَ في الأبيــات قــولا صــادقاً ... ولقــد صــدقت وكنــت غــير مفنّــد
هُــمْ بــاب حطّــة والسـفينة والهـدى ... فـــيهم وهـــم للـــظالمين بمرصـــد
و هُــمُ الأمــان لكــلّ مـن تحـت السـما ... وجـــزاء أحـــمد ودّهـــم فـــتودّد
والقـــومُ والقــرآن فــاعرف قــدرهم ... ثـــقلان للـــثقلين نـــصّ محـــمّد

---

(١) أي الأصل.

(٢) مسدّد من رجال العدل، عدّه المنصور بالله عليه السلام منهم، وإنّما قصد التمثيل وللقافية كما قال الصاحب:

أيّهـــــا القاضـــــــي بقــــــم ... قـــــد عزلنـــــاكَ فقـــــم

فقال القاضي: والله ما عزلني إلاّ السجعة.

وكفـى لهـم شـرفاً ومجـداً باذخـاً   شـرع الصـلاة لهـم بكـلّ تشـهّد
هــذا مقالــك في القصــيد وإنّــه   محض الصواب وعصمة المسترشد
فــأتِمَّ قولــك بالمصــير إلــيهم   في كــلّ قــول يــا محمّــد تهتــد
فهُمُ الأمـان كمـا ذكـرت ونهجهـم   نهــج البلــوغ إلى تمــام المقصــد
مـا لـي أراك تقـول فـيهم هكـذا   وبغــير مــذهبهم تــدين وتقتــدي
أوليس هم حجج الإله على الورى   والفلْــك في بحــر الضــلال المزبــد
ما كان أحسن حسن فهمك ترتقي   درجــات علمهــم إلى المتصــعد
حتّـى إذا اسـتوريت زنـد علـومهم   وأردت تزنـد مـا بـدا لـك فازنـد
بعـد النهايـة في العلـوم ودرسـها   وإحاطــة المتوغــل المتجــرّد
ولأنــت فــرْعٌ باســقٌ مــن دَوْحــة   شـرفت بحيـدرة الوصـيّ وأحمـد
مــتردّد بــين النبــوّة والهــدى   مــن أهلــه ناهيــك مــن مــتردّد
فأعِــدْ هــداك الله نظــرة وامــق   في علمهــم تَلْــقَ الرشــاد لمرشــد
وتوسّــم العلــم الّــذي في كتــبهم   تجـد الدرايـة والهدايـة عـن يـد
و ذكــرتَ سُــنَّةَ أحمــد وحديثَــهُ   يــا حبّــذا سُــنن النبِــيّ محمّــد
أوْرِدْ مســائلها وَرِدْ في مائهــا   يــا حبّــذاك لــوارد ولمــورد
لســنا نقــول بــأنّ سُــنَّةَ أحمــد   متروكــةٌ وحديثُــهُ لم يوجــد
بــل سُــنّةُ المُختــار معمــولٌ بهــا   وحديثـهُ شـنف النضـار العسـجد[1]

---

(١) العسجد: الذهب.

ومقــــالهم في سُـــنّة وجماعـــة ... قـــولٌ رديءٌ لـــيس بالمســـتحمد

سَـبُّوا الوصـــيَّ وأظهروهـــا سُـــنَّةً ... لـبني الـدنا مـن مغـورين ومنجـد

وكــذاك سَـمّوا حـين صـالح شـبّر ... ابـن الّـتي عرفـتْ بأكـل الأكْبُـد

عــامَ الجماعــة واســتمروا هكــذا ... حتّـى تملّـك عصـره المسـتنجد[١]

أعـــني بـــه عَمْـــراً فـــأنكر بدعـــةً ... ونظـــيره في عدلـــه لم يوجـــد[٢]

ونقـــول في كتـــب الحـــديث محاسـنٌ ... مـــن سُـنَّةِ المُختـــارِ لمـــا تقصـــد[٣]

لكـــن نــــرجّح مــــا رواه أهلُنـــا ... سـفنُ النجـاة وأهـلُ ذاك المسـجد

ونقـــولُ مـــذهبُهُم أصـــحُّ روايـــةً ... وأَمَـــتُّ[٤] في سُـنن الحـديث المسـند

فــبهم علــى كــلّ الأكــابر نبتــدي ... وإلـــيهم أبـــداً نـــروح ونغتـــدي

وبهـــديهم في كـــلّ سمـــت نهتـــدي ... وبقـــولهم في كـــلّ أمـــر نقتـــدي

وبفعلـــهم في كـــلّ نجـــد نحتـــذي ... وبعلمهـــم في كـــلّ وقـــت نجتـــدي[٥]

وإذا تعـــارض عنـــدنا قـــول لهـــم ... ولغيرهـــم قـــول وإن هـــو أوْحـــدي

---

(١) ظاهر الإعراب رفع «مستنجد» على أنّه فاعل «تملّك» فيكون فيه إقواء، ويحتمل أن يكون بدلا من الهاء في «عصره» كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ الكهف: ٦٣، وكقولك مررت به المسكين، ولكن سيخلو تملّك من الفاعل إلاّ إذا جعل عصره الفاعل ويكون مجازاً عقليّاً لإسناد الفعل إلى ظرفه، والله الموفق. تمّت من المؤلف مجد الدين المؤيدي أيّده الله.

(٢) أي في أهله أو نحو ذلك، فالعموم غير مراد قطعاً.

(٣) أي بالنهي عنها.

(٤) أمت: أقوى وأوصل.

(٥) نجتدي: نطلب.

مِلْنـا إلى القـول الّـذي قـالوا بـه لتوثّـق في حفظهـم وتشـدّد
وتصـلّب في ديـنهم وتنـزّه وتـورّع في كسـبهم وتزهّـد
ولمـا روينـا فـيهمُ عـن أحمـد حسـبي بـه للمقتـدي والمهتـدي
فـاليوم عصـمَتُنا بهـم وبحـبّهم وهـم الأئمّـةُ والأدلّـةُ في غـدِ
نَشَـرُوا العُلُـوم وأيّـدوا ديـن الهـدى علمـاً بهـاد فـيهمُ ومؤيّـد
ومضـوا علـى سنن الجهـاد ورسمـه مـا بـين مقتـول وبـين مشـرّد
ومخلّـد في حبسـه ومطـرّد عـن أهلـه ومصـلّب ومقيّـد
مَـن في البريّـة يـا محمّـدُ مثلـهم في فضـلهم وجهـادهم والسـؤدد
وذكـرتَ تصـحيح الخـلاف وأنّهـم قـد خـالفوا آبـاءهم بتعمّـد
فصـدقتَ في مـا قُلتَـه وحكيتَـه وقـع الخـلاف ولـيس ذاك بمفسـد
إنّ الصـحابة مـاج في مـا بيـنهم بحـرُ الخـلاف وهـم صـحابة أحمـد
وكـذا الأئمّـة بعـدهم لّمـا تـزل آراؤهـم في العلـم ذات تبـدّد
والحقّ تصويب الخلاف وما نرى الـ إجمـاع إلاّ في نـوادر شـرّد
وذكـرتَ أنّ المـوت يقطـع في الهـدى تقليـد صـاحبه لكـلّ مقلّـد
وحكيتَ ذلك مذهب الجمهور عن علمائـه وبنيـت كالمستشـهد
فخـلاف ذلـك ظـاهرٌ متعـارفٌ في كتْبنـا ويكتْـبهم فاسـتورد
قـد نـصّ بيضـاويُّهم في شـرحه تجـويز تقليـد الإمـام المُلحَـد[1]

(١) المُلحَد: صاحب اللحد وهو الميّت.

وكــذاك في المعيــار جــوّزه وقــد أفتــى بــه حســن[١] ســليل محمّــد

قــالوا جميعــاً للضــرورة إنّــه لم يبــقَ[٢] مجتهــدٌ فطــفْ وتَفَقَّــد

قــالوا وإلاّ أيّ فائــــدة لنـــا في دَرْس علم الشافعي[٣] ومحمّد[٤]

وكــذاك درس علــوم آل محمّــد كــم دارس لعلــومهم متفــرّدِ[٥]

فــإذاً تبــيّن أنّ تقليــد الــورى حــقّ لمهــدىّ وهــاد قــد هُــدي

وأصبتَ في ما قلتَ من تصويب أهـ ـــل العلـم في فـنّ الخـلاف الأمجـدِ

فــنّ الفــروع فإنّــه لا بــأس في سـعة الخـلاف فهـادوىْ[٦] ومؤيـدي

وذكـرت قولـك في الكـلام ومـا لهـم فيــه مــن القــول الغريــب الموحــد

فلقــد ذكــرت مــن العلــوم أجلّهــا قــدراً وأعظمهــا لكــلّ موحّــد

فــنّ بــه شــهد الكتــاب وصــحّة الــ ألبــاب لــيس لفضــله مــن مجْحــد

راضــته أفكــار الأفاضــل واغتــدى كالـــدر بـــين زبرجـــد وزمـــرّد

مــا فيــه مــن عيــب ســوى أن حقّقــوا لـــدفاع قـــول الفيلســـوف الملحــد

---

(١) النحوي.

(٢) هذا غير مسلم، فالأدلّة قاضية أنّه لا يخلو زمان عن مجتهد، لخبر الثقلين والنجوم، والواقع شاهد بذلك.

(٣) سكن للضرورة.

(٤) الفائدة في ذلك أنّها تفيد المجتهد بصيرة في الاجتهاد، وترجيح بعض الأقوال على بعض، ولمعرفة إجماعهم، وغير ذلك من الفوائد الجمة، فليس للتقليد فحسب، فتدبّر.

(٥) الفائدة في درس علوم الأئمّة السابقين أنّها تفيد المجتهد في الاجتهاد، وترجيح بعض الأقوال على بعض، ولمعرفة إجماعهم، وغير ذلك من الفوائد الجمة، فليس ذلك للتقليد فحسب، فتدبّر.

(٦) سكن للضرورة.

لـولا صـناعتهم وحسـن كلامهـم نزعـت يـد الحربـا لِسانَ الأسـود[1]
وصـدقت أنّ محمّـداً في صـحبه لم يعرفـوا تلـك العبـارة عـن يـد
مـاذا أراد محمّـد منهـا وجبـ ـريل لديـه كـلّ حـين في النـدي
حمـاد عجـرد لم يكـن في وقتـه أبـداً ولا سمعـوا هنـاك بعجـرد
وابـن الرونـدي وابـن سـينا أحـدثا بعـد النبـوّة في الزمـان الأقـردِ
مـا كـان في وقـت النَبِـيّ مـدقّق مـنهم فيحتـاج البيـان لملحـدِ
لكـن علـيٌّ قـد أبـان بنهجـه هـذي الـدقائق فاسـتبنها واقصـدِ
هـو أوّل المـتكلّمين وقولـه قـبس كنـار القـابس المسـتوقدِ
فـاتبع مقالتـه فـإنّ شـيوخنا أتباعـه فيهـا أصـبها ترشـدِ
مـاذا أردت بانتقـاص مشـايخ هـم أصـلتوا في العلـم كـلّ مهنّـدِ[2]
لـولا سـيوف كلامهـم وعلـومهم لم ينـتقص تـاج الغـواة الجحّـدِ
نقضـوا بـه شـبه الفلاسـفة الأُلى دانـوا بـأفلاك وقـول أنكـدِ
فنـريهم القمـر المـنير مـن الهـدى ويروننـا وجـه السـها والفرقـدِ
فهنـاك أمسـينا بأحسـن ليلـة وهنـاك قـد بـاتوا بليـل أنكـدِ
وأدلّـة التوحيـد لـيس شـعاعها يخفـى علـى مـن لم يكـن بالأرمـدِ
ولهـم مسـالك في العبـارة بعضـها يشـفى بـه قلـب العليـل المعمـدِ
والـبعض منهـا لـيس بالمرضـيّ في قـول الهـداة مـن النصـاب الأحمـدِ

---

(١) الأسود: الثعبان.

(٢) أراد بالمشايخ: علماء المعتزلة.

ولنا من الماء السلاسل صفوه — والآسن المنبوذ للمستوردِ
فاشرب من الماء الزلال ألذه — ودع الكدورة في شواطي الموردِ
وشكوت من حسد البغاة ولم نجد — ذا سؤدد إلاّ أصيب بحسّدِ
لا زلت يا سبط الكرام محسّداً — فالناقص المسكين غير محسّدِ

انتهت بتمامها، رضوان الله وسلامه على سابك درر نظامها[1].

وفاته:

توفّي المؤلّف رحمه الله تعالى آخر نهار اليوم التاسع عشر من ذي الحجّة الحرام سنة ٨٢٢ هـ ب«حمام السعيدي» بذمار.

ورثاه علماء عصره، وأبّنوه نثراً ونظماً، شكر الله سعيه وأجزل أجره.

مصادر الترجمة:

- أئمّة اليمن: ج١/ ٢٩٩.
- أعلام المؤلّفين الزيديّة للوجيه: ١٠٦٩ـ١٠٧٣ رقم ١١٤٩.
- البدر الطالع: ج٢/ ٣١٦ ـ ٣١٨.
- التحف شرح الزلف للسيّد مجد الدين المؤيّدي: ١٢٦.
- تراجم بني الوزير، مخطوط.
- الجامع الوجيز، مخطوط.
- جناية الأكوع على ذخائر الهمداني: ١١٣.
- الجواهر المضيئة، مخطوط ١٠٢.

---

(١) عيون المختار من فنون الأشعار والآثار: ١١٥-١٢٥.

❖ رياض الرياحين: ١٦٦.

❖ سمط اللآل ـ مخطوط ورق ١٣٢.

❖ صلة الإخوان ـ مخطوط.

❖ الضوء اللامع: ج١٠/ ٢٠١.

❖ طبقات الزيديّة، مخطوط.

❖ عيون المختار من فنون الأشعار والآثار، للسيّد مجد الدين المؤيّدي.

❖ فهارس مكتبة الأوقاف.

❖ فهرس المكتبة الغربيّة.

❖ لوامع الأنوار للسيّد مجد الدين المؤيّدي: ج٢/ ٢١٦.

❖ المستطاب، مخطوط: ج٢/ ٤١ـ٤٦.

❖ مصادر الحبشي: ١١٧ و١٩٥ و٣٢٥ و٣٧٨ و٤٢٠.

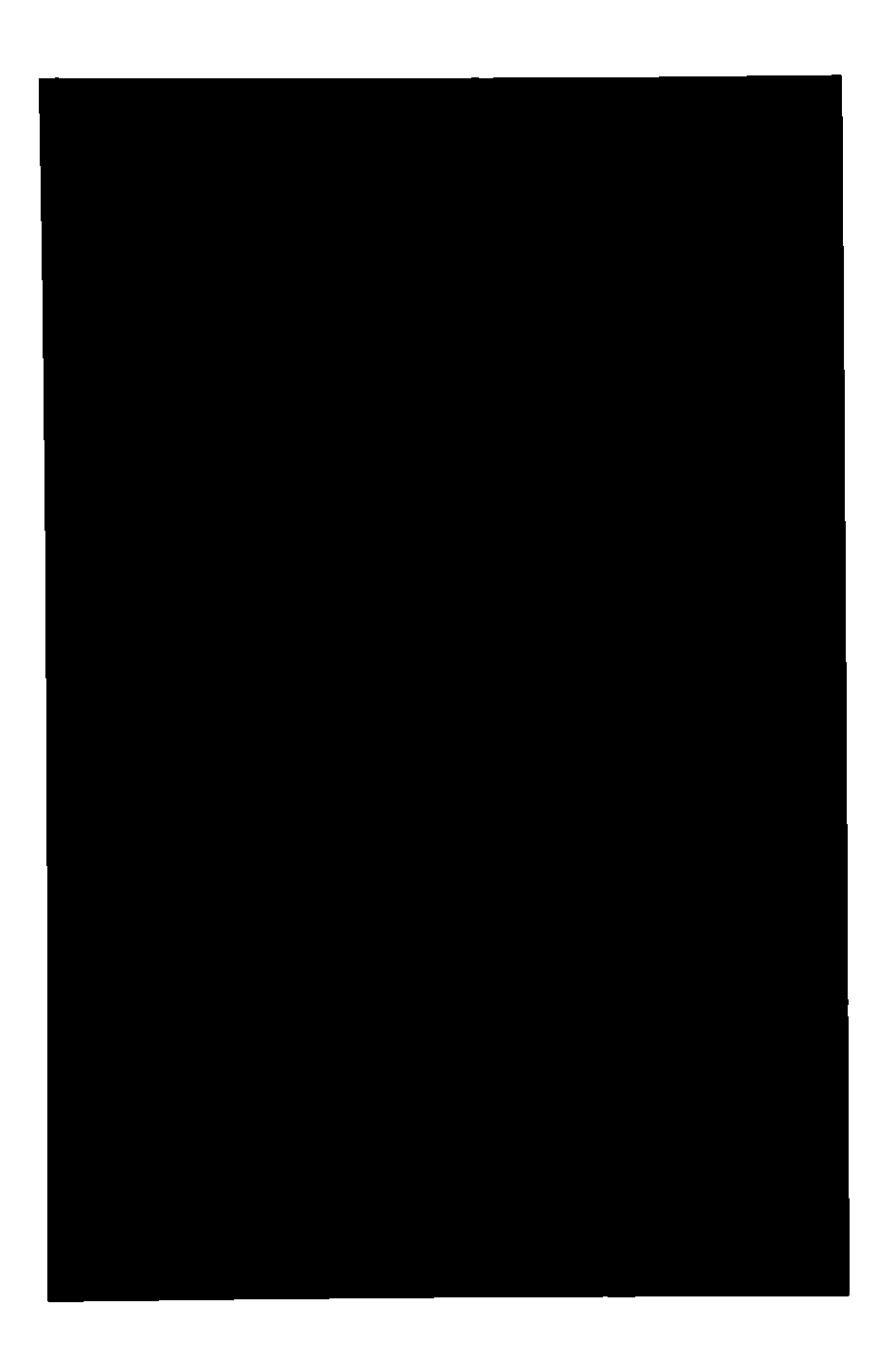
❖ مصادر العمري: ٦١ـ٦٣.

❖ مطلع البدور، مخطوط.

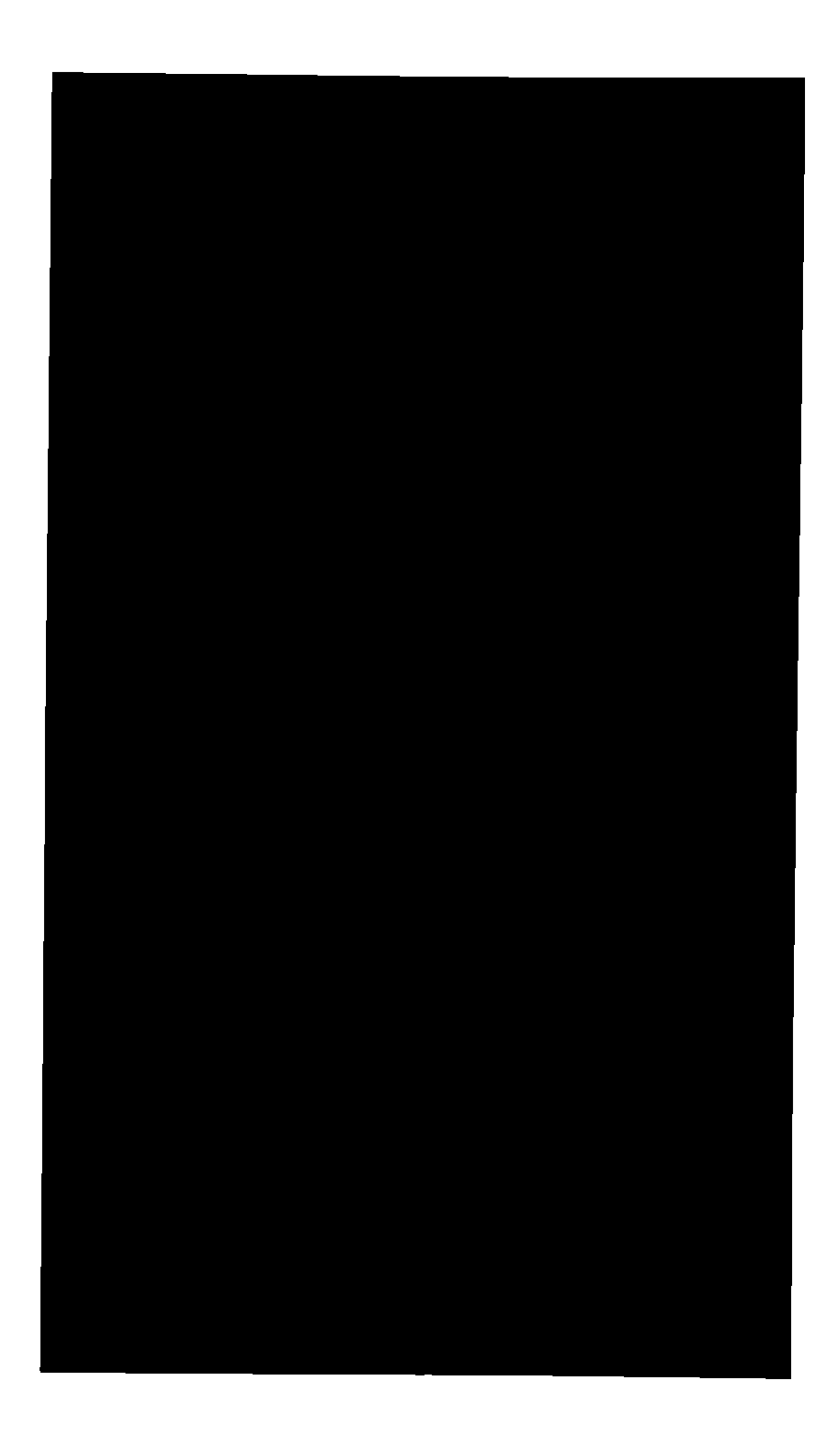
❖ مؤلّفات الزيديّة للحسيني السيّد أحمد ـ قُمّ (الفهارس).

❖ نهاية التنويه للمؤلّف طبع مركز أهل البيت (عليهم السلام) للدراسات الإسلاميّة ـ صعدة ـ اليمن ١٤٢١هـ.

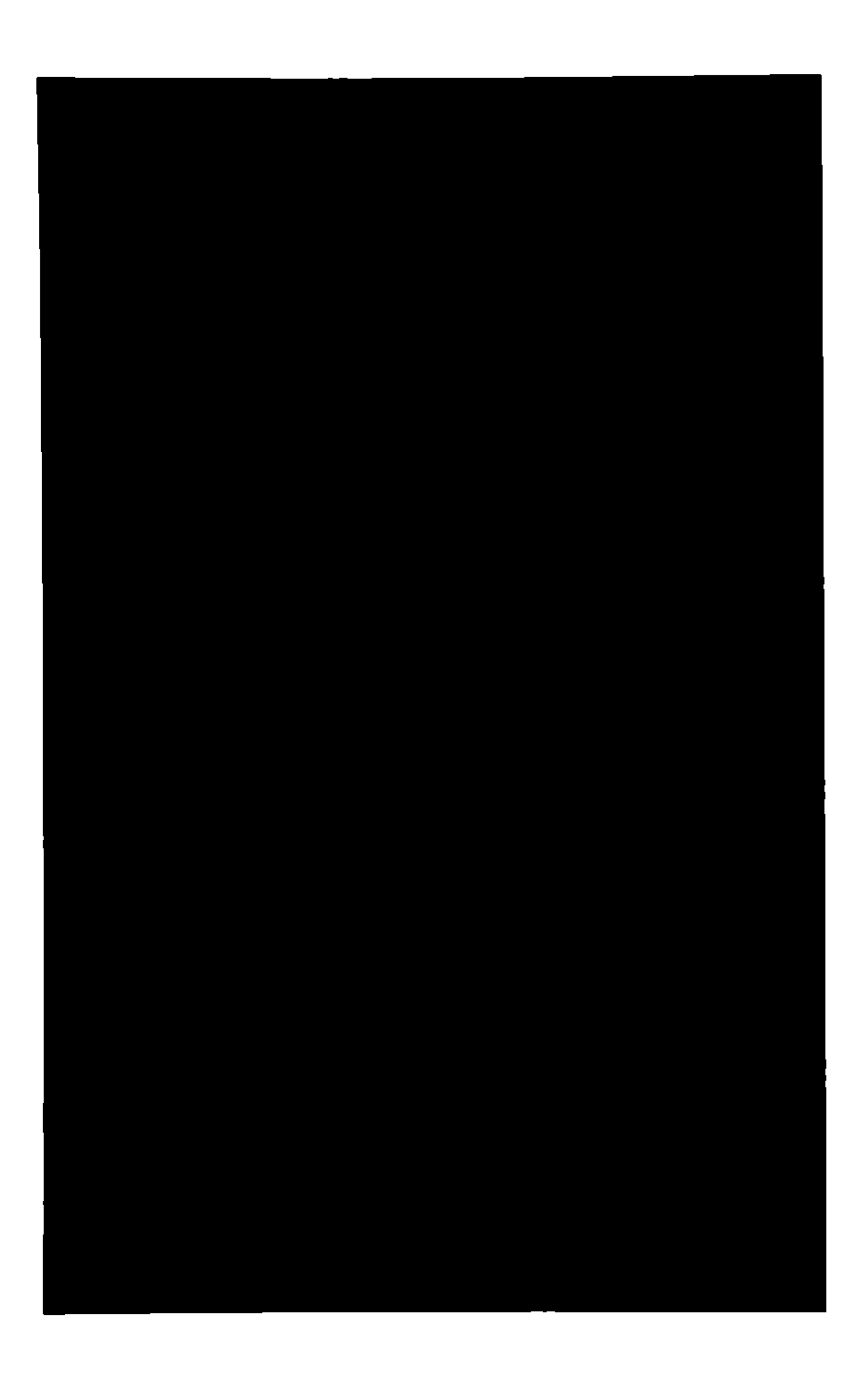
❖ هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين للمؤلف، طبع بتحقيق عبد الرقيب بن مطهر محمد حجر في منشورات مركز أهل البيت (عليهم السلام) للدراسات الإسلامية اليمن ـ صعدة ١٤٢٣هـ مقدّمة المحقّق.



الصفحة الأولى للمخطوطة (نسخة الجامع الكبير/ صنعاء)



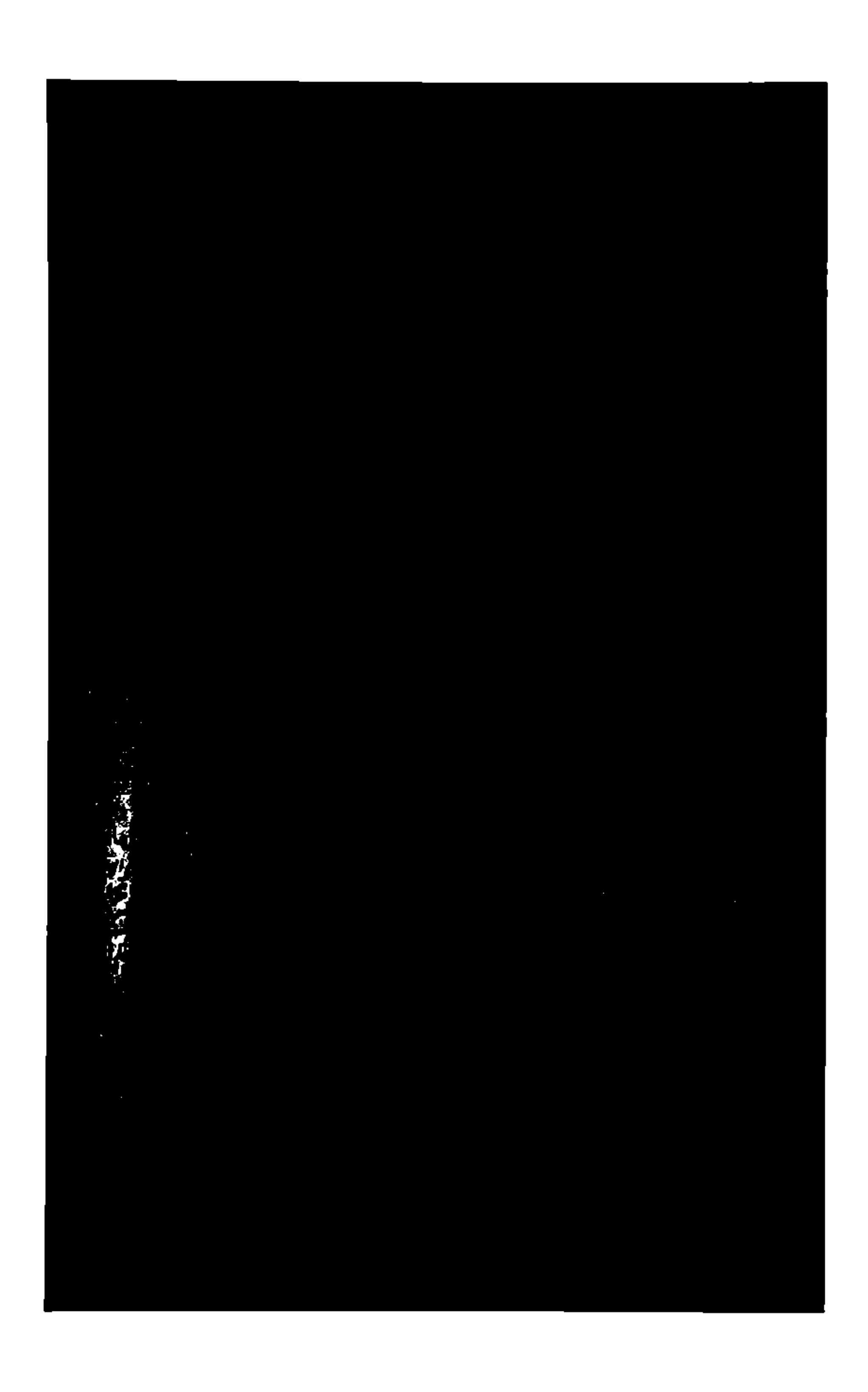
الصفحة الثانية للمخطوطة (نسخة الجامع الكبير/ صنعاء)



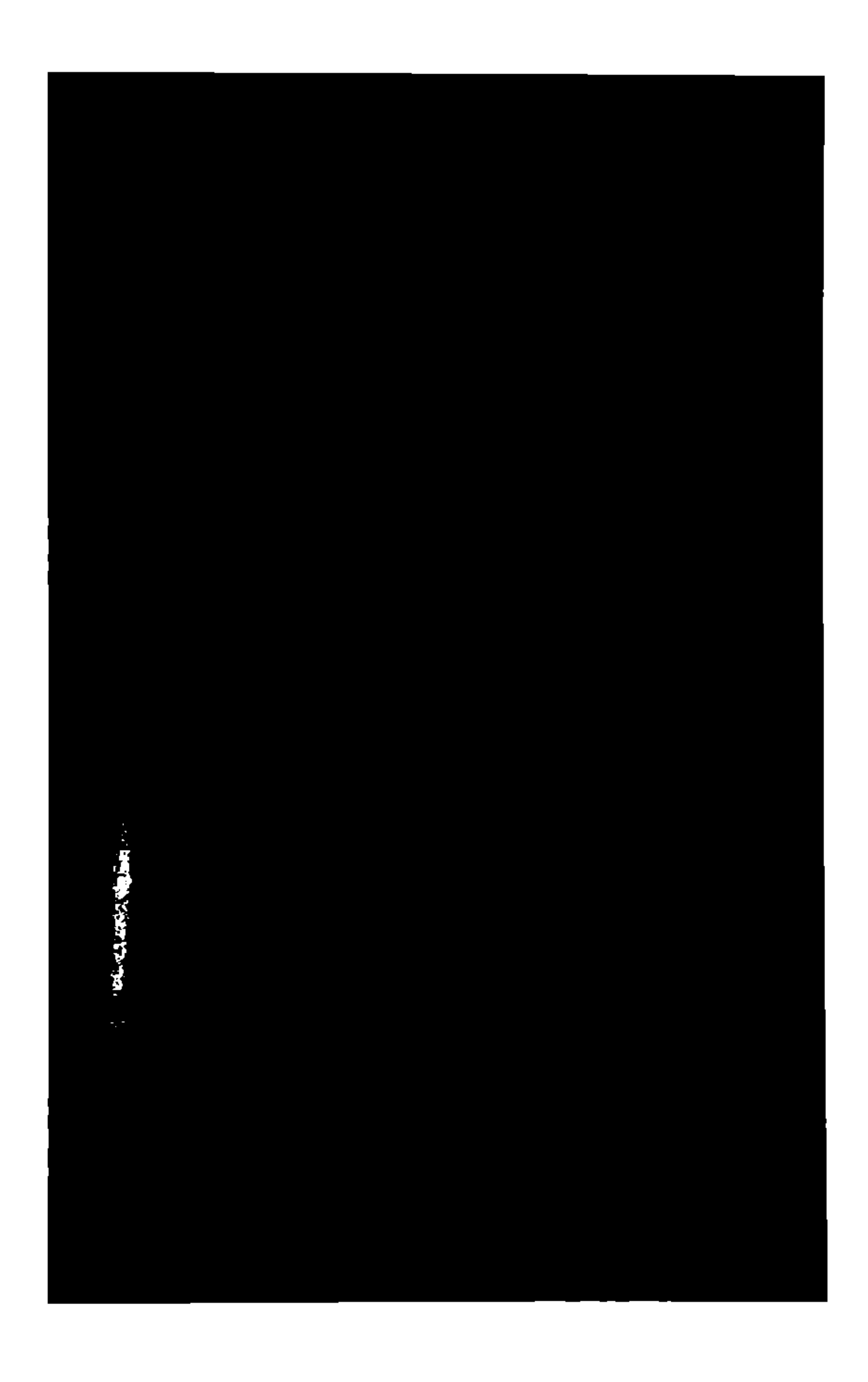
الصفحةالأخيرة للمخطوطة (نسخةالجامع الكبير/ صنعاء)



الصفحة الأولى للمخطوطة (نسخة السيد الروضاتي)



الصفحة الثانية للمخطوطة (نسخة السيد الروضاتي)



الصفحة الأخيرة للمخطوطة (نسخة السيد الروضاتي)

التَّفْصِيلُ في التَّفْضِيلِ

كتاب فيه الردّ على ابْن العَرَبِيّ في (عارضة الأحوذيّ في شرح الترمذي)

تأليف

العلاّمة الهادي بن إبراهيم بن عليّ الوزير

٧٥٨-٨٢٢ هـ

تحقيق

الشيخ محمّد الإسلاميّ اليزديّ الحائريّ

مقدّمة المؤلّف:

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليهِ توكّلتُ وإليهِ أُنيبُ

الحمدُ لله الّذي فضّل على أصحاب النّبيّ الأمين أميرَ المؤمنين عليّاً، وأحلّه من قلوب المسلمين مكاناً علياً، وطهّره من أوضار المشركين واختاره لعباده المؤمنين وليّاً، وجعله لسيّد المرسلين أخاً، وصهراً، وناصراً ووصيّاً، ونادى فيه لسان الحال من نبيّه عليه السلام ﴿رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[1].

فجعل الله له من ظهر أبيه عبد المطّلب أخاً زكيّاً مباركاً مرضيّاً، ورثه وورث علمه ومقامه، وآتاه الله ﴿الْحُكْمَ صَبِيًّا وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[2].

---

(١) مريم: ٣ - ٦.

(٢) مريم: ١٢ - ١٥.

انتبذ من عبادة الأوثان ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾(١) واعتصم بحياة محمّد ﷺ ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾(٢).

وكفله أبو القاسم وربّاه، فنشأ ببركته كريماً سنيّاً، وأشمّه من عبقة التنزيل وريّاه مسكاً زكيّاً ذكيّاً، وألبسه من سندس الوحي واستبرقه ثوباً نفيساً عبقرياً، حين أرسل الله إليه روحه ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾(٣) ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي... وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾(٤) عليّاً أخي يكون لي ركناً قويّاً، ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾(٥) ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾(٦) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾(٧).

شابهت هذه الآيات حاله المرضيّا، فتلوناها استظهاراً معنويّاً، وفجّرنا من أنهارها لوصفه سلسلا رويّاً، وطرزنا بديباجها من شرفه فخاراً بهيّاً، وهززنا من نخلها فاسّاقط عليها ﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾(٨) حين فارق قومه ﴿غُلَامًا زَكِيًّا﴾(٩)، وانتبذ لعبادة ربّه ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾(١٠) فصدّق محمّداً تصديقاً أوليّاً، وأعطاه الراية يوم

---

(١) مريم: ١٦.

(٢) مريم: ١١.

(٣) مريم: ١٧.

(٤) طه: ٢٥ـ٢٩.

(٥) القصص: ٣٥.

(٦) مريم: ٢١.

(٧) مريم: ٥٠.

(٨) مريم: ٢٥.

(٩) مريم: ١٩.

(١٠) مريم: ٢٢.

خيبر، فكان الفتح به جليّاً، واصطفاه لأُخوّته، فكان برّاً حفيّاً، وزوّجه بابنته وقربه إليه نجيّاً، وشبّهه بهارون وكان بذلك التشبيه حريّاً، **﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾**[1] وبشّره بالشهادة، وأمره بالعبادة **﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾**[2] ونحله سورة الدهر وشرفها **﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾**[3] وأخبره بسوء عاقبة ظالميه **﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾**[4] ونصّ عليه بالإمامة نصّاً خفيّاً، ودعا بموالاة من والاه، فكان سعيداً، ودعا بمعاداة من عاداه، فكان شقيّاً، وصلواته على سيّدنا محمّد أفضل من أرسله الله نبيّاً وجعله لأُمّته سراجاً مضيئاً، وللأنبياء خاتماً رضيّاً، ونادى لسان الحال من جبريل أمّهُ: **﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾**[5] وعلى آله الذين هم **﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾**[6].

وبعد، فإنّ من أعظم المحن والبلوى اختلاف الآراء وتشتُّت الأهواء، فإنّ ذلك أشدّ اللأواء وأدوى الأدواء، ولم تزل هذه المحنة منذ كانت الدنيا، ولا تزال ما بقي الأحياء.

ومن أعجب دفائنها وأغرب ما نثله الزمان من كنانتها كلام ذكره في «عارضة الأحوذي في شرح الترمذي» يذكر فيه التفضيل على نوع من التفضيل، حتّى قاده الغلوّ الّذي يردي راكبه وساقه الهوج الّذي يشين صاحبه إلى أن جعل خير

---

(١) مريم: ٥٥.

(٢) مريم: ٦٥.

(٣) مريم: ٦٣.

(٤) غافر: ٤٦.

(٥) مريم: ٢٤.

(٦) مريم: ٧٣.

هذه الأُمّة وأفضلها وأتمّها في العلم وأكملها أبا بكر من الرجال، وعائشة من ربات الحِجال، وما أرضاه ذلك حتّى صرّح بتفضيل أبي بكر على أبي الحسن[1] وبتفضيل الجهراء[2] على الزهراء أُمّ الحسين والحسن، ونحن لا ننكر فضلهما ولا ندفع في العلم محلّهما.

فأمّا القول بأنّ أبا بكر ابن أبي قحافة أفضل من أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ وسيّد الوصيّين علي ابن أبي طالب وأنّ عائشة زوجة الرسول أفضل من ثمرة قلبه فاطمة البتول، فمن دون ذلك خرط القتاد وأقرب منه مسّ الثريا بالأكباد، وأدلّة تأخذ أشعتها بالأبصار وتزري أنوارها بالأقمار.

ومن بديع فِريته وشنيع عصبيّته أنّه قال: أبو بكر أشجعُ من علي[3].

ولله درّ المعرّيّ، حيث قال؛ فقد أحسن في المقال:

إذا عيّـرَ الطـائيَّ بِالبُخـلِ مـادِرٌ وعيّـرَ قسّـاً بِالفَهاهَـةِ باقِـلُ

وقـالَ السُـها يـا شمـسُ أنـتِ خفيّـةٌ وقـالَ الـدُجى يـا صُبحُ لونُـكَ حائِـلُ

وطاوَلَـتِ الأرضُ السـماءَ سَـفاهَةً وفـاخَرَتِ الشُـهْبَ الحَصـا والجَنـادِلُ

فيـا مَـوْتُ زُرْ إنَّ الحيـاةَ ذَميمَـةٌ ويـا نَفْـسُ جِـدّيْ إنَّ دَهْـرَكِ هـازِلُ[4]

هذه صفة قول ابن العَرَبِيّ: أبو بكر أشجعُ من عليّ!؟.

وهذا هو المَيْنُ الصُراحُ.

---

(١) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٣٨.

(٢) جاء في هامش النسخة الأولى: يُنظر: هل قد جاء تسمية عائشة بالجهراء؟ فالمشهور أنّها الحُمَيراء، والله أعلم.

(٣) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤٤.

(٤) ديوان أبي العلاء المعرّيّ: ٨٥٣ من موسوعة الشعر العربيّ. وفيه (إذا وصف) بدل (إذا عيّر).

وما الّذي دهاهُ؟ حتّى توهّم أنْ يغطّي ضوءَ الشمس بالراح؟!.

ما هذهِ إلاّ نقيصةٌ في عقله، ومصيبةٌ من جهله، أو حسيكةٌ كامنةٌ في صدره، رانَتْ على قلبه؛ فغطّتْ على بصره، وأطفتْ ذُكاء لُبّهِ.

وهل يقول بهذه المقالة مَنْ لهُ أدنى دِراية؟ أو يتقحّمُ هذه الجهالة مَنْ له أقلّ هِداية؟؟

فنعوذُ بِاللهِ من جهل يُساوي بينَ الأرضِ والسماء، وعلم يُبدّل بصرَ حامله بالعَمى.

هذه صفة ابْن العَرَبِيّ في قوله: أبو بكر أفضلُ من عليّ!!.

ومَنْ تمادى به الشقاقُ إلى هذه الغاية، ونوّهَ به الطُغيانُ إلى هذه النهاية؛ لم يستحقّ على الحقيقة جواباً، ولم يهتدِ إلى الحقّ صواباً.

وهذه المسألةُ لا تكليفَ علينا فيها، ولا يُسمى العالمُ بِها فقيهاً، ولكن علّة العداوة قَلَّ مَنْ يَشفيها، ولا تجدُ إلاّ السيفَ لها شافِياً، وحسبُك به لمَنْ عاند الحقّ دليلا هادياً وخصيماً كافياً.

ولقد تتبّعتُ كلامَهُ، فوجدتُهُ تعصّبَ تعصُّباً مذمُوماً، وتكلّم كَلاماً مكلُوماً، وأظهرَ العنادَ حَسداً، وجعل الجَسَدَ رُوحاً والرُوحَ جَسَداً.

وشتّانَ بينَ أَمِير المُؤْمِنِيْنَ، وسائر الصحابة الأكرمين:

عليٌّ عليه السلام بمنزلة الرُوحِ، وهُمُ الأجْساد.

و هُوَ الرأسُ والبَصَرُ، وهُم بقيّة الأعضاد.

بلْ هُوَ في الحقيقة يمينُ الرَسول الّتي كانَ بِها يَصُولُ، وآيتُهُ الّتي كانَ بِها إلى الحقّ الوُصُول.

وهُوَ عليه السلام صاحبُ لِوائِهِ صلى الله عليه وآله في كُلّ زَحْف، والهازِمُ في حُرُوبِهِ بِذِي الفِقارِ لِكُلّ صَفّ.

وهُوَ المُختَصُّ بِفضيلةِ: **(لأُعْطِيَنَّ الرايَةَ غَداً رَجُلا يُحِبُّهُ اللهُ ورَسُولُهُ كَرّاراً غيرَ فَرّار يفتحُ اللهُ على يَدَيهِ)**[١] فَتَطَلَّعَتْ لَها نُفُوسُ المُهاجرينَ والأنصارِ، وأَبى اللهُ إلاّ أنْ يكونَ صاحبَها دُرّةُ التَقْصار[٢] وقُرّةُ الأبْصار، عليُّ بنُ أبي طالب؛ الفارسُ الكَرّارُ.

ذُو المآثِرِ الفاخِرةِ في الدينِ، والمَناقِبِ الّتي خُصَّ بِها في المُسلمين، أحتضنَتْهُ أكُفُّ الرِسالة بِحَنانِ النُبُوّة.

وذَخَرَهُ ﷺ ـ حينَ آخَى بينَ المُهاجرين والأنصار ـ لِنَفسهِ في شَرَفِ الأُخُوّة، وأيّدَهُ اللهُ على الأقْرانِ، والذَبِّ عن الإيمانِ، بِتأييدِ الحَوْلِ والقُوّة.

الّذي لم يَسْجُدْ لِطاغِيَة، ولا وَثَن، ولا شابَتْ إيمانَهُ القاصِعَ[٣] شائبةٌ من دَرَن.

المُقدمُ للرّايات إذا نَكَصَ الأبْطالُ، المُستولي على الغاياتِ الّتي لا تظهرُ ولا تُطال.

ذُو القُرْبَى والسِبْطينِ، أَبو تُراب، أَبو الحَسَنِ، المُرتَقِي في الأسْماءِ والكُنى من حَسَن إلى حَسَن، ولو لم تكُنْ له ﷺ إلاّ هذه الفضيلةُ؛ لَكَفَى بِداعِيها مُنادِياً، وبِحِصْنِها[٤] لِمَنْ اتّخَذَ نادِياً، وبِنُورِها لِمَنْ استَرْشَدَ هادِياً.

---

(١) صحيح البخاري: ج٤/ ٥٧ و٦٥، و ج٥/ ٢٢ و١٧١، صحيح الترمذي: ج٥/ ٦٣٨، صحيح مسلم: ج٣/ ١٤٤١، وج٤/ ١٨٧١ - ١٨٧٢، مسند أحمد: ج١/١٨٥ و٢٣٠، وج٢/٣٨٤، و ج٣/١٦، و ج٤/ ٥١ ـ ٥٢، و ج٥/ ٣٥٣، الخصائص النسائي: ٣٤ ـ ٤٧/ ح١١ـ ٢٣، الكشف والبيان للثعلبي: ج٩/ ٥٠.

(٢) التَقصار: القلادة، انظر لسان العرب: قصر.

(٣) في هامش الأولى: أظنّه (الناصع) بالنون، وهو الأبيضُ الخالصُ البياض؛ لِيُناسب ذكر (الدَرَن) بعده، وهو أيضاً المناسب للمقام، والله أعلم.

(٤) في هامش الأولى: (حصن) جبل مرتفع من جبال نجد: يقول العرب: أنجد من اتخذ حصنا. والله أعلم.

كيفَ؟ وهيَ مُضافةٌ إلى ما هيَ بِالنظرِ إليهِ بِمَنزلَةِ القَطْرَةِ من المَطَرِ، والمَجّةِ من اللُّجّة، من الفضائل المشهورَةِ، والمناقِبِ المأثورَةِ، والآياتِ المَسطُورَةِ.

مناقِبُ لَجّتْ في عُلُوٍّ كَأنّما تُطالِبُ ثأراً عندَ بعضِ الكَواكِبِ[1]

وإذا أردنا إبطالَ مقالة ابْن العَرَبِيّ ونقضها؛ تكلّمنا في ثلاثة فصول:

أوّلها: في إيراد كلامه برمّته.

والثاني: في ردّه ونقض مقالته.

والثالث: في ذكر طرف من فضائل عليٍّ عليه السلام وبعض النصوص الدالّة على إمامته.

---

(١) لم نعثر على قائل، لهذا البيت، ولكن وجدنا بيتين لِمُجير الدين ابن تميم، محمّد بن يعقوب ابن علي الدمشقيّ (ت: ٦٨٤هـ) هذا نصّهما:

لقد نزّهت عيني أنابيب بركة تُقابلُني أمواهُها بالعجائبِ

أنابيبُ لَجّتْ في عُلُو كأنّما تُحاوِلُ ثأراً عندَ بعضِ الكَواكِبِ

ديوانه: ٣٧ موسوعة الشعر العربيّ. وكأنّ المؤلّف اقتبس منهُ البيت المذكور بتغيير.

أمّا الفصلُ الأوّلُ

وهو في إيراد كلام ابن العَرَبِيّ



فنحن نورده كما ذكره من دون زيادة ولا نقصان:

قال ابْن العَرَبِيّ في كتابه المذكور؛ وقد ذكر الكلام في التفضيل بين الصحابة رضي الله عنهم، حتّى قال:

خيرُ الناس بعد الرسول ﷺ أبو بكر، ثمّ عُمَر، ثمّ عثمان، ثمّ عليٌّ.

والدليل على ذلك: أنّ منازل التخيير والتفضيل سبعٌ:

الأولى: التربية، والثانية: العلم، والثالثة: التدبير والسياسة، الرابعة: الشجاعة، الخامسة: العفّة، السادسة: الزهد، السابعة: المعرفة بمنازل الناس[1].

أمّا **المنزلة الأُولى:** وهي التربية:

فأصلُها للوالدين بالمحافظة على الاستصلاح من القيام بشروط الصلاح، فيكون فيها بمنزلة الحافظ لقيامه بالواجب الحَسَن، ومكانة المربوب بما حفظ عليه من الصيانة والمصلحة[2].

وأمّا **المنزلة الثانية:** في العلم:

فإنّ الله أخرج الخلق من بُطُون أُمّهاتهم لا يعلمون شيئاً، ثمّ تعلّم من العلوم ما تقوم بشروط المنافع والمضارّ في الجمع والتفريق، ثمّ سائر العلوم الشريفة تتعلّق بالمصالح دِيناً بالنجاة[3] ودُنيا، على مقدار تفاوتها في درجاتها واجتماعها على الوجهين، واتّحادها وانفرادها.

---

(١) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٣٨.

(٢) عارضة الأحوذي ج٩/ ١٣٩.

(٣) عارضة الأحوذي: وبالتجارة دنياً.

وأمّا **المنزلة الثالثة:** في التدبير والسياسة:

وبها يقع الامتحان في العلوم، وبها يظهر التمكّن في التصرّف مع الإمكان: فإن أختبر المرؤ فيها نفسَه، واختبره فيها غيره فرأى في أفعاله تثبيجاً[١] وفي آرائه تشتيتاً؛ علمَ قصوره في القيام بالأُمور.

وإن ظهر سداداً في رأيه، ونظماً في أفعاله؛ تحقّق كماله في نفسه، وإكماله لغيره[٢].

وأمّا **المنزلة الرابعة:** في الشجاعة:

و هي ثبوت العزائم عند تعارضها العظائم، فإنّ مَنْ لم يكن في نفسه قوّة على إظهار ما ينتهي إليه علمه، والقيام بفعله وإمضائه؛ لم ينتفع بما حصل عليه، ولا ظهرت ثمرة ما وصل إليه[٣].

وأمّا **المنزلة الخامسة:** في العفّة:

فهي في ما يباشر تعاطيه بالإنصاف لمعامليه، وذلك لأنّ المرء لا يمكنه أن ينفرّد بنفسه في جميع أحواله، ولا أن يستبدّ بجملة أسبابه، ولابدّ للآدميّ من الاستعانة بغيره، ولابدّ من الإنصاف في معاملاتهم، والإمساك عمّا يجب[٤] لهم، وبذل ما يتعيّن من حقّهم، وإلاّ انفضّ من انضمّ إليه، ولم يمكنه أن ينفرد بنفسه؛ بضياع ما تقدّم من خصاله، وبهدم ما سبق من منازله.

وأمّا **المنزلة السادسة:** في الزهد:

وهو التقلّل من الدُنيا للتكثير من الآخرة، فإنّ من تمام من حصّل الخصال

---

(١) التثبيج: من ثبج الرجل الكلام يعني عماه وخلطه.

(٢) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٣٩.

(٣) عارضة الأحوذي ج٩/ ١٣٩.

(٤) كذا في المطبوعة.

المتقدّمة أن ينظرَ في العاقبة، ولا يغترّ بالمبدأ والفاتحة؛ فإنّ المقصود التمادي في الصلاح والاستمرار على السلامة، فإنّ العمل على ما يقطعها، والاسترسال عمّا يقلعها[١] ويعقبها ضدّها؛ سَفَهٌ في الرأي، وغَبْنٌ في الحظّ.

وأمّا **المنزلة السابعة:** في معرفة منازل الناس:

فإنّه تمام التدبير وكمال السياسة، فإنّ المرء إنْ لم ينزّل أصحابه وجيرانه ومعارفه ومُلاقيه منازلَهم؛ اضطربت أحوالُه، وتناثر سِلْك صاحبِه[٢] باختلافهم عليه. وهذه المرتبة مأمورٌ بها كلُّ أحد.

قالت عائشة: أُمِرْنا أنْ ننزّل الناسَ منازلهم[٣].

وأحقُّ الخلق بها الأنبياءُ والأئمّةُ ومن يخلُفُهم من الأُمراء والعُلماء والسادة والرجلُ في أهلهِ حتّى لا يؤخِّرَ مُقدّماً ولا يُقدّمَ مُؤخّراً، فتشمئزُّ القلوبُ وتستوفرُ الخواطرُ وتضطربُ الأحوالُ.

فمَنْ تألّفت فيه هذهِ المنازلِ فهو المُقدّم، وليس من شرطه أن يكون من قرابة النبيّ ﷺ بل يُقدّم المَولى ـ إذا جمعها ـ على القريب من النَبيّ ﷺ.

فإن استوى المولى والقرشيّ، ينظر.

وقال مالك: في إحدى روايتيه: تقدّمُ المولى أولى.

وقد بيّنا الحقّ في كتب الأُصول، وهذا الأساس يكفي في القاعدة الّتي نريد

---

(١) في المطبوعة: والاسترسال على ما يبطلها أو يعقبها.

(٢) في المطبوعة: سدى أصحابه.

(٣) في هامش الأولى: ليتَ عائشةَ عفا اللهُ عنها عملتْ بهذا الحديث الّذي روتْهُ؛ وأنْزَلَتْ عليّاً عليه السلام منزلتَهُ الّتي جعلَهُ اللهُ لهُ! فلا حولَ ولا قوّةَ إلاّ باللهِ العليّ العظيم.

أن نرتّب عليها التقدّم في المكانة والمكان في الميزان[١].

فنقول: أمّا أبو بكر، فلا يخفى أنّه استولى على أمد السبق في هذه المنازل، وحاز قصب التقدّم في هذه الخصال.

أمّا منزلة التربية:

وذلك بحفظ العاجلة عن الفساد بالقانون الشرعيّ، والآجلة عن الإهلاك بالمحافظة على حدود الله أمراً وزجراً.

ومحمّد ﷺ هو الأعلى في هذه المنزلة العُليا على جميع أهل الدُنيا، فإنّه حَفِظَنا عن العقوبة الدائمة، وهدانا إلى المثوبة القائمة، فكان خيرَ البريّة.

وأبو بكر تلاهُ بما يجب عليه، فوفّاه، فله الفضل البالغُ ومعناه، فإنّه تلا[٢] رسول الله ﷺ وقام بحفظه له، ونصرَهُ بنفسه وماله عند معاندة العشيرة، وتظاهر الأعداء واستيلاء البلاء.

والنَبيّ ﷺ ربّى عليّاً وأنفق عليه وزوّجه وكفاه المُؤن الطارئة.

ولا خلاف أنّ الأب والابن إذا اشتركا في الفضائل كان الأب أعلى منزلة من الابن.

وتفاصيل التربية بالمال والنفس تأتي في بقيّة الكتاب منبّهاً عليه إن شاء الله تعالى[٣].

وأمّا منزلة العلم:

فإنّ أبا بكر أعلم الأُمّة بعد رسول الله ﷺ وليس العلم بكثرة الرواية،

---

(١) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤٠.

(٢) في المطبوعة: «ربى» بدل: «تلا» وهو تحريف يظهر من جواب المؤلّف على هذه الدعوى.

(٣) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤٠-١٤١.

وإنّما هو بما يظهر عند الحاجة إليه في الفتوى من الدراية، وأمّا السرد للمعلومات فإنّما حدث عند فساد القلوب بطلب الظهور والتعالي عن الأقران والريا في الاعمال، وقد ظهر علم أَبِي بَكْر في مواطن كثيرة امهاتها[١]:

الموطن الأوّل: حين خرج عن جوار ابن الدغنة ورضي بجوار الله تعالى.

الثاني: حين وجد النبيّ ﷺ مجفوّاً[٢] مقهوراً، فقال: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾[٣] وفي هذا علم وافر، وهو أنّه لما أراد دفعهم عنه وذهب عنه الحلول رجع إلى الحيلة[٤] بالعلم فكأنّه قال لهم: أتقتلون رجلا بغير ذنب، إذ لم ينقموا عليه إلاّ أن قال ربّي الله؛ وذلك أمر مختصّ به، مع أنّه اعتصم بالله يرجع إليه الكلّ منكم ومن آلهتكم، فإذا تعلّق بالأصل لم تستحِقّ القتل على ترك الفرع.

الثالث: قوله لأُمّ قبيح[٥] حين قالت له: إنّ محمّداً هجاني، فحلف لها أنّه ليس بشاعر، وما هجاها، فصدقته وصدق، فإنّ الذمّ بالحقّ ليس بهجو، وإنّما الهجو[٦] الذمّ بالباطل.

الرابع: أنّه لّما بلغه أنّ النبيّ ﷺ قالّ: أُسري بي إلى بيت المقدس وكذّبه الناس، قال أبو بكر صدق أنا أصدقه بأعظم من هذا وهو خبر السماء، وهو قياس الأولى الّذي خفي على كثير من العلماء، وهو جائزٌ في المعقول والمنقول.

---

(١) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤١.

(٢) في الأصل: «محفوفاً»، وفي المطبوعة: «مخنوقاً».

(٣) غافر: ٢٨.

(٤) كذا في المطبوع، وكان في النسخة بدله: الحول رجع إلى الحملة.

(٥) أراد أُم جهل بنت حرب امرأة ابي لهب (تمت). كذا في هامش الأصل.

(٦) في المطبوع زيادة: عربيه.

الخامس: قال يوم الحُديْبِيَة لعُمَر مثل ما قال له رسول الله ﷺ بعينه حين استراب المسلمون برجوعهم دون دخول المسجد الحرام، وقد قال الله تعالى لهم: **﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾**(١) فقال له: إنّك آت البيتَ وتطوفُ به، إنّ النَبيّ ﷺ لم يقلْ لك: «العام» فسيكون في ما بعد. وقال له: أليس هو رسول الله ﷺ؟ ألسنا على الحقّ وهم على الباطل، فلِمَ نُعْطِ الدنيّةَ في دِيننا؟

قال له إنّه رسول الله ﷺ فاستمسك بغرزه.

وهذه موافقةٌ لرسول الله ﷺ عظيمةٌ، ومعرفةٌ بصحّة العاقبة، وصواب الحال المنقولة(٢) علمٌ عظيمٌ ونظرٌ قويمٌ، لمْ يتفطّنْ له غيره.

السادس: قال النَبيّ ﷺ: **«إنّ عبداً خيّرهُ اللهُ تعالى بينَ الدُنيا وما عندهُ فاختارَ ما عندهُ»** فبكى أبو بكر والناسُ يتعجّبون!

وفهم أبو بكر أنّه ﷺ هو المراد.

السابع: أنّه لّما سمع: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾**(٣) وخرج الناس معجبين به، قال لهم: ما من شيء تَمَّ إلاّ نَقَصَ.

ثمّ عرفَ موتَهُ، وعرف دفنَهُ، وكيفيّة غسلِهِ، والصلاة عليهِ، وتكفينِهِ، وجاءَ بالخُطبة العُظمى في موته، فقال: من كان يعبدُ مُحمّداً؛ فإنّ محمّداً قد ماتَ، ومن كان يعبدُ الله فإنّ الله حيٌّ لا يموتُ.

---

(١) الفتح: ٢٧.

(٢) في المطبوعة: المعقولة.

(٣) المائدة: ٣.

وتلاوته الآية، فكأنّ الناس لم يسمعوا بها قطُّ[١].

الثالث عشر[٢]: إنّ عثمان حزن حزناً عظيماً، لأنّه لم يسأل النبيّ ﷺ عن نجاة الأُمّة، فقال أبو بكر: لكنّي سألتُهُ، فقال: «الكلمة الّتي كنت أدعو إليها عمّي، فأبى أن يقولها».

الرابع عشر: اتّفق على إثبات الميراث لأزواجه وقرابته، فطلبوا ذلك من أَبي بَكْر، فقال لهم: إنّ رسول الله ﷺ قال: **«لا نورث ما تركنا صدقة»**[٣].

فأذْعَنُوا لقوله، وتذكّروا ما كانوا نسوهُ من عهده، وقد بيّنّا ذلك في غير موضع، و الصحيح أنّهم تذكّروهُ، فإنّ عليّاً عليه السلام والعبّاس أقرّا به.

الخامس عشر: طلبُ الأنصار الإمامة، فخطب تلك الخطبة الغرّاء، ونقل عن النبيّ ﷺ: **«إنَّ الأئمّةَ من قُرَيش»**، واحتجّ بأنّ النبيّ ﷺ وصّى بالأنصار، ولا يوصّى بهم ولهم الأمرُ!.

فعظمَ الخطبُ في ذلك، واشتدّت البلوى، ففرّجها اللهُ بأَبي بَكْر[٤].

الثامن عشر[٥]: أرادوا تأخير جيش أُسامة، فأبى، وقال: لو لَعِبَت الكلابُ بخلاخيل نِساء أهل المدينة؛ ما رددتُ جيشاً أنفذهُ رسولُ الله ﷺ.

---

(١) عارضة الأحوذي: ١٤١.

(٢) لم يُذكر الموطن الثامن إلى الموطن الثاني عشر في مخطوطتنا، وكذلك لم يذكر في مطبوعة عارضة الأحوذي، وقد ذكر محقّق المطبوعة تعليقة برقم (١) كذا في الأصل، وهذا النوع يتكرّر كثيراً، ولعلّه أدمج ما سقط من العدد في السابع من الخطبة والتكفين والصلاة والغسل والدفن (م.ص).

(٣) في المطبوعة زيادة: فهو.

(٤) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤٣.

(٥) كذا في المطبوع: «الثامن عشر» وفي النسخ «السادس عشر».

قيل له ـ وقد ارتدّت العربُ، وهو:

التاسع عشر: فمع مَنْ تُقاتلهم؟

قال: وَحْدي حتّى ينفرد سالفتي.

ولو ردّ جيش رسول الله ﷺ لما نفذَ لأحد حكمٌ أبدًا، ولكانَ الناسُ في إمضاء ورَدّ دائماً.

المُوفي عشرين: قال: واللهِ، لأُقاتِلَنَّ مَنْ فرّقَ بينَ الصلاةِ والزكاةِ، فإنّها حقُّ المال، لقوله ﷺ: «إلاّ بحقّها».

وكان الصوابُ معهُ والعلمُ والاستنباطُ.

ففزعَ الرومُ، وقالوا: ما ضَرَّهم موتُ نبيّهِم، وفزعت الأنصارُ[1] من شجاعته وعجبتْ من صَرامَته[2].

قال: وأمّا منزلة التدبير:

فكان فيها على غاية المعرفة، انظروا إلى حسن تدبيره في أُسامة، وأخذ الزكاة، انظروا إلى ولاته، كيف عدل فيهم عن قرابته، ولحظهم بعين فراسته اختار لوزارته عُمَر؛ فقال لأُسامة: اتركهُ لي! واختار لكتابته عثمان، وولّى الشام أبا عبيدة، وولّى العراق خالد بن الوليد، وأنفذ عكرمة بن أبي جهل إلى اليمن، وأنفذ يزيد بن أبي سفيان إلى الشام، وولّى المهاجرين ابن أبي آمنة المخزومي، وزياد بن لبيد الأنصاري باليمن، وأرسل أبا عبيد ابن مسعود الثقفي إلى العراق.

فانقاد الناسُ كلّهم له بحسن تدبيره، وسداد اختياره، وسلّموا، ولم يعترضوا، وسكنوا ولم يضطربوا، وسدّد الله الجمهور على الأُمور.

---

(١) في المطبوع: الأعراب.

(٢) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤٣-١٤٤.

وقُتِلَ مَنْ بعدَهُ غيلةً، والّذي بعدَهُ عنوةً، واضطرب الناسُ على عَلِيٍّ؛ فلم يقفوا له لحظةً.

وكلّما أرادَ أبو بكر من قتل في قتال، وفناء المقتولين تأتّى، مع قلّة عدده وكثرة عدد مَنْ نازعهُ.

ونُوزِعَ عليٌّ؛ فأظهرهُ اللهُ على مَنْ ناوأهُ من الخوارج، ثمّ انتشروا في البلاد[1].

قال: وأمّا منزلة الشجاعة:

فلم يكنْ في الصحابة أقوى قلباً، ولا أثبتَ في الروع جأشاً، ولا أفرغ في الكرب منه فؤاداً.

ولو لم يكن إلاّ قوله في العريش للنبيّ ﷺ وهو مع النَبيّ ﷺ وحده فيه: حسبُكَ يا رسول الله، فقد ألححتَ على ربّك، وهو منجزٌ لكَ ما وَعَدَكَ.

وثبتَ عندَ موت النَبيّ ﷺ وقد اضطربت قُلُوبُ الناس وعقولهم.

وعندَ الردّة حيثُ لم يبق خارجَ المدينة أحدٌ إلاّ كان عليه، وقال: لأُقاتلنّهم وحدي، وكانوا ثلاثين ألف مقاتل، فما بالى عنهم الصدّيق، ولا أقام لهم وزناً، فما قاتَلَ أحَداً إلاّ أبادهُ اللهُ.

وبقايا مُخالفي عليٍّ دائمُون إلى يوم الدين[2].

وأمّا منزلته في العفّة والاتّصاف بها:

فإنّه فيها غايةٌ، خرج عن ماله وأفنى[3] ذات يده، حتّى لا يحتاج إلى مُنازعة، فما وكّلَ قطُّ في قضيّة، ولا جاء أبواب القُضاة، ولا وكّلَ وَلَداً.

---

(١) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤٣-١٤٤.

(٢) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤٤-١٤٥.

(٣) المطبوع: «أبلى» بدل «أفنى».

وخاصمَ عليٍّ ووكّل عقيلا.

ولم يشتغلْ بعدَ النبيِّ ﷺ باكتسابِ مال، ولا باقتنائه، حتّى لا يحتاج إلى الانتصاف والاستعداء عليه.

وكان من إنصافه حكمُهُ على ابنته، وعلى آل الرسول، مع ما كان يعتقدُ من تعظيمه لهُ ومحبّته لقرابته، وصلته لهم، ولم يخشَ في الله لومةَ لائم[١].

وأمّا منزلته في الزهد في الدنيا:

فخرج من جميع ماله في حاله، وأنفق على رسول الله ﷺ جميع ما ملكه[٢] وقيل له: ما خلّفتَ لعيالك؟ قال: اللهَ ورسولَه.

ولذلك احتاج حين ولي أمر المسلمين إلى أن يقترضَ لنفسه ما يحتاج إليه ولعياله، فلمّا حضرته الوفاةُ ردّ إلى عُمَر اللقحة والعبدين اللّذين كانا عنده، ليجعله من بيت المال، فقال عُمَر: لقد أتعبتَ الخُلفاء بعدك.

وكان له يوم أسلم ثمانون ألف دينار؛ فأنفق جميعه على رسول الله ﷺ.

وأمر أنْ يكفّنَ في خلق، وقال: الحيُّ أولى بالجديد من الميّت.

وقد شهد اللهُ لهُ بذلك في قوله: ﴿**وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ**﴾[٣] وأخبرَ إنّما فعلهُ لوجه الله، لا طلباً للنعيم، ولا خوفاً من الجحيم. فكان أبلغ ممّن قيلَ فيه: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا... إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾[٤] فأخبر أنّ ذلك إنّما كان خوفاً من الجحيم، ورغبةً في النعيم!.

---

(١) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤٥.

(٢) في المطبوع زيادة: في حال عسرته حتّى قال ما نفعني مال ما نفعني مال أَبي بَكْر.

(٣) الليل: ١٩-٢١.

(٤) الإنسان: ٥-١٠.

وكان يقول: **أَقِيْلُوْنِي** فيرغبُ عنها.

وغيره رغبَ فيها، ودافع عنها.

واقتصر على القليل من النساء.

وغيره تزوّج، واشترى ما ظهر له الأولادُ منهُ و الأموالُ[1].

وأمّا تنزيل الناس منازلهم:

فقد كان النَبِيّ ﷺ ينزل أبا بكر وعُمَر منزلة الوزير والجليس والصاحب، وقدّم عليّاً للدفع والذبّ، وقدّم أبا بكر للصلاة.

وقد قال النَبِيّ ﷺ: **«لو كنتُ مُتّخذاً خليلاً لاتّخذتُ أبا بكر خليلا»**.

و أمر بسدّ الأبواب كلّها الّتي كانت شارعةً إلى المسجد، إلاّ باب أَبي بَكْر.

واختصّه بالصُحبة في الهجرة.

وكان مُعَرَّضاً في ليالي الغار، والطريق إلى ما كان عليٌّ مُعَرَّضاً له ليلةً واحدةً.

قال ابن العَرَبِيّ: فإنْ نظرتَ إلى قلبه وجدتَهُ لَوذعيّاً، وإن نظرتَ إلى قوله رأيتَهُ أحوذيّاً، وإن نظرتَ إلى سيرته أَلْفَيتَهُ ربّانيّاً، نسيجَ وحده، لا خَلَلَ في ما يظهرُ من عنده.

نجز كلام ابْن العَرَبِيّ في تفضيل أبي بكر على عليٍّ كرّم الله وجهه[2].

وفيه من التحامل والعصبية، والتظاهر والحميّة مالا يخفى على من أنصف ولم يكابرْ عقله ويتعسّف.

انظروا إلى تحقيره لفضائل أَمِير المُؤْمِنِيْنَ، وتصغيره لما عظّم الله ورسوله من منزلة سيّد الوصيّين.

---

(١) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤٠و ١٤٦.

(٢) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٣٨-١٤٦.

وهذا ليس من الدين ؛ لأنّ الداعي إلى حُبّ أبي بكر هو الإيمان بربّ العالمين والتصديق لما ورد فيه عن خاتم النبيّين، وهذا بعينه قائمٌ في حقّ الأنزع البطين، بل هو أوجبُ لِما لهُ من الاختصاص بمحمّد أفضل المرسلين.

لولا قلّة اليقين، وعدم المُبالاة بالحواجز المانعة للمتّقين عن التهوّر في أودية التخمين، والانتقاص لوصيّ الرسول الأمين.

اختلاف العلماء في التفضيل

وقبل الكلام على ابْن العَرَبِيّ في ردّ هذه المقالة القائلة، والعقيدة المائلة، نذكر اختلاف العلماء في التفضيل، وما استقرّ عليه رأي المخلصين من علماء التوحيد والتعديل، ثمّ نعود إلى إبطال ما ذكره الشيخ ابن العَرَبِيّ.

فنقول: ذكر العلاّمة عبد الحميد ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى في أوّل شرحه لنهج البلاغة.

فقال: اتّفق شيوخنا كافّة رحمهم الله تعالى المتقدّمون منهم والمتأخّرون، والبصريّون والبغداديّون على أنّ بيعة أبي بكر بيعة صحيحة شرعية، وأنّها لم تكن عن نصّ، وإنّما كانت بالاختيار.

واختلفوا في التفضيل:

فقال قدماء البصريّين، كأبي عثمان عَمْرو بن عبيد، وأبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظّام، وأبي عثمان عَمْرو بن بحر الجاحظ، وأبي معن ثُمامة بن أشرس، وأبي محمّد هشام بن عَمْرو الفُوَطي، وأبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشحّام، وجماعة، يجعلون الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة[1].

وقال البغداديون قاطبةً قدماؤهم و متأخّروهم، كأبي سهل بِشر بن المعتمر، وأبي موسى عيسى بن صبيح، وأبي عبد الله جعفر بن مبشّر، وأبي جعفر الإسكافي، وأبي الحسين الخيّاط، وأبي القاسم عبد الله بن محمود البلخي وتلامذته: إنّ علياً عليه السلام أفضل من أبي بكر.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد: ج١/ ٧.

وإلى هذا المذهب ذهب من البصريّين أبو علي محمّد بن عبدالوهّاب الجُبّائي أخيراً، وكان قبلُ من المتوقّفين، وكان يميل إلى التفضيل ولا يصرّح به، وإذا صنّف ذهب إلى الوقف في مصنّفاته، وكان يقول في كثير من تصانيفه: إن صحّ خبر الطائر فعليٌّ أفضل[١].

ثمّ إنّ قاضي القضاة ﷺ ذكر في شرح «المقالات» لأبي القاسم البلخي أنّ أبا عليّ رحمه الله تعالى ما مات حتّى قال بتفضيل عليّ عليه السلام وقال: إنّه نقل عنه ذلك سماعاً، ولم يوجد في شيء من مصنّفاته، وقال أيضاً: إنّ أبا علي رحمه الله تعالى يوم مات استدنى أبا هاشم إليه ـ وكان قد ضَعُفَ عن رفع الصوت ـ فألقى إليه أشياء، من جملتها القول بتفضيل علي عليه السلام[٢].

وممّن ذهب من البصريّين إلى تفضيله عليه السلام الشيخ أبو عبد الله الحسين بن علي البصري رحمه الله تعالى كان متحقّقاً بتفضيله، ومبالغاً في ذلك، وصنّف فيه كتاباً مفردا[٣].

وممّن ذهب إلى تفضيله قاضي القضاة عبدُ الجبّار بن أحمد رحمه الله تعالى، ذكر ابن مَتّوَيْه عنه في كتاب «الكفاية في علم الكلام» أنّه كان من المتوقّفين بين عليّ عليه السلام وأبي بكر، ثمّ قطع على تفضيل عليٍّ عليه السلام بخبر المنزلة[٤].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد: ج١/ ٧ في الهامش يشير إلى ما رواه الترمذي في باب المناقب ج١٣/١٧٠ بسنده عن أنس بن مالك، ولفظه: كان عند النبيّ ﷺ طير، فقال: «اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير»، فجاء علي فأكل معه.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٨.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٨.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٨.

ومن البصريّين الذاهبين إلى تفضيله ﷺ أبو محمّد الحسن بن محمّد بن مَتَوَيْه صاحب «التذكرة» نصّ في كتاب «الكفاية» على تفضيله ﷺ على أبي بكر، واحتجّ لذلك، وأطال الاحتجاج.

قال ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى: فهذان المذهبان كما عرفت.

وذهب كثير من الشيوخ إلى التوقّف بينهما[1] وهو قول أبي حذيفة واصل بن عطاء، وأبي الهُذيل محمّد بن الهُذَيْل العلاّف، من المتقدّمين، وهما وإن ذهبا إلى الوقف بينه ﷺ وبين أبي بكر و عُمَر قاطعان على تفضيله ﷺ على عثمان[2].

ومن الذاهبين إلى الوقف الشيخ أبو هاشم عبد السلام ابن أبي علي، والشيخ أبو الحسين بن الطيّب البصري[3].

قال ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى: وأمّا نحن فنذهب إلى ما ذهب إليه شيوخنا البغداديون، من تفضيله ﷺ، وقد ذكرنا في كتبنا الكلامية اختصاصه بمزايا التفضيل والخلال الحميدة، وبيّنا أنّه ﷺ أفضل على التفسيرين معاً[4]، وليس هذا الكتاب موضوعاً لذكر الحِجاج في ذلك، أو في غيره من المباحث الكلاميّة، ولهذا موضع هو أملك به. نجز كلامه رضي الله عنه[5].

وممّن قال بتفضيله ﷺ من علماء المعتزلة الحاكمُ أبو سعيد المحسّنُ بن محمّد بن كرامه، رحمه الله تعالى، وانتصر لهذا القول وقال: لنا قوله ﷺ: «أنتَ منّي

---

(١) المطبوع: «فيهما» بدل «بينهما».

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٨.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٩.

(٤) ذكر ﷺ التفسيرين بقوله: ما معنى الأفضل؟ وهل المراد به الأكثر ثواباً؟ أو الأجمع لمزايا الفضل؟

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٩.

بمنزلة هارون من مُوسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي»[1] ومن منازله أنّه أفضل أُمّته، وقوله ﷺ: «من كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ» يدلّ عليه.

ولأنّه اجتمع فيه خصال الفضل، وافترقت في غيره، فكان أفضلهم، ذكره في «عيون المسائل».

---

(١) تاريخ دمشق: ج١/ ٣٠٧ و ٤٢٨، محاسن الأزهار: ٤٢٤، كفاية الطالب: ٢٨١-٢٨٧. وأنظر البروج للمؤلّف: ٢٦٧. والحديث متواترٌ عن النّبيّ ﷺ وقد عدّه جمع ممّن أورد الأحاديث المتواترة في المتواترات. وأنظر لقط اللآلي المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي: ٣٣ الحديث الخامس، قال رواه من الصحابة عشرة.

ويجد الباحث الحديث مرويّاً عن أكثر من عشرين صحابياً في ما جاء في الحديث رقم ٣٣٦ وما بعده من ترجمة أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام من تاريخ دمشق: ج١/ ٣٠٧ بتحقيق المحمودي.

قاعدة

إعلم أنا لا ننكر فضل أبي بكر وأنّه أهل لما يوصف به من الخير، وإنّما كلامنا في إنكار تفضيله على أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ علي عليه السلام ومجرّد القول بالتفضيل لا ننكره أيضاً، لأنّ الأمر في هذا كما ذكره العلاّمة ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى من الخلاف بين علماء الإسلام، والجبال الرواسي من علماء الكلام، وإنّما كلامنا في انتقاص ابْن العَرَبِيّ لأمير المؤمنين كرّم الله وجهه كما رأيته في أثناء كلامه وأبحاثه، وكما مرّ في تحامله على أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ، فلو سلك مسلك العلماء ولم يتعرّض لما لا يعنيه من ذمّه لإمام الأئمّة وسيّد الحكماء، كان كلامنا معه مثل كلامنا مع غيره من المخالفين.

فإن قلتَ: وهل كان من ابْن العَرَبِيّ إلاّ الكلام في تفضيل أبي بكر؟ ومن حقّ من قال بتفضيل شخص على غيره أن ينتصر له بأنواع الكلام وإيراد الفضائل.

قلتُ: ليس الأمر كما ذكرت، بل في كلامه انحراف وزيادة في الاعتساف كما ستراه حين ردّنا مقالته المذكورة إن شاء الله تعالى.

وإذا شئت أن تعرف الفرق بين رجل يعتقد صحّة إمامة أبي بكر وينتصر لها في مذهبه برجل يعتقد صحّة إمامة علي وينتصر لها في مذهبه، فانظر كلام العلاّمة ابن أبي الحديد وأمثاله من العلماء الراسخين، فإنّ كلامه كلام منصف غير منحرف ولا متعسّف.

وقد اختار ما اختاره البغداديون من تفضيل عليّ عليه السلام وانتصر لذلك في كتبه الكلامية[1] وذكره عمّن أسلفنا ذكره من شيوخ المعتزلة كأبي علي وأبي الحسين

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٩.

وقاضي القضاة وابن متّويه وغيرهم، وهؤلاء قالوا بصحّة إمامة أبي بكر وقضوا بتفضيل أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ كرّم الله وجهه[١]، ولم يسلكوا طريقة التعصّب، فلم يُحوجونا إلى الانتصار لصحّة ما ذهبنا إليه، كما هو عادة العلماء وديدن الفضلاء.

فأمّا الأحقاد والإحن والعداوة والحسد، فبابٌ آخر، وفي كلام ضربٌ من هذه الآفة ابتلى بها كثير من الناس، وهي كراهة أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ وسيّد الوصيّين، ولا شكّ أنّها علّةٌ قديمةٌ كان عليه السلام يشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فدام فينا وفيهمْ ما بنا وبهمْ   ومـاتَ أكثرُنـا غيضاً بما يَجِـدُ[٢]

وقد رأيتُ أنْ أُقدّمَ إبطال مقالة ابْن العَرَبيّ من كلام العلاّمة ابن أبي الحديد لُمعاً يسيرة من فضائل أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ، والقصد بذلك ليعرف الواقف عليها كيف تفاضل العلماء في محبّته، وتفاوتهم في مودّته؟

وكم بين كلام ابن العَرَبِيّ، وكلام ابن أبي الحديد في عليّ عليه السلام وصفته ؟!.

قال ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى: فضائله عليه السلام قد بلغت من العِظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغاً سمُج معه التعرّض لذكرها، والتصدّي لتفصيلها، فصارت ـ كما قال أبو العيناء لوزير المتوكّل ـ: أريتني في ما أتعاطى

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٨.

(٢) وجدنا في شعر الكُميت الأوسط (ت: ٦٠هـ) قوله:

إنْ يحسُدُوني فإنّي لا ألُومُهُمُ   قبلي من الناسِ أهْل الفضلِ قد حُسِدُوا

فَدامَ بي وبهِمْ ما لِي وما لَهُمُ   ودامَ أكثرُنا غَيْضاً بما يَجِدُ

ديوانه (٣٢) من موسوعة الشعر العربيّ. وقد وَرَدَ نفسُ الشعر في ديوان بشّار بن برد (ت: ١٦٧هـ) إلاّ أنّ فيه: (وماتَ أكثرُنا غيضاً) فلاحظ موسوعة الشعر العربيّ.

من وصف فضلك، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر، الّذي لا يخفى على الناظر، فأيقنتُ إلى حيث انتهى بي القول منسوبٌ إلى العجز، مقصّرٌ عن الغاية، فانصرفتُ عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، و وكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك[1].

قال ابن أبي الحديد:

وما أقول في رجل أقرّ له بالفضل أعداؤه وخصومه، ولم يمكنهم جحدُ مناقبه، ولا كتمان فضائله، فقد علمتَ أنّه استولى بنو أُميّة على سُلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكلّ حيلة في إطفاء نوره، والتحريف عنه، و وضع المعايب والمثالب له، ولَعَنُوهُ عليه السلام على جميع المنابر، وتوعّدوا مادحيه، بل وحبسوهم، وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلةً، أو يرفع له ذكراً، حتّى حظروا أن يُسمّى أحَدٌ باسمه؟!!!.

فما زاده ذلك إلاّ رفعةً وسُمُوّاً، وكان كالمسك كُلّما سُتِرَ انتشرَ عَرْفُه، وكُلّما كُتِمَ تَضَوَّعَ نَشْرُهُ، وكالشمس لا تُسترُ بالراح، وكضوءِ النهار إذا حُجبتْ عنه عينٌ واحدةٌ، أدركتْهُ عيونٌ كثيرةٌ.

وما أقول في رجل تُعزى إليه كلّ فضيلة، وينتمي إليه كلّ فِرقة، وتتجاذبهُ كلّ طائفة، فهو رئيسُ الفضائل وينبُوعها، وأبو عُذرتها، وسابِقُ مِضمارها، ومُجلّي حَلَبَتِها، كلُّ مَنْ بَرَغَ فيها بعده؛ فمنهُ أخذَ، وبه اقتفى، وعلى مثاله احتذى؟[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٧.

وقد عرفت أنّ أشرف العلوم هو العلم الإلهيّ، لأنّ شرف العلم بشرف معلومِهِ، ومعلومُهُ أشرفُ الموجودات، فكان هو أشرف العلوم، ومن كلامه عليه السلام اقتُبِسَ، وعنه نُقِلَ، وإليه انتهى، ومنه ابتدأ.

فإنّ المعتزلة[1]: ـ الّذين هم أهل التوحيد والعدل، وأرباب النظر، ومنهم تعلّم الناس هذا الفنّ ـ تلامذتُهُ وأصحابه، لأنّ كبيرَهم واصلُ بنُ عطاء: تلميذُ أبي هاشم عبد الله بن محمّد ابن الحنفيّة[2] وأبو هاشم تلميذُ أبيه، وأبوه تلميذُه عليه السلام.

وأمّا الأشعريّة: فإنّهم ينتمون إلى أبي الحسن عليّ بن أبي بشر الأشعريّ، وهو تلميذُ أبي عليّ الجبّائيّ، وأبو عليّ أحدُ مشايخ المعتزلة.

والأشعريّة ينتهون إلى اُستاذ المعتزلة ومعلّمهم، وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وأمّا الإماميّة والزيديّة: فانتماؤهم إليه ظاهر[3].

ومن العلوم علمُ الفقه، وهو عليه السلام أصلُه وأساسُه، وكلُّ فقيه في الإسلام فهو عيالٌ عليه، ومستفيدٌ من فقهه.

أمّا أصحاب أبي حنيفة، كأبي يوسف ومحمّد وغيرهما، فأخذوا عن أبي حنيفة.

وأمّا الشافعي فقرأ على محمّد بن الحسن، فرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة.

وأمّا أحمد ابن حنبل، فقرأ على الشافعي، فرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمّد عليهما السلام وجعفر قرأ على أبيه عليه السلام وينتهي الأمر إلى علي عليه السلام.

---

(١) انظر أمالي المرتضى: ج١/ ١٤٨ وما بعدها، في كلام المؤلّف عن سند المعتزلة إلى علي عليه السلام.

(٢) هو إمام الكيسانية، وعنه انتقلت البيعة إلى بني العبّاس. تنقيح المقال: ج٢/ ٢١٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٧.

وأمّا مالك بن أنس: فقرأ على ربيعة، وقرأ ربيعة على عكرمة، وقرأ عكرمة على عبدالله بن العبّاس، وقرأ عبد الله بن العبّاس على علي بن أَبِي طالِبعليه السلام.

وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك، كان لك ذلك، فهؤلاء الفقهاء الأربعة[١].

وأمّا فقه الشيعة: فرجوعه إليه ظاهراً، وأيضاً فإنّ فقهاء الصحابة كانوا: عُمَر بن الخطّاب وعبد الله بن عبّاس، وكلاهما أخذا عن عليعليه السلام.

أمّا ابن عبّاس فظاهر.

وأمّا عُمَر فقد عرف كلّ أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل الّتي أشكلت عليه وعلى غيره، وقوله غير مرّة: «لولا عليٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ».

وقوله: «لا بقيت لمعضلة ليس فيها أبو حسن».

وقوله: «لا يفتينّ في المسجد وعلي حاضر».

فقد عرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه[٢].

وقد روت العامّة والخاصّة قوله صلى الله عليه وآله: «أقضاكم عليٌّ»[٣] والقضاء هو الفقه. فهو إذن أفقههم.

وروى الكلّ أيضاً أنّهعليه السلام قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضياً: «اللهمّ اهد قلبه، وثبّت لسانه» قال: «فما شككتُ بعدَها في قضاء بين اثنين»[٤] وهوعليه السلام

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٨.

(٣) نقله السيوطي في الجامع الصغير: ج١/ ٥٨ عن مسند أبي يعلى، وانظر البروج في أسماء أمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام للمؤلّف رحمه الله حرف الألف بعنوان: «أُذن واعية».

(٤) رواه أبو داود في كتاب الأقضية: ج٣/ ٤٠٩ بسنده عن عليعليه السلام، ولفظه: بعثني رسول اللهصلى الله عليه وآله إلى اليمن قاضياً، فقلت: يا رسول الله ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي

الّذي أفتى في المرأة الّتي وضعت لستّة أشهر، وهو أفتى في الحامل الزانية[1] وهو الّذي قال في المنبريّة: «صار ثُمنُها تُسْعاً»[2].

وهذه المسألة لو فكّر الفرضي فيها فكراً طويلا، لاستُحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنّك في من قاله بديهةً واقتضبه ارتجالا[3]!.

ومن العلوم تفسير القرآن، وعنه أُخذ، وعنه تفرّع، وإذا رجعتَ إلى كتب التفسير علمتَ صحّة ذلك، لأنّ أكثره عنه، وعن عبد الله بن العبّاس، وقد علم الناس حال ابن عبّاس في ملازمته، وانقطاعه إليه، وأنّه تلميذه وخرّيجه؛ وقيل له: أين علمك من علم ابن عمّك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط[4].

بالقضاء، فقال: «إنّ الله سيهدي قلبك، ويثبّت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان، فلا تقضينّ حتّى تسمع من الآخر، كما سمعت من الأوّل، فإنّه أحرى أن يتبيّن لك القضاء»، قال: فما زلت قاضياً أو ما شككت في قضاء بعد.

(١) ذكر القرطبي في تفسيره: ج١٦/ ١٩٣ عند الكلام على تفسير قوله تعالى: ﴿**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**﴾ أنّ عثمان قد أتي بامرأة قد ولدت لستّة أشهر، فأراد أن يقضي عليها بالحدّ، فقال له علي (رضي الله عنه): «ليس ذلك عليها، قال الله تعالى: ﴿**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**﴾».

(٢) سمّيت المنبريّة، لأنّها سئل عنها وهو على المنبر، فأفتى من غير روية، وبيانها أنّه سئل في ابنتين وأبوين وامرأة، فقال: «صار ثمنها تسعاً»، قال أبو عبيد: أراد أنّ السهام عالت حتّى صار للمرأة التسع، ولها في الأصل الثمن؛ وذلك أنّ الفريضة لو لم تَعُلْ كانت من أربعة وعشرين، فلمّا عالت صارت من سبعة وعشرين، فللابنتين الثلثان: ستّة عشر سهماً، وللأبوين السدسان: ثمانية أسهم، وللمرأة ثلاثة من سبعة وعشرين، وهو التسع، وكان لها قبل العول ثلاثة من أربعة وعشرين، وهو الثمن. وانظر النهاية لابن الأثير: ج٣/ ١٣٩، واللسان: ج١٣/ ٥١٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٨ ـ ١٩.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٩.

ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة، وأحوال التصوّف، وقد عرفت أنّ أرباب هذا الفنّ في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون، وعنده يقفون، وقد صرّح بذلك الشبلي والجنيد والسري وأبو يزيد البسطامي، وأبو محفوظ معروف الكرخي، وغيرهم.

ويكفيك دلالة في ذلك الخرقة الّتي هي شعارهم إلى اليوم، وكونهم يسندونها بإسناد متّصل إلى علي عليه السلام[1].

ومن العلوم علم النحو والعربيّة، وقد علم الناسُ كافّةً أنّه هو الّذي ابتدعه وأنشأه وأملى عليه السلام على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأُصوله، من جملتها: «الكلام كلّه ثلاثة أشياء: اسم، وفعل، وحرف» ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجرّ والجزم[2]، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات؛ لأنّ القوّة البشريّة لا تفيء بهذا الحصر، ولا يتفطّن بهذا الاستنباط.

وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية، والفضائل النفسانيّة والذاتيّة، وجدته «ابن جلاها وطلاّع ثناياها»[3].

وأمّا الشجاعة، فإنّه أنسى الناس فيها من ذكر ممّن كان قبله ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة يُضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الّذي ما فرّ قطّ، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلاّ قتله؛ ولا ضرب ضربة فاحتاجت إلى الثانية، وفي الحديث: «كانت ضرباته وتراً».

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٩.

(٢) معجم الأدباء: ج١٤/ ٤٢-٥٠.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج١/ ٢٠.

ولمّا دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب ويقتلُ أحدهما، قال له عَمْرو: لقد أنصفك، قال له معاوية: ما غششتني منذ صحبتني إلاّ اليوم، أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنّه هو[1] أراك طمعت في إمارة الشام بعدي!

وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأمّا قتلاه فافتخار رهطهم بأنّه ﷺ قتلهم أظهر وأكثر، قالت أُخت عَمْرو بن عبدوَدٍّ:

لو كان قاتلُ عَمْرو غيرَ قاتلهِ ... بكيتُهُ ما أقام الروحُ في جسدي

لكنّ قاتلَهُ مَن لا نظيرَ لَهُ ... وكانَ يُدعى أبوهُ بيضةَ البَلَدِ

وانتبه معاوية يوماً فرأى عبد الله بن الزُبير جالساً تحت رجليه على سريره فقعد، فقال له عبدُ الله: يا أمير المؤمنين لو شئتُ أن أفتكَ بكَ لَفعلتُ.

فقال معاوية: لقد شجعتَ بعدَنا يا أبا بكر!

قال: وما الّذي تنكرهُ من شجاعتي، وقد وقفتُ في الصفّ إزاءَ عليّ بن أَبِي طالِب!

قال: لا جرم، إنّه قتلكَ وأباكَ بِيُسرى يديه، وبقيت اليُمنى فارغةً يطلبُ مَن يقتلُهُ بِها.

وجملة الأمر: أنّ كلّ شجاع في الدنيا إليه ينتمى وباسمه ينادي في مشارق الأرض ومغاربها[2].

وأَمّا القوّةُ والأَيْدُ: فبِهِ يُضرب المَثَل فيهما؛ قال ابن قتيبة في «المعارف»: ما صارع أحداً قطّ إلاّ صرعه.

---

(١) المطبوع: «الشجاع المطرق» بدل «هو».

(٢) شرح نهج البلاغة: ج١/ ٢٠-٢١.

وهو الّذي قلع باب خيبر واجتمع عليه عصبة من الناس ليقلّوه، فلم يقلوه[١].

وهو الّذي اقتلع هُبَل من فوق الكعبة، وكان عظيماً جدّاً، فألقاهُ إلى الأرض، وهو الّذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيّام خلافته بيده بعد عجز الجيش كلّه عنها، فنبع الماء من تحتها[٢].

وأمّا السخاء والجود: فحاله فيه ظاهر، كان يصوم ويطوى ويؤثر بزاده، وفيه أنزل الله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا**﴾[٣].

وروى المفسّرون[٤] أنّه لم يملك إلاّ أربعة دراهم؛ فتصدّق بدرهم ليلا، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية؛ فأنزل الله فيه: ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً**﴾[٥].

وروى أنّه كان يسقى بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتّى مجلت يده[٦] ويتصدّق بالأُجرة، ويشدّ على بطنه الحِجْرَ.

وقال الشعبيّ ـ وقد ذكره ﷺ ـ: كان أسخى الناس، كان على الخُلق الّذي

---

(١) المطبوع: ليقلبوه فلم يقلبوه.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٢١.

(٣) الإنسان: ٨ ـ ٩.

(٤) الكشف والبيان للثعلبي: ج٢/ ٢٧٩، ومعاني القرآن للجصاص: ج١/ ٣٠٥، وأسباب النزول للواحدي: ٥٨.

(٥) البقرة: ٢٧٤.

(٦) مجلت يده، أي ثخن جلده وتعجر وظهر فيه ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنه، ومنه حديث فاطمة ؛: أنّها شكت إلى علي ؛ مجل يديها من الطحن. النهاية لابن الأثير: ج٤/٨٠.

يحبّه الله تعالى: الشجاعة والجود، وما قال لسائل قطّ: [لا][١].

وقال عدوّه ومبغضه الّذي يجتهد في وَصْمه وعيبه معاويةُ بنُ أبي سفيان لِمحْفَن بن أبي مِحْفَن[٢] الضَبّيّ ـ لمّا قال له: جئتُك من عند أبخل الناس!ـ: وَيْحكَ! كيفَ تَقول: إنّه أبخلُ الناس، ولو ملك بَيْتاً من تِبْر و بَيْتاً من تِبْن؛ لأنفذَ تِبْرَهُ قبلَ تِبْنِهِ ؟.

وهو الّذي كان يكنسُ بيوتَ الأموال ويصلّي فيها.

وهو الّذي قال: **«يا صفراءُ ويا بيضاءُ غُرّي غيري»**.

وهو الّذي لم يخلّفْ مِيراثاً، وكانت الدنيا بيده كلّها، إلاّ ما كان من الشام[٣].

وأمّا الحلم والصفح: فكان أحلم الناس من ذَنْب وأصفحهم عن مسيء، وقد ظهر من صحّة ما قلناهُ ما كان يوم الجَمَلِ؛ حينَ ظفرَ بِمَروان بن الحكم ـ وكان أعدى الناس لَهُ، وأشدّهم بُغضاً ـ فَصَفَحَ عنه.

وكان عبد الله بن الزُبير يشتمُهُ على رُؤوس الأشهاد، وخَطَبَ يوماً في البصرة، فقال: قد أتاكم الوَغْدُ اللئيمُ عليُّ بنُ أبي طالِب!

وكان عليٌّ عليه السلام يقول: «ما زال الزُبيرُ رجلا مِنّا أهلَ البيت حتّى شَبَّ عبدُ الله»، فظفرَ به يوم الجَمَلِ، فأخَذَهُ أسيراً، فصفحَ عنه وقال: «اذهبْ فلا أَرَيَنَّكَ» لم يزده على ذلك.

وظفر بسعيد بن العاص ـ وكان له عدوّاً ـ فأعرضَ عنهُ، ولم يقلْ له شيئاً[٤].

---

(١) المطبوع: ما قال «لا» لسائل قط.

(٢) أورده الذهبي في المشتبه: ٥٧٣ قال: وفد على معاوية.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٢١-٢٢.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٢٢.

وقد علمتَ ما كان من عائشة في أمره، فلمّا ظفرَ بها أكْرَمَها، وبَعَثَ بها إلى المدينة في سبعين امرأة من نساء عبد القيس، عَمَّمَهُنَّ بالعمائم، وقلَّدَهُنَّ بالسُّيوف، فلمّا كانتْ ببعض الطريق ذكَرَتْهُ بما لا يجوزُ أن يُذكرَ بِهِ، وتأفّفتْ وقالَتْ: هَتَكَ ستري بِرجالِهِ وجُنْدِهِ الّذين وَكّلَهُمْ بِي، فلمّا وصلت المدينةَ ألقى النِساءُ عمائمَهُنّ، وقلنَ لَها: إنّما نحن نسوةٌ!!.

وحارَبَهُ أهلُ البصرة، وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيف وشتموه ولعنوه، فلمّا ظفر بهم رَفَعَ السيفَ عنهم، ونادى مناديه في أقطاب العسكر، ألا لا يُتْبَع مولٍّ، ولا يجهَز على جريح، ولا يقتل مستأسَر، ومَنْ ألقى سلاحه فهو آمِنٌ، ومن تحَيّزَ إلى عسكر الإمام فهو آمِنٌ.

ولو شاء أن يفعلَ ذلكَ لَفَعَلَ، ولكنّه أبى إلاّ الصفحَ والعفوَ.

وتقيّلَ سُنّةَ رسول الله ﷺ يوم فتح مكّة، فإنّه عفا؛ والأحقادُ لم تَبْرُدْ، والإساءَةُ لم تُنْسَ.

ولّما ملك عسكرُ معاوية عليه الماءَ، وأحاطوا بشريعة الفُرات، وقال رؤساء أهل الشام له: اقتلهم بالعَطش، كما قتلوا عُثمان عَطَشاً.

سألهم عليٌّ عليه السلام وأصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء.

فقالوا: لا والله، ولا قطرة حتّى تموت ويموتوا ظَمَأً، كما مات ابن عفّان.

فلمّا رأى عليه السلام أنّه الموتُ لا محالَةَ؛ تقدّمَ بأصحابه، وحملوا على عسكر معاوية حملات كثيفةً، حتّى أزالوهم عن مراكزهم، بعد قتل ذَريع، سقطتْ منه الرؤوسُ والأيدي، وملكوا عليهم الماءَ، فصارَ أصحابُ معاوية في الفلاة، لا ماءَ لهم، فقال له أصحابُهُ وشيعتُهُ: امْنعْهُم الماءَ يا أَمِير المُؤْمِنِيْنَ، كما

منعوك، ولا تَسقهم منه قطرةً، واقتلهم بسيوف العطش، وخُذْهم قَبضاً بالأيدي، فلا حاجةَ لَكَ إلى الحرب.

فقال عليه السلام: «والله لا أُكافئهم بمثلِ فِعلِهِم، افسَحُوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حدّ السيفِ ما يُغني عن ذلك».

فهذه إنْ نسبتَها إلى الدين والورع، فأخلِقْ أنْ تصدرَ عن مِثلِهِ عليه السلام[1]!.

ومن حلمه وفضله كلامه في وصيّة للحسنين عليهما السلام وقد ضربه اللعين بن ملجم ـ لعنه الله ـ: «يا بني عبد المطّلب، لا ألفينّكم تخوضون دماءَ المسلمين خوضاً، تقولون: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيْنَ، قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيْنَ انظروني، فإذا أنا مُتُّ من ضربته هذه فاضربوه ضربةً بضربة، ولا يُمثَّل بِالرجل، فإنّي سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: «إيّاكُمْ والمُثلةَ ولو بالكلبِ العَقُورِ». فنهى عن المثلة به حلماً وكرماً وفضلا.

وأمّا الجهادُ في سبيل الله: فمعلومٌ عند صديقه وعدوّه: أنّه سيّدُ المُجاهدين؛ وهل الجهادُ لأحد من الناس إلاّ له؟!

وقد عرفتَ أنّ أعظم غزاة غزاها رسولُ الله صلى الله عليه وآله صلواتُ الرحمن عليه وآله، وأشدَّها نكايةً في المشركين «بدرٌ الكُبرى» قُتِلَ فيها سبعون من المشركين، قَتَلَ عليٌّ عليه السلام نصفَهم، وقَتَلَ المسلمون والملائكةُ النصفَ الآخَرَ، وإذا رجعتَ إلى مغازي محمّد بن عُمَر الواقديّ، وتاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذريّ، وغيرهما ـ علمتَ صحّة ذلك، دعْ مَنْ قتله في غيرها، كأحُد والخندق وغيرهما.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٢٣-٢٤.

وهذا الفصلُ لا معنى للإطناب فيه، لأنّه من المعلومات الضروريّة كالعلم بوجود مكّة ومصر وغيرهما[1].

وأمّا الفصاحة: فهو عليه السلام إمام الفصحاء وسيّد البلغاء؛ وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين، ومنه تعلم الناس الفصاحة والخطابة والكتابة.

قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبة من خطب أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ، ففاضت ثمّ فاضت.

وقال ابن نُباتة: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلاّ سعة وكثرة، حفظت منه فصلاً من مواعظ عليّ بن أَبِي طالِب عليه السلام.

ولّما قال محفن بن أبي محفن لمعاوية: جئتك من عند أعيى الناس!

قال له: ويحك! كيفَ يكون أعيى الناس! و اللهِ ما سنّ الفصاحةَ لقريش غيره.

ويكفي «نهج البلاغة» دلالة على أنّه لا يجارى في الفصاحة ولا يبارى في البلاغة، وحسبك أنّه لم يُدوَّنْ لأحد من فصحاء الصحابة العُشْر ولا نصف العُشْر ممّا دُوِّنَ له.

وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظُ من مدحه في كتاب «البيان والتبيين» وفي غيره من كتبه[2].

وأمّا سجاحة الأخلاق وبِشْر الوجه، وطلاقه المحيّا والتبسّم: فهو المضروب به المَثَل فيه حتّى عابه بذلك أعداؤه.

قال عَمْرو بن العاص لأهل الشام: إنّه ذو دُعابة شديدة.

(۱) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج۱/ ۲٤.

(۲) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج۱/ ۲٥.

وقال ﷺ في ذلك: «عجباً لابن النابغة! يزعم لأهل الشام: أنّ فيَّ دعابة، وأنّي امرؤٌ تِلعابة أُعافس وأُمارس»[١].

وعَمْرُو بن العاص إنّما أخذها من عُمَرَ لِقوله له لّما عزم على استخلافه: «للهِ أبوك لولا أنّ فيك دُعابةً».

إلاّ أنّ عُمَر اقتصر عليها، وعَمْرٌو زاد فيها و سمّجها.

وقال صعصعةُ بن صوحان وغيره من شيعتهﷺ وأصحابه: كان فينا كأحدنا لين جانب، وشدّة تواضع، وسهولة قياد وكنّا نهابه مهابة الأسير المربوط للسيّاف الواقف على رأسه.

وقال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أبا الحسن، فلقد كان هَشّا بَشّا، ذا فُكاهة، فقال قيس: نعم، كان رسول الله ﷺ يمزح ويبتسم إلى أصحابه، وأراك تسرّ حَسْواً في ارتِغاء[٢] وتعيبه بذلك! أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة، أهيَبَ من ذي لِبْدتين، قد مسّه الطوى، تلك هيبةُ التقوى، ليس كما يهابك طَغامُ الشام.

وقد بقي هذا الخلق مُتوارثاً مُتناقلا في محبّيه وأوليائه إلى الآن، كما بقى الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر ومَن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك[٣].

---

(١) «التلعابة» ـ بفتح التاء وكسرها ـ: الكثير اللعب والمرح، و«المعافسة»: الملاعبة أيضاً، و«الممارسة»: ملاعبة النساء، والخبر أورده ابن الأثير في النهاية: ج١/ ١١٧، و ج٣/ ٥٩ و١١٠، و ج٤/ ٥٩ و٨٩. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٢٥.

(٢) في المثل: «هو يسر حسواً في ارتغاء» يضرب لمن يظهر أمراً وهو يريد غيره. اللسان: ج١٩/ ٤٦.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٢٥-٢٦.

وأمّا الزهد في الدنيا: فهو ﷺ سيّد الزهّاد، وبدل الأبدال، وإليه في ذلك تشدّ الرحال وعنده تُنقَضُ الأحلاس، ما شبع من طعام قطّ، وكان أخشن الناس مأكلا وملبساً؛ قال عبيد الله بن أبي رافع: دخلت إليه يوم عيد، فقدّم جِراباً مختوماً، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً، فقُدّم فأكل.

فقلتُ: يا أَمِير المُؤْمِنِيْنَ فكيف تختمه؟

قال: «خفتُ هذين الولدين أن يُليّناهُ بسمن أو زيت»[1].

وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة وبليف أُخرى، ونعلاه من ليف.

وكان يلبس الكرابيس[2] الغليظة، فإذا وجد كمه طويلاً قطعه بشفرة، ولم يخطه، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتّى يبقى سدى لا لحمة له.

وكان يأتدم إذا ائتدم بخلّ أو بملح، فإن ترقى عن ذلك فببعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فقليل من ألبان الإبل، ولا يأكل اللحم إلاّ قليلا، ويقول: «لا تجعلوا بطونكم قبور الأنعام».

وكان مع ذلك أشدّ الناس قوّة وأعظمهم أيْداً، لم ينقص الجوع قوّته ولا يخوّن الإقلال منّته.

وهو الّذي طلّق الدنيا، وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلاّ من الشام، فكان يفرّقها ويمزقها، ويقول: «هذا جناي وخياره فيه»[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٢٦.

(٢) الكرباس بالكسر: ثوب من القطن الأبيض، معرب.

(٣) للبيت تكملة: «إذ كلّ جان يده إلى فيه»، أنشده عَمْرُو بن عديّ حينما كان غلاماً، وكان يخرج مع الخدم يجتنون للملك «جذيمة الأبرش» الكمأة، فكانوا إذا وجدوا كمأه خياراً أكلوها وأتوا بالباقي إلى الملك وكان عَمْرٌو لا يأكل منه، ويأتي به كما هو، وينشد البيت، وانظر القاموس: ج٣/ ٢٥٩-٢٦٠، وحديث عليّ ﷺ ورد مفصّلا في حلية الأولياء: ج١/ ٨١. شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ج١/ ٢٦.

وأمّا العبادة، فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلّم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد وقيام الليل، وما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يُبسط له نِطَعُ بين الصفّين ليلة الهرير، فيصلي عليه ورده والسهام تقع بين يديه وتمرّ على صِماخيه يميناً وشمالا، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتّى يفرغ من وظيفته! وما ظنّك برجل كانت جبهته كثَفِنَة البعير لطول سجوده!(١).

وأنتَ، إذا تأمّلتَ دعواته ومُناجاته، و وقفتَ على ما فيها من تعظيم الله سبحانَه وإجلالِهِ، وما يتضمّنهُ من الخُضوع لهيبتِهِ، والخُشوع لعزّتِهِ والاستجداء لعظمتِهِ؛ عرفتَ ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمتَ من أيِّ قلب خَرَجَتْ؟ وعلى أيِّ لسان جَرَت؟.

وقيلَ لعليّ بن الحسين زين العابدين ﷺ ـ وكان الغايةَ في العبادة ـ: أينَ عبادتُكَ من عبادةِ جَدِّكَ؟ فقال: «عبادتي عندَ عبادةِ جدّي: كعبادةِ جدّي عندَ عبادةِ رسول الله ﷺ»(٢).

وأمّا قراءة القرآن والاشتغال به: فهو المنظور إليه في هذا الباب؛ اتّفق الكلّ على أنّهُ كان يحفظُ القرآن على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن غيرُهُ يحفظُه، ثمّ هو أوّلُ مَنْ جَمَعَه؛ ونَقلوا كُلُّهم أنّه تأخّرَ عن بيعة أَبِي بَكْر:

فأهلُ الحديث لا يقولون ما تقول الشيعة من أنّه تأخّرَ مخالفةً للبيعة، بل يقولون: تشاغَلَ بجمع القُرآن.

فهذا يدلّ على أنّه أوّلُ مَنْ جَمَعَ القرآن، لأنّه لو كان مجموعاً في حياة رسول الله ﷺ لما احتاجَ إلى أن يتشاغَلَ بجمعه بعد وفاته(٣).

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٢٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٢٧.

وإذا رجعتَ إلى كتب القِراءات؛ وجدتَ أئمّةَ القُرّاء ـ كُلُّهم ـ يرجعون إليه، كأبي عَمْرو ابن العلاء، وعاصم بن أبي النجود، وغيرهما، لأنّهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السُلَمِي القارئ، وأبو عبد الرحمن كان تلميذَه، وعنه أخذَ القُرآن[١].

فقد صار هذا الفنُّ من الفُنون الّتي تنتهي إليه أيضاً، مثل كثير ممّا سبق[٢].

و أَمّا الرأي والتدبير: فكان عليه السلام من أسَدِّ الناس رأياً، وأصحّهم تدبيراً:

وهو الّذي أشار على عُمَر بن الخطّاب ـ لمّا عَزَمَ أن يتوجّهَ بنفسه إلى حرب الروم وفارس ـ بما أشار إليه.

وهو الّذي أشار على عُثمان بأُمور كان صلاحُه فيها، ولو قَبِلَها لم تحدثْ عليه ما حَدَثَ.

وإنّما قال أعداؤه: «لا رأيَ له» لأنّه كان مُتقيّداً بالشريعة لا يرى خلافَها ولا يعملُ بما يقتضي الدينُ تحريمَه، وقد قال هو عليه السلام: «ولولا الدينُ لكنتُ أدهى الناس» ـ وفي رواية: «أدهى العرب»ـ.

وغيره من الخُلفاء كان يعملُ بمقتضى ما يستصلحُهُ ويستوفِقُهُ؛ سواءاً كان مطابِقاً للشرع أو لم يكن؟! ولا ريبَ أنَّ مَنْ يعملُ بما يؤدّى إليه اجتهاده، ولا يقفُ مع ضوابط وقيود يُمنع لأجلها ممّا يرى الصلاح فيه؛ تكونُ أحوالُهُ الدنيويّة إلى الانتظام أقربَ، ومَنْ كان بخلاف ذلك؛ تكون أحوالُهُ الدنيويّة إلى الانتشار أقربَ[٣].

---

(١) وقد أعلن شعبة أنّ السلمي لم يروِ عن غير عليّ. لاحظ: الطبقات لابن سعد: ج٦/١٧٢، والجرح والتعديل للرازي: ج١/١٣١، والثقات لابن حبّان: ج٥/ ٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٢٧-٢٨.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٢٨.

وأمّا السياسة: فإنّهُ كان شديدَ السياسة، خَشِناً في ذات الله تعالى، لم يُراقبْ ابنَ عمّه في عمل كان ولاّهُ إيّاهُ، ولا راقَبَ أخاهُ عقيلا في كلام جَبَهَهُ به.

فأحرقَ قوماً بالنار، ونقضَ دار مَصْقَلة بن هُبيرة، ودار جرير بن عبد الله البَجَلي، وقطع جماعةً، وصَلَبَ آخرين.

ومن جملة سياسته: حُرُوبُهُ في أيّام خلافته بالجمل وصفّين والنهروان، وفي أقلّ القليل منها مقنعٌ، فإنّ كلّ سائس في الدُنيا لم يبلغ فتكُهُ وبَطْشُهُ وانتقامُهُ مبلغَ العُشر ممّا فعل ﷺ في هذه الحروب بيده وأعوانه.

فهذه هي خصائصُ البشر ومزاياهم، قد أوضحنا أنّه فيها الإمامُ المُتّبعُ فعلُهُ والرئيسُ المُقتفىْ أَثَرُهُ[1].

قال ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى: وما أقول في رجل

يُحبّهُ أهلُ الذمّة؛ على تكذيبهم بالنُبوّة؟!.

وتُعظّمهُ الفلاسفةُ؛ على مُعاندتهم لأهل الملّة!.

وتُصوِّرُ مُلوكُ الفرنج والروم صُورَتَهُ في بِيَعِها وبُيُوتِ عِبادتها، حاملاً سيفه!.

وكانَتْ ملوك الإسلام تصوّر صورته على أسيافها!

كان على سيف عضد الدولة ابن بُوَيْه، وسيف أبيه ركن الدولة، صورتُهُ.

وكان على سيف آلب أرسلان، وابنه ملك شاه صورتُهُ.

وكأنّهم يتفاءلون به النصرَ والظَفَرَ[2].

وما أقولُ في رجل

أحبَّ كلُّ أَحَد أن يتكثّرَ به، ووَدَّ كلُّ أَحَد أن يَتَجَمّلَ به، ويتحسّنَ

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٢٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٢٨.

بالانتساب إليه، حتّى الفُتُوّة الّتي أحسنُ ما قيل في حدّها: «أنْ لا تستحسنَ من نفسِكَ ما تَستَقْبِحُهُ من غيرك» فإنّ أربابَها نسبُوا أنفسَهم إليه؟ وصنّفوا في ذلك كُتُباً، وجعلُوا لذلك إسناداً أنْهَوْهُ إليه وقصروهُ عليه، وسمّوهُ «سيّدَ الفِتيان» وعضدوا حُجّة مذهبهم بالبيت المشهور المرويّ أنّه سُمِعَ من السماء يومَ أُحُد:

لا سَيْفَ إلاّ ذُو الفِقارِ ولا فَتى إلاّ عَلِيّ

قال ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى: وما أقول في رجل أبوهُ أبو طالِب سيّد البَطحاء، وشيخُ قُريش، ورئيسُ مكّةَ؟

قالُوا: قَلَّ أَنْ يُسوُّدَ فقيرٌ، وسادَ أبو طالِب وهو فقيرٌ، وكانتْ قُريش تُسمّيه «الشيخ».

وفي حديث عفيف الكِندي[1]: لّما رأى النَبيَّ ﷺ يُصلّي في بدء الدعوة، ومعهُ غُلامٌ وامرأةٌ.

قال: فقلتُ للعبّاس: أيّ شيء هذا؟

قال: هذا ابنُ أخي، يزعمُ أنّهُ رسولُ الله إلى الناس، ولم يتبعهُ على قوله إلاّ هذا الغلامُ ـ وهو ابن أخي ـ وهذه المرأةُ زوجتُهُ.

فقلتُ: فما الّذي تقولونهُ أنتُمْ؟

قال: ننتظرُ ما يفعلُ الشيخُ. قال ـ يعني أبا طالب ـ.

وأبو طالب هو الّذي كَفَلَ رسولَ الله ﷺ صغيراً، وحماهُ وحاطه كبيراً، ومنعهُ من مُشركي قُريش، ولَقِيَ لأجلهِ عناءً عظيماً، وقاسى بلاءً شديداً، وصبرَ على نصرهِ والقيام بأمرهِ.

---

(١) الخبر في أُسد الغابة: ج٣/ ٤١٤ مع اختلاف في الرواية، والاستيعاب: ج٣ / ١٢٤٢-١٢٤٣.

وجاء في الخبر: أنّه ﷺ لّما تُوُفّيَ أبو طالب أُوْحِيَ إليه ﷺ وقيل له: اخْرُجْ منها، فقد ماتَ ناصِرُكَ.

وله ـ مع شَرَفِ هذهِ الأُبوّةِ ـ أنّ ابن عمّه محمّدٌ سيّدُ الأوّلين والآخرين وأخاهُ جعفرٌ ذُو الجناحين، الّذي قال له رسول الله ﷺ: «أشبهتَ خَلقي وخُلقي» فمرّ يحجلُ فَرَحاً.

وزوجتَهُ سيّدةُ نِساء العالمين، وابنيه سيّدا شباب أهل الجنّة، وآباءَه آباء رسول الله ﷺ وأُمّهاته أُمّهات رسول الله ﷺ.

وهو مسوطٌ بلحمه ودمه، ولم يُفارقه مُنذُ خلق الله آدَمَ، إلى أن ماتَ عبد المُطّلب وافترق بين الأخوين عبد الله وأبي طالب، وأُمّهما واحدةٌ، فكان منهما سيّدا الناس؛ هذا الأوّل وهذا الثاني، وهذا المُنذرُ وهذا الهادي![1].

وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهُدى، وآمن بالله و عَبَدَهُ وكلُّ مَنْ في الأرض يعبدُ الحَجَرَ، ويجحدُ الخالق؛ لم يسبقهُ أحد إلى التوحيد إلاّ السابق إلى كلّ خير محمّدٌ رسولُ الله ﷺ؟.

ذهبَ أكثرُ أهل الحديث إلى أنه ﷺ أوّلُ الناس اتّباعاً لرسول الله ﷺ وإيماناً به، ولم يُخالفْ في ذلك إلاّ الأقلّون.

وقد قال هو ﷺ: «أنا الصدّيقُ الأكبرُ، وأنا الفاروقُ الأوّلُ، أسلمتُ قبلَ إسلام الناس، وصلّيتُ قبل صلاتهم».

قال ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى: ومَنْ وقفَ على كُتُب أصحاب الحديث تحقّقَ ذلك وعلمهُ واضحاً.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٢٩-٣٠.

وإليه ذهبَ الواقديّ، وابنُ جرير الطبريّ، وهو القول الّذي رجّحهُ ونصرهُ صاحبُ كتاب «الاستيعاب»[١].

وإنّما نذكر في مقدّمة كتابنا هذا جُمَلا من فضائله، عنّتْ بالعَرَض لا بالقصد، وأوجبتْ أن نختصرَ ونقتصرَ، فلو أردنا شرحَ مناقبه وخصائصه؛ لاحتجنا إلى كتاب مفرد يُماثل حجم هذا الكتاب أو يزيد عليه، وبالله التوفيق[٢].

تمّ كلامه، وأراد بهذا الكتاب شرحه لنهج البلاغة وهو عشرون مجلّداً.

فانظر رحمك الله تعالى إلى كلام هذا الرجل! وكم بينه وبين كلام ابن العَرَبيّ؟! مع استوائهما في اعتقاد صحّة إمامة أبي بك!

وكيف حَلَّقَ ابنُ أبي الحديد في محبّة أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ كرّم الله وجهه ؟ وأَسَفَّ فيها ابنُ العَرَبِيّ؟.

وكيفَ أطنبَ هذا في فضائله؟ وقصّرَ هذا في مناقبه؟.

وكيفَ رَفَعَ هذا من قدره؟ وكيفَ وَضَعَ هذا من حقّه؟!

---

(١) الاستيعاب لابن عبدالبرّ القرطبي: ج٢/ ٤٥٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٣٠ وانظر ترجمته ﷺ وأخباره أيضاً في أُسد الغابة: ج٤/١٦-٤٠، والاستيعاب: ج٣/١٠٨٩-١١٣٣، والإصابة: ج٤/٢٦٩-٢٧١، وإنباء الرواة: ج١/١٠-١٢، وتاريخ الإسلام للذهبي: ج٢/١٩١-٢٠٧، وتاريخ بغداد: ج١/١٣٣-١٣٨، وتاريخ أبي الفداء: ج١/١٨١-١٨٢، وتاريخ الطبري: ج٦/٨٨-٩١، وتاريخ ابن كثير: ج٧/ ٣٤٤-٣٤٩، وتهذيب التهذيب: ج٧/٣٣٤-٣٣٩، وحلية الأولياء: ج١/٦١-٨٧، والرياض النضرة: ج٢/١٥٣-٢٤٩، وشذرات الذهب: ج١/ ٤٩-٥١، وصفوة الصفوة: ج٣/ ١١٩-١٤٤، وطبقات ابن سعد: ج٢/ ٣٣٧ و ج٣/ ١٩ و ج٦/ ١٢، وطبقات القراء لابن الجوزي: ج١/ ٥٤٦-٥٤٧، ومروج الذهب: ج٢/ ٤٥-٥٠، والمعارف: ج٣/ ٢٠-٢١٨، ومعجم الأُدباء: ج١٤/ ٤١-٥٠، ومعجم الشعراء: ٢٧٩-٢٨٠، ومقاتل الطالبيين: ٢٤-٤٥، والنجوم الزاهرة: ج١/ ١١٩-١٢٠.

وكيفَ رَجّحَ هذا من فضله ؟ وكيفَ خفّفَ هذا من وزنه؟!

وهكذا تصنعُ المحبّةُ بأهلها، والكراهةُ بأربابها!

وما أُتِيَ الناسُ ـ من ابتداء الأمر في عليّ عليه السلام إلى هذه الغاية ـ إلاّ من قِبَلِ الحَسَد والكَراهة.

ومَنْ أنصفَ الحقَّ من نفسه، وأعطى الفضلَ أهلَه، لم يفتقرْ إلى نصب دليل على أنّ عليّاً عليه السلام أفضلُ الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

والفضلُ له تفسيران: أحدهما: أنّه الأكثر ثواباً. والثاني: الأكثر عملاً.

و بالتفسير الأوّل: لا طريق لنا إليه، لأنّه ممّا استأثر الله تعالى بعلمه.

وأمّا بالتفسير الثاني: فنحن نعلم أنّ عليّاً عليه السلام أكثر علماً وعملا وجهاداً وسابقة وفضائل، وبهذه الطريق يكون أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ٩.

جمل من كلام أبي القاسم البستيّ

وإذ قد نجزنا من كلام ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى، فإنّا نعطف الكلام إلى ذكر جمل من كلام أبي القاسم البستي، وهو من كبراء المعتزلة والقائلين بإمامة أبي بكر، وقد تكلّم في فضائل علي عليه السلام وجمع فيها كتابه المعروف بكتاب «المناقب» ونحن نشير إلى اليسير من كلامه وننبّه على القليل من دلائله وإعلامه ليعرف الناظر في هذا الكتاب كيف يتفاضل العلماء في محبّة أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام.

وإنّما اخترنا هذين الرجلين ـ دون غيرهما من علماء الزيدية ـ لأنّهما من رجال المعتزلة المصحّحين لإمامة مَنْ تقدّم على أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام؛ والمناضلين عنهم في حومة الجدال بسهام الكلام.

فلو ذكرنا كلام الزيديّة أو الإماميّة لم يكن حريّاً، وربما كان الناظر فيه سُنّيّاً، فإنّ ذلك ديدنُ المتعصّب بصحّة مذهبه، وإذا أتى الكلام من فضل عليّ عليه السلام ممّن هذه حاله، لم يكن له في القلوب كلّ الوقوع، وإن كان مبتنياً على الدليل وناهجاً لأوْضَح سبيل.

فنقول: قد تقدّم كلام ابن أبي الحديد، وهذا كلام أبي القاسم البُستي:

الفضائل تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- شايع بين الصحابة وله عليه السلام مزيّة فيها.
- وقسم يختصّ واحداً واحداً، من الصحابة وفيه مجموع ذلك.
- والثالث: ممّا تفرّد به ممّا روى فيه ولا مشارك له فيه أَلْبَتَّةَ[1].

---

(١) المراتب في فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام: ١٢٦.

قال رحمه الله تعالى: «إنّه أسبق السابقين إلى الإسلام».

وفيه إجماع أهل البيت، وإجماعهم حجّة[١].

وفيه قوله ﷺ لأبي بردة في حجّة الوداع: «ما لَكُمْ و عليّ بن أَبي طالِب؟! عليٌّ مِنّي وأنا منهُ، عليٌّ أعلمُكُم عِلْماً، وأقدمُكم سِلْماً».

وقال في حديث خيبر: «أنتَ أوّلُ مَنْ آمَنَ بي، وأوّلُ مَنْ صلّى معي»[٢].

والسبق في الإسلام غاية الفضل في الصحابة، فله هذه المزيّة، والمشايخ لا يشاركونه فيها.

وروّينا أنّه قال ﷺ: «لو وُزِنَ إيمانُ عليٍّ بإيمان أهل الأرض؛ لَرَجَحَ»[٣].

ولإسلامه فضيلةٌ أُخرى لا توجدُ في إسلام المشايخ، فهو: أنّ إسلامه عن فطرة، وإسلامُهم عن كُفْر، وما يكون عن الكفر لا يصلح للنبوّة، وما يكون عن الفطرة يصلح لها؛ ولهذا قال ﷺ لعليّ: «إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي»[٤] ولو كانَ لَبَيّنه[٥].

---

(١) المراتب في فضائل علي بن أبي طالِب عليه السلام: ١٢٧.

(٢) المراتب في فضائل علي بن أبي طالِب عليه السلام: ١٢٧.

(٣) المراتب في فضائل علي بن أبي طالِب عليه السلام: ١٢٨، العمدة لابن البطريق: ص٤٣١/ح٦٥٦.

(٤) تاريخ دمشق: ج١/ ٣٠٧ و٤٢٨، محاسن الأزهار: ٤٢٤، كفاية الطالب: ٢٨١-٢٨٧. وأنظر البروج للمؤلّف: ٢٦٧. والحديث متواترٌ عن النَبيّ ﷺ وقد عدّه جمع ممّن أورد الأحاديث المتواترة في المتواترات. وأنظر لقط ألآلي المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيري: ٣٣ الحديث الخامس، قال رواه من الصحابة عشرة.

ويجد الباحث الحديث مرويّاً عن أكثر من عشرين صحابياً في ما جاء في الحديث رقم ٣٣٦ وما بعده من ترجمة أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام من تاريخ دمشق: ج١/ ٣٠٧ بتحقيق المحمودي.

(٥) المصدر: «لكنته»، المراتب في فضائل علي بن أبي طالِب عليه السلام: ١٢٩.

ولإيمانه خلّةٌ ثالثةٌ وتفرّدَ بها، وهو: أنّه مقطوعٌ على باطنه، معلومٌ أنّه وليّ الله، والقوم إسلامهم إسلام عن الظاهر، ولا يصلح التعلّق بقوله ﷺ: «عشرة في الجنّة»[1] لأنّه إخبار عن الحال لا عن العاقبة عند شيوخنا، فإنّ فيهم طلحة والزبير، وقد فسقا لخروجهما على أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ ونكثهما بيعته، سواء قيل إنّهما تابا أم لا.

[وقوله]: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[2] إخبار عن الحال ورضي الله منهم بيعتهم، وعلم ما في قلوبهم من الإخلاص في تلك الحال، وليس فيه أنّهم يبقون على ذلك الرضا أبداً[3].

فصحّ أنّ هذه الجملة في الإيمان لعليّ عليه السلام دونهم.

وله مزيّة أُخرى في الإيمان، وهي أنّه بقي بعدهم، وعَمَّرَ طريق مكّة، وأخرج بينبع مِائة عين، واشترى ببعضها ألف نسمة فأعتقها، ووقف الباقي إلى يومنا هذا.

وكان مع ذلك يصوم النهار، ويصلّي بالليل والنهار ألف ركعة، وجاهد الناكثين والقاسطين والمارقين، وبين السير والأحكام وبثّ العلم، ونشر الخُطب والمواعظ، وكلّ ذلك مزايا لإيمانه على إيمان القوم.

فهذا مع الاشتراك يفوقهم عليه السلام لستّ خصال انفرد بها[4].

وقال على المنبر: «أنا عبد الله وأخو رسول الله، وأنا الصدّيق الأكبر،

---

(١) المراتب في فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام: ١٢٩.

(٢) الفتح: ١٨.

(٣) المراتب في فضائل عَلِيّ بن أَبي طالِب عليه السلام: ١٣٠.

(٤) المراتب في فضائل عَلِيّ بن أَبي طالِب عليه السلام: ١٣٠.

والفاروق الأعظم، لا يقوله غيري إلاّ كذّاب، آمنت حين كفر الناس، وصلّيت قبل الناس بستّ سنين»[١].

وفي هذا الحديث أنّ أبا بكر ـ وإن وصف بأنّه صدّيقٌ ـ فعليٌّ أكبر منه، وعُمَر ـ وإن وُصِفَ بأنّه فاروقٌ ـ فعليّ أعظمُ منه[٢].

وأثبت ﷺ له السابقة في أشياء في حديث خيبر، وهو قوله: «أنت أوّل من آمن بي، وأوّل من صلّى معي، وأوّل من جاهد معي، وأوّل من تنشقّ عنه القبر غداً معي، وأوّل من يدخل الجنّة غداً معي، وأوّل من تكسى معي»[٣].

وهو الّذي مدّ يده إلى رسول الله ﷺ حين جمع قومه من بني هاشم وقال: «إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وأنتم عشيرتي، فمن منكم يُبايعني على أن يكون أخي في الدنيا والآخرة ؟ وله الخلافة من بعدي»[٤] فما تحرّك أحدٌ منهم، فقام عليّ عليه السلام وهو أصغرهم سنّاً، ومدّ يده، فقال له عليه السلام: «اجلس» فجلس، وقال ثالثاً، فقام ومدّ يده، فمدّ رسول الله ﷺ يده فبايعه.

فله الأخوّة والخلافة، وهذا قبل بيعة الرضوان[٥]. وله السابقة في الجهاد.

وكان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته تبعه أحداث المشركين يرمونه بالحجارة، حتّى أدموا عقبيه وعرقوبيه، وكان عليّ عليه السلام يحمل عليهم، فينهزمون بين يديه كانهزام حمير الوحش عن الأسد حتّى أنزل الله فيه وفيهم: ﴿كَأَنَّهُمْ

---

(١) المراتب في فضائل عَليّ بن أبي طالِب عليه السلام: ١٣١.

(٢) المراتب في فضائل عَليّ بن أبي طالِب عليه السلام: ١٣٠-١٣١.

(٣) المراتب في فضائل عَليّ بن أبي طالِب عليه السلام: ١٣١.

(٤) المراتب في فضائل عَليّ بن أبي طالِب عليه السلام: ١٣٢.

(٥) المراتب في فضائل عَليّ بن أبي طالِب عليه السلام: ١٣٢.

﴿حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾[1] يعني الأسد[2].

وفرض الله الهجرة على أصحاب رسول الله ﷺ.

وفرض على عليّ المبيت على فراش رسول الله ﷺ ليلة الغار، تحت ظلال السيوف، وبذل مهجته حتّى أنزل الله فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ﴾[3] قال ابن عبّاس: ما نزل هذا إلاّ في علي حين بات على فراش رسول الله ﷺ ليلة الغار باذلا لمهجته[4].

ولا خلاف أنّه عليه السلام أوّل من بارز يوم بدر هو، وحمزة، وأبو عبيدة بن الحارث، دون المشايخ، فلم تكن لهم براز في ذلك اليوم، فهو من السابقين في الجهاد، وكان صاحب رسول الله ﷺ يوم أُحد، وقتل أصحاب اللواء من بني عبد الدار وقال عليه السلام: «أنا صاحب رايته في الدنيا، وصاحب رايته في الآخرة»[5]، وكان لرسول الله ﷺ أصحاب رايات لكنّه عليه السلام كان أسبق السابقين فيه وكلّ تأخّر عنه[6].

قال البستي: فهذه عشرة خصال، له السبق فيها والانفراد، وأبو بكر سبق عليّاً بالهجرة، وله فيها مزايا لم تكن لأبي بكر:

❖ منها: أنّ أبا بكر أخرجه الرسول ﷺ معه ليؤنسه وليخدمه، وترك عليّاً على فراشه باذلا مهجته؛ وكان بذل النفس أعظم.

---

(١) المدّثر: ٥٠-٥١.

(٢) المراتب في فضائل عَلِيّ بن أَبي طالِب عليه السلام: ١٣٣.

(٣) البقرة: ٢٠٧.

(٤) المراتب في فضائل عَلِيّ بن أَبي طالِب عليه السلام: ١٣٣.

(٥) المراتب في فضائل عَلِيّ بن أَبي طالِب عليه السلام: ١٣٣.

(٦) المراتب في فضائل عَلِيّ بن أَبي طالِب عليه السلام: ١٣٣.

❖ وكان الرسول ﷺ مع أَبِي بَكْر في الغار يُقوّي قلبه، ولم يكن مع عليّ عليه السلام مَنْ يقوّي قلبه.

❖ وأبو بكر لم يصبه وجع. وعليّ عليه السلام يرمى بالحجارة.

❖ وأبو بكر في الغار لا يراه الكفّار. وعليّ عليه السلام على الفراش يراهُ كلّ من أحبّ.

فهذه أربع خصال له فيها المزيّة على أبي بكر في الهجرة.

واستخلفه رسول الله ﷺ في أشياء:

❖ منها: ردّ ودائع الناس.

❖ ومنها: حمل نساء رسول الله ﷺ خلفه بعد ثلاثة أيّام، وفي نسائه عائشة بنت أَبِي بَكْر، فلعليٍّ المنّةُ بحفظ ولده.

❖ ومن يفوز بحشاشته ليس كمن يحمي على حرمه غيره يصونها، فله المنّة على أَبِي بَكْر في هجرته، وليس لأبي بكر عليه مِنّةٌ.

فهذه خمس في المزيّة عليه.

واشتركا في الهجرة، وتقدّم من تقدّم بأمر رسول الله ﷺ وتأخّر من تأخّر بأمره؛ وفي تأخيره هذه الفضائل والمزايا[1].

❖ وقال ﷺ: «أرحم أُمّتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله عُمَر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم أُبيّ، وأفرضهم زيد، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقضاهم علي»[2] فلمّا ذكر المشايخ بالعلم وذكره بالقضاء الّذي شمل العلوم كلّها[3].

---

(١) المراتب في فضائل عَلِيّ بن أَبِي طالِب عليه السلام: ١٣٤.

(٢) قريب منه نقله السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٥٨ عن مسند أبي يعلى بلفظ: «أرأف أمتي أبو بكر، وأشدّهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي...» وضعفه.

وانظر البروج في أسماء أمير المؤمنين عليه السلام حرف الألف: إذن واعية.

(٣) المراتب في فضائل عَلِيّ بن أَبِي طالِب عليه السلام: ١٣٤.

❖ وقال ﷺ : «أبيّ أقرؤكم، وعلي أقضاكم»[١].

❖ وقال فيه: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»[٢].

❖ وقال: «علي عيبة علمي»[٣].

❖ وقال له ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٤]ـ: «أنا المنذر، وأنت الهادي يا علي»[٥].

❖ وقال: «إن ولّيتم عليّاً تجدوه هادياً مهدياً يسير بكم المحجّة البيضاء»[٦].

❖ وقال: «علي أعلمكم علماً، وأقدمكم سلماً»[٧].

❖ ولّما أخرجه إلى اليمن ضرب على صدره وقال: «اللهمّ سدّده واهده إلى الحكمة»[٨] فقال علي عليه السلام : «فما شككت بعد ذلك الكلام في حكم»[٩].

❖ وقال: «متى اختلفتم في شيء بعدي فكونوا مع علي»[١٠].

---

(١) كفاية الطالب: ٢٢٦، الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٧/٢١٩، المراتب في فضائل عَلِيّ بن أَبي طالِب عليه السلام : ١٣٥ ـ دفتر ٦ـ.

(٢) المراتب في فضائل عَلِيّ بن أبي طالِب عليه السلام : ١٣٥ ـ دفتر ٦ـ، المناقب للخوارزمي: ٤٠، المستدرك على الصحيحين: ج٣/ ١٣٧/ ح٤٦٣٧-٤٦٣٨، تاريخ دمشق: ج٤٢/٣٧٩/ ح٨٩٧٨، الصراط المستقيم: ج٢/ ٢١٩، كفاية الطالب: ٢٢٢.

(٣) المراتب: ١٣٥.

(٤) الرعد: ٧.

(٥) المراتب في فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام : ١٣٥ ، دفتر ٦.

(٦) المراتب في فضائل عَلِيّ بن أَبي طالِب عليه السلام : ١٣٥.

(٧) المراتب: ١٣٥.

(٨) المراتب: ١٣٥، وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٨، الخصائص للنسائي: ٦٣، كفاية الطالب: ١٠٧، المناقب للخوارزمي: ٤١.

(٩) المراتب: ١٣٥.

(١٠) المراتب: ١٣٥.

❖ وقال: «علي مع الحقّ والحقّ مع علي»[1].

وهذه عشرة ألفاظ، كلّ واحد منها يدلّ على أنّه أعلم، وليس في المشايخ واحدٌ منها.

وقد علمنا أنّ العلوم انقسمت في الصحابة:

❖ منهم العلماء بالقرآن[2] إذا عُدّوا؛ يعدّ فيهم عليٌّ، وقراءته أحسنُ، وهو أقرأ وأتمّ.

❖ ومنهم الفرضيّون، وهو أشدّهم[3] في الفرائض.

❖ ومنهم الفقهاء الستّة، وعليٌّ منهم؛ وهو أفقههم، فإنّه ما ظهر لأحد من فقهاء الصحابة ما ظهر له من الفقه، لاسيما في سير أهل البغي.

❖ ومنهم أصحاب الروايات نيف وعشرون رجلا، وهو أكثرهم روايات، وأتقنهم، وهو حجّةٌ، وغيره ليس بحجّة، ومأمون الباطن في ما يرويه، وغيره لم يؤمن.

❖ وفي الصحابة الفصحاء وهو أفضلهم، والخطباء وهو أخطبهم، والشعراء وهو أحسنهم شعراً[4].

❖ وفيهم من تكلّم في العقليات ومسائل الكلام، وهو الّذي أخذ عنه الإماميّة والزيدية والمعتزلة أُصول الدين على اختلاف الطرق.

وهو الّذي ناظر الملحد في مناقضات القرآن حتّى أفحمه، وبيّن له؛ وهو الذي ناظر الجاثليق وأجاب على مشكلات مسائله حتّى أسلم.

---

(١) المراتب: ١٣٥.

(٢) المصدر: القراءات.

(٣) المصدر: أشهر.

(٤) المراتب: ١٣٥-١٣٦.

❖ وفي العلماء من تكلّم في علم المعاملة على طريق الصوفيّة ؛ وهم يعترفون أنّه الأصل في علومهم حتّى قال مشايخ الصوفية لو تفرّغ لإظهار ما علم من علومنا لأغنانا في هذا الباب، وهو الأصل المعتمد لنا.

وليس لأحد من الأمثال والعبر والمواعظ ما له(١).

والمعلوم من أَبِي بَكْر أنّه قال: أىّ أرض تقلّني وأيّ سماء تظلّني إذا قلتُ في القرآن برأي.

والمجتهد يلزمه أن يقول في القرآن برأيه عند التعارض والتشابه.

وأين يقع هذا الكلام من قول عليّ ﷺ: «لو كُسِرَ لي الوسادة لحكمتُ بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، هذا حكمُ الله في ذلك مّما علّمني رسولُ الله ﷺ واللهِ ما نزلتْ آيةٌ في ليل ولا نهار، ولا سهل ولا جبل، ولا سفر ولا حضر، إلاّ وأنا عارفٌ متى نزلتْ، وفي من نزلتْ، وأىّ وقت نزلتْ، فعرفتُ ناسخها و منسوخها، ومحكمها ومتشابهها، ومجملها ومفصّلها، وما من أحد من قريش إلاّ أُنزلتْ فيه آيةٌ أو آيتان، إمّا بمدح وإمّا بذمٍّ»(٢).

فقام رجل، فقال: يا أَمِير المُؤْمِنِيْنَ، أنتَ رجلٌ من قريش فما الّذي نزل فيك ؟ فقال: «أما قرأتَ سورةَ هُود، قوله تعالى: **﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾**(٣) كان رسولُ الله ﷺ على بيّنة، وأنا تاليه وشاهدٌ منه»(٤).

---

(١) المراتب: ١٣٥-١٣٦.

(٢) محاسن الأزهار: ٤٦١، تنبيه الغافلين: ٤٣، المناقب للخوارزمي: ٩١.

(٣) هود: ١٧.

(٤) الاستيعاب: ج٢/ ١١٠٧، المراتب: ١٣٦-١٣٧.

ثمّ مشهورٌ عن أبي بكر أنّه قال ـ بعد قضايا في الجدّ والجدّة ـ: وليتني سألتُ رسول الله ﷺ عن ميراثهما!

أينَ هذا من رجل يقول على البديهة في المسألة المنبريّة: «هذه مسألةٌ صار ثُمنها تُسعاً»[1].

وهي: إذا خلّف الرجلُ إمرأةً وأبوين وابنتين، فللأبوين السُدُسان، وللابنتين الثُلُثان، وللزوجة الثُمن، عالَت الفريضةُ، وكان لها ثلاثةٌ من أربعة وعشرين، صارَ ثُمنها تُسعاً، ويبقى أربعةٌ وعشرون: للابنتين ثلثاها ستّة عشر، وثمانية للأبوين[2].

وسواء كان هذا على البديهة أو بنظر، فإنّه يحتاج إلى تبحّر في علم الفرائض حتّى عرف الجوابَ والحسابَ في القسمة والنسبة.

وقد رجع إليه عُمَرُ بن الخطّاب في ثلاث وعشرين مسألة حتّى قال: «لولا عليٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ»[3].

والعترة مجمعةٌ على أنّ عليّاً عليه السلام كان أعلم الصحابة بأنواع علوم الشرع[4].

ومن المشهور إنفاقه الدينار في مناجاة الرسول ﷺ.

وسأله عن عشر مسائل فتح له منها ألف باب تحت كلّ باب ألف باب[5].

وهذا قد استبعده بعض الجهّال ولم يعلم صورة الأمر نحو أن يقول: «الربا في كلّ مكيل وفي أيّ موضع كان وفي كلّ موزون»، فيُعرف الحكم في المكيلات التي

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٩ الهامش.

(٢) المراتب: ١٣٦-١٣٧.

(٣) المراتب: ١٣٧-١٣٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٨.

(٤) المراتب: ١٣٨.

(٥) المراتب: ١٣٨.

لا أصل لها بالمدينة، وكذلك في الموزونات، ويطرد علّة الربا في الكيل، فيتسع ما يحصل من العلم له في باب الربا.

وكذلك إذا قال: «كُلْ من البيض ما دقّ أعلاه وغلظ أسفله»، فدخل فيه بيض كلّ طير، ويخرج منه بيض الحشرات المسوخ منها.

وكذلك إذا قال له: «يحرم كلّ ذي ناب من السباع، وكلّ ذي مخلب من الطير، ويحلّ الباقي» وما شاكله من عقود الشريعة[١].

وهذا من الباب الّذي يجمع فيه ما يفرق في علماء الصحابة، فينفرد في الإجماع وإن شاركه غيره في الانفراد؛ وبهذا الفضل تبيّن رجحانه على جميع علماء الصحابة، ويعلم أنّه من معظم خصال الإمامة، فكان أفضل، والتقدّم على الأفضل خطأ[٢].

ومن خصال الفضل «شرف النسب» ومعلوم أنّه أشرفهم نسباً.

ومن خصال الفضل «الشجاعة»؛ وقد علمنا أنّه عليه السلام أشجع العرب فضلا عن الصحابة. ومقاماته مشهورة، وملاحمه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مأثورة.

قال البستي رحمه الله تعالى: وقوم من الحشويّة يدّعون أنّ أبا بكر كان أعلم؛ لأنّه قال يوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن كنتم عبدتم محمّداً فقد مات محمّد، وإن كنتم عبدتم ربّ محمّد فهو حيّ لا يموت.

وإن هذا يدلّ على غزارة علمه.

وليس الأمر كذلك، فما أُشكل موته على عُمَر ولا على عليّ عليه السلام وهو حاضر حين جاد بنفسه، وهو الوصيّ في تجهيزه ودفنه.

---

(١) المراتب: ١٣٨.

(٢) المراتب: ١٣٨.

وربّما قالوا: خالفهم في قتال أهل الردّة حتّى رجعوا إلى قوله، وكان الصواب فيه.

وقد روّينا: أنّه رجع إلى عليّ ﷺ «إنّ نبيّ الله جمع بين الصلاة والزكاة، فلا تفرّق بينهما»[1] فخرج وصعد المنبر وقال: «لو منعوني عقالا ممّا أدوا إلى رسول الله ﷺ لجاهدتُهم»[2]، وأبو بكر لم يجاهد بنفسه، وإنّما أمر بالجهاد.

وأينَ هذا القول من جهاد أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليّ ﷺ في عهد رسول الله ﷺ وبعده كيوم بدر والأحزاب وأُحد وخيبر وحنين وغير ذلك ؟[3] وكأيّام صفّين والنهروان ويوم المحمودة؟

وكيفَ يُقاس من لم يهرق محجمة دم من كافر؟ في عهد رسول الله ﷺ ولا بعده من ناكث ولا مارق ولا فاسق ؛ بأَمِير المُؤْمِنِيْنَ الّذي قتل الكافرين والناكثين والمارقين والفاسقين، وأفنى سيفه صناديد المشركين، وأسود الخوارج والفسقة العمين ؛ ومن لو ذكرناه لأفنينا القراطيس والأقلام، ودخلنا في ذواخر من أفانين الكلام.

ومن الخصال المطلوبة في الإمامة «السخاء» وروى أهل الحديث أنّ أبا بكر أنفق أربعين ألفاً وأنّه قال ﷺ : «ما نفعني مالٌ قطّ، ما نفعني مال أَبِي بَكْر»[4].

قال البستي رحمه الله تعالى: اعلم أنّا لا ننكر إنفاقه على رسول الله ﷺ، وكان مال خديجة أكثر من ماله، ونفع المسلمين عامّة أكثر.

قال البستي: من المحال أن يجمع أربعين ألف درهم، فأمّا: أربعون ألف درهم

(١) المراتب: ١٣٨.

(٢) المراتب: ١٣٨.

(٣) المراتب: ١٣٩ حديث شيعة. دفتر ٦.

(٤) المراتب: ١٤٠.

فهي أربعة آلاف دينار، وذلك كثيرٌ وهو ممكن وله موقع في الدين وثواب عظيم.

وعليٌّ عليه السلام هو الّذي جمع بين الإنفاق، والقتال، والمُنفق لحشاشته أفضلُ من المُنفق لماله، كيف؟ وقد جمع بينهما؟

ملك أربعة دراهم أنفق درهماً ليلا لكيلا يستحي منه الآخِذُ، ودرهماً نهاراً ليقتدى به؛ ودرهماً سرّاً لكيلا تدخله الرياء، ودرهماً علانيةً ليُقتدى به، فأنزل الله فيه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[١] فسمّى كلّ درهم مالا وبشّره بالقبول ووعده بالجزاء[٢].

وتصدّق بخاتمه، وتصدّق بطعامه وأهل بيته ثلاث ليال، فأنزل الله فيه ثلاثين آية، ونصّ على عصمته.

وأعتق ألف نسمة من كسب يده، واستخرج منه مِائة عين بينبع، وتصدّق بها...إلى آخره.

ذكره البستي رحمه الله تعالى في كتابه، فقد جمع فيه عُيوناً من فضائل أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام أشار إليها، ونبّه عليها[٣].

ومثله صاحب كتاب «العمدة» في فضائله عليه السلام ولا سبيل إلى حصر المصنّفات في فضائله عليه السلام من أهل المذهب الشريف الزيديّ، فضلا عن غيرهم من المذاهب على اختلافها[٤].

---

(١) البقرة: ٢٧٤.

(٢) المراتب: ١٤١.

(٣) المراتب: ١٢٦-١٤٢.

(٤) وقد كتبوا مؤلّفاتهم بجميع اللغات، وجمع ما كتب منها باللغة العربية ـ فقط ـ المرحوم العلاّمة المحقّق السيّد عبد العزيز الطباطبائي (ت: ١٤١٦هـ) في كتابه القيّم: «أهل البيت عليهم السلام في المكتبة العربيّة»، فبلغ بها (٨٥٦) عنواناً، وما يستدرك عليه كثير.

وأحسنُ من صنّف في فضائله محمّدُ بن يوسف الكنجيّ الشافعيّ رحمه الله تعالى في كتابه الموسوم بـ«كفاية الطالب في فضائل أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عَلِيّ بن أَبِي طالِب»(١) فإنّه أتى بما لم يأتِ به أحدٌ من أهل مذهبه.

ونعودُ إلى الفصل الثاني: وهو في إبطال مقالة ابْن العَرَبِيّ ونقضها فنقول:

(١) الكتاب طبع مراراً، وطبعت بتحقيق محمّد هادي الأميني، سنة ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م، الطبعة الثانية - المطبعة الحيدرية بالنجف الأشرف.

أمّا الفصلُ الثاني

وهو في نقض كلام ابْن العَرَبِيّ وإبطاله

فقد ذكرَ أنّ التفضيلَ يكون بسبعِ مراتب، سَرَدَها وادّعى لأبي بكر التبريز فيها، ونحن نذكرها واحدة واحدة، ونبطل ما ادّعاه فيها بعون الله تعالى.

المرتبة الأولى: قال فيها ابن العَرَبيّ: أصلُها للوالدين بالمحافظة على الاستصلاح... إلى آخر ما قدّمنا ذكره.

فنقول: ذكرتَ في هذه المنزلة: أنّ أبا بكر قد استولى على أمد السبق فيها، وحاز قصب التقدّم، ورجعتَ بالتربية إلى حفظ العاجلة عن الفساد بالقانون الشرعيّ، والآجلة عن الإهلاك بالمحافظة على حدود الله تعالى، أمراً وزجراً، حتّى قلتَ: ومحمّد رسول الله ﷺ هو الأعلى في هذه المنزلة العُليا...إلى آخر قولك فيها.

فنقول: هذه مغالطةٌ منك ظاهرةٌ، لأنّك ذكرتَ الفضل بالتربية! ثمّ رجعتَ إلى تفسير التربية بغير ما هو معلومٌ من معناها والمراد بها في لغة العرب، لأنّ تفسيرها في لسانهم يرجع إلى «التغذية والنشأة» وفي الشريعة يرجع إلى «الزكاة والطهارة» مع التغذية الّتي لا قوام للحياة إلاّ بها.

فلمّا كان أبو بكر لا حَظٌّ له في التربية بالمعنى الشرعيّ، رجعتَ بتفسيرها إلى «حفظ العاجلة عن الفساد بالقانون الشرعيّ» فاردتَ أن تذكر فضل أَبِي بَكْر في التربية والطفولة! فذكرتَ لنا فضله في الإسلام والكهولة، وإنّه تلا رسول الله ﷺ بما يجبُ عليه، فوفّاه.

وهذا ليس من التربية في وِرد ولا صدر.

وهلاّ ذكرتَ في التربية تربية أَمِير الْمُؤْمِنِينَ وسيّد الوصيّين، فإنّهُ ربّاهُ

رسولُ الله ﷺ وكَفَلَهُ وضَمَّهُ إليه ونقلهُ إلى داره، وكان معه، كأحد أولاده، وأكرم اللهُ محمّداً ﷺ بالرسالة وعليٌّ عليه السلام تحتَ جناح حضانته، وفي ظلّ كفالته ورعايته.

وفي كلامه عليه السلام بذكر اختصاصه بهذه الفضيلة، وأنّ رسول الله ﷺ هو الّذي تولّى تهذيبه وتأديبه وتعليمه وتقويمه، وأنّ الوحيَ جاءهُ وهو معه في منزله.

قال عليه السلام:

«وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وَضَعَني في حِجْرِهِ وأنا وليدٌ، ويضُمُّني إلى صدرِهِ، ويلُفُّني في فراشه، ويمسُّني جَسَدَهُ، ويشمُّني عَرَقَهُ[1] وكان يمضغُ الشيء ثمّ يُلقمُني إيّاهُ، وما وَجَدَ لي كذبةً في قول، ولا خطلةً في فعل.

ولقد قَرَنَ اللهُ بهِ ﷺ من لَدُنْ كان فطيماً أعظمَ مَلَك من ملائكته، يسلُكُ بهِ طريق المكارمِ، ومحاسنِ أخلاقِ العالم، ليلهُ ونهارهُ، ولقد كُنتُ أتبعُهُ اتّباعَ الفصيل أثرَ أمّه، يرفَعُ لي كلَّ يوم عِلماً من أخلاقه، ويأمُرُني بالاقتداء بهِ، ولقدْ كان يُجاورُ كُلّ سنة بحِراء، فأراهُ ولا يراهُ غيري، ولم يجمَعْ بيتٌ واحدٌ يومئذ في الإسلام غيرَ رسول الله ﷺ وخديجة، وأنا ثالِثُهما؛ أرى نورَ الوحي والرِسالة، وأشمُّ رائحة النُبوّة. ولقد سمعتُ رنّةَ الشيطان حينَ نَزَلَ الوحيُ على رسول الله ﷺ.

---

(١) وفي بعض نسخ النهج: عرفه.

فقلتُ: يا رسول الله، ما هذهِ الرنّةُ؟

فقال ﷺ: هذا الشيطانُ، قد يئسَ من عَبادتِهِ، إنّك تَسْمَعُ ما أسمعُ، وتَرى ما أرى، إلاّ أنّكَ لَستَ بِنَبيٍّ، وإنّكَ لَوَزيرٌ، وإنّك لَعَلَى خير»[1].

ولقد كُنتُ معهُ ﷺ لما أتاهُ المَلأ من قُريش...

في حديث طويل حتّى قال ﷺ في آخره:

«إنّي أوّلُ مُؤمن بك يا رسولَ الله، وأوّلُ مَنْ آمَنَ بِأنّ الشجرةَ فَعَلَتْ ما فَعَلَتْ بِأمرِ اللهِ تَصديقاً لِنُبُوّتِكَ، وإجلالا لِكَلِمَتِكَ، فقالَ القومُ كلُّهم: بل ساحرٌ كذّابٌ عجيبُ السحرِ خفيفٌ فيه، وهل يصدّقك في أمرك إلاّ مثل هذا! يَعْنُوني.

وإنّي لمن قوم لا تأخُذُهُم في الله لومةُ لائم، سيماهم سيماء الصدّيقين، وكلامُهم كلامُ الأبرار، عُمّارُ اللّيل ومنارُ النهار، مُتمسّكون بحبل القُرآن، يُحيُون سُنن الله وسُنن رسوله، ولا يستكبرون، ولا يغلون، ولا يُفسدون، أرواحهم في الجنان، وأجسادهم في العمل»[2] تمّ كلامه ﷺ.

فقد رأيتَ كيفَ فَضّلَ التربيةَ الشريفة النبويّة الّتي سكتَ عنها ابن العَرَبيّ لّما فازَ[3] أبو الحسن كرّم الله وجهه.

---

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٩٢ المسمّاة بـ«القاصعة».

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٩٢.

(٣) وفي الأصل: لما فاز.

ونحنُ نسلكُ في تربية أَبِي بَكْر، مسالك الفلسفة وحقيقة التربية بالمحافظة على حدود الله وحفظ العاجلة.

قال: عن الفساد بالقانون الشرعيّ ... إلى تمام ألفاظه المسطورة في ما تقدّم.

فمن ههنا كان العجب من كلامه والإنكار لحديثه!

وهل لأبي بكر صفةٌ واحدةٌ من هذه السِمات النبويّة؟

هذا هو فضل التربية المعقولة، وغيره التعمية المجهولة، كم بينَ مَن نَشَأ مع رسول الله ﷺ يضمّهُ إلى صدره، ويُشمّهُ عَرْفَهُ ـ بالفاء من الطِيب، ويحتمل بالقاف من العَرَق، وكان عَرَقُهُ ﷺ أطيبَ من الطِيب ـ وبينَ مَن نَشَأ مع كافر يعبُدُ الأصنام، و يستقسِمُ بالأزلام؟ فكم بين الرجلين؟؟

هذا مَعَ رسول الله ﷺ في داره.

وهذا مع أبي قحافة في داره.

أيّ الدارين أفضلُ؟

وأيّ المنزلتين أشرفُ وأنبلُ؟

وأيّ المؤدّبين أذكى وأكملُ؟

لولا قلّة الإنصاف وكثرت الزيع والاعتساف.

فانظرْ! أيّها المُتَبَصِّرُ! وانتصرْ لمذهبك أيّها المستبصرْ!.

وأمّا قول ابن العَرَبِيّ: أنّ أبا بكر قام بحفظ رسول الله ﷺ ونصره بنفسه وماله فلا ننكر فضل أَبِي بَكْر على الجملة.

فأمّا أنّه حفظ رسول الله ﷺ:

فإنْ أراد بحفظهِ له حفظَهُ لِمن بعدَه من المسلمين بخلافته ـ وهو الظاهر من قوله ـ فليس هذا من التربية في شيء، لأنّ كلامنا في هذه المرتبة لما يختصّ

بالتربية، وقيام أَبِي بَكْر بأمر الأُمّة بعد رسول الله ﷺ ليس من التربية في مراح، ولا يبعدا[1] وتسمية ابْن العَرَبِيّ لها تربيةً؛ مغالطة ظاهرة، لما عرف أنّ أبا بكر لا حَظّ له في التربية رجع إلى تفسيرها بعبارات غير موافقة.

ونحن نذكرها كلمةً [كلمةً]:

أمّا قوله: إنّه نصره بنفسه وماله عند معاندة العشيرة وتظاهر الاعداد.

فأمّا نصرته له بنفسه: فأَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام أكثرُ له نصرةً بنفسه في المواطن المشهورة، والمواقف المحمودة، وهذا أمرٌ لا يُخالف في ثُبوته وظهوره وجلائه واشتهاره إلاّ مَن كابَرَ عقلَهُ، وأنكر الأُمور الجليّة، والذاهب إلى ذلك معدودٌ ـ عندنا ـ من السُوفَسطائيّة.

ولابدّ من الإشارة إلى هذا عند الكلام على ابْن العَرَبِيّ في «أنّ أبا بكر أشجعُ من عليّ» إن شاء الله تعالى.

و **أمّا** نصرته لرسول الله ﷺ بماله: فقد أنفقَ أبو بكر مشكوراً، ولم يكنْ لعليّ عليه السلام من المال ما يُنفقه، وقد ملك أربعةَ دراهم، فتصدّقَ بدرهم ليلا، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سِرّاً، وبدرهم علانيةً؛ فأنزل الله فيه قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[2].

وقد قيل: إنّها نزلت في أَبِي بَكْر!

والأوّل أثبت، لأنّها الرواية المشهورة عن ابن عبّاس: لم يملكْ إلاّ أربعة دراهم، فتصدّق بها على الصفة المذكورة.

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كفاية الطالب: ٢٣٢.

وفضلُ الإنفاق والصدقة يختصُّ بذوي الأموال، واللهُ تبارك وتعالى اختارَ لخاصّة أنبيائه وأصفيائه الفقرَ، ونزّههم عن الدُّنيا وحماهم عنها، كما ورد في الحديث المأثور في صحيح الترمذي عن رسول الله ﷺ: «عَرَضَ عَلَيَّ ربّي ليجعلَ بَطْحاء مكّةَ ذَهَباً. فقلتُ: لا، يا ربِّ، ولكنْ أشبعُ يوماً، وأجوعُ يوماً» ـ أو قال ثلاثاً، أو نحو ذلك هذا ـ «فإذا جعتُ تضرّعتُ إليك، وإذا شبعتُ حمدتُكَ وشكرتُكَ»[١].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ من صحيح الترمذي: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، واللهِ إنّي لأُحبُّكَ، فقال ﷺ: «أنظرْ ما تقول». فقال: والله إنّي أحبُّك ـ ثلاث مرّات ـ.

فقال ﷺ: «إنْ كنتَ تُحبُّني فأعدَّ للفقرِ تجفافاً، فإنّ الفقر أسرعُ إلى من حبّني من السَّيْلِ إلى قرارهِ»[٢].

فنقول: عليٌّ ﷺ لَمّا أحبّ رسولَ الله ﷺ محبّةً مازجَتْ لَحْمَهُ و دَمَهُ، صَدَقَ[٣] فيه حديثُ رسول الله ﷺ.

وبعدُ؛ فإنّهُ أخُو رسول الله ﷺ ونَفْسُهُ، فما كان عليه رسولُ الله ﷺ وَجَبَ أن يكونَ عليٌّ مثلَهُ من حاله، وقد اختارَ اللهُ لرسول الله ﷺ عدمَ المال، و زيّنه بالفقر، لا جَرَمَ اختارَ لِعَليٍّ ﷺ ما اختارَهُ لرسول الله ﷺ، لأنّهما كالذاتِ الواحدةِ.

---

(١) الجامع الصحيح ـ وهو سنن الترمذي ـ: ج٤/ ٥٧٥/ ح٢٣٤٧.

(٢) الجامع الصحيح: ج٤/ ٥٧٦/ ح٢٣٥٠.

(٣) وفي النسخة: صدق الله فيه.

وفي الحديث المأثور عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنّ عليّاً منّي وأنا منهُ» على ما سنذكره في ما بعد، ونبيّنُ طريقه إن شاء الله تعالى.

فثبتَ أنّهما بمنزلة واحدة، و صفة متّصلة غير منفصلة، فلا فضلَ لأحد بما أنفقهُ على رسول الله ﷺ كذلك لا فضلَ لهُ بما أنفقهُ على عَلِيٍّ عليه السلام لأنّهُ نفسُ رسول الله ﷺ ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾[1].

وقد قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

فالمنّةُ على رسول الله ﷺ بالإنفاق في سبيل الله غيرُ جائزة، والقضاءُ بالفضل بالإنفاق عليه غيرُ صحيح.

وإنّما ثبتَ لمن أنفقَ ثوابُ إنفاقه، وله بذلك فضيلةٌ على من لم ينفق، وهو قادرٌ متمكّنٌ من الإنفاق، ولأبي بكر فضيلةٌ بإنفاقه على أمثاله وأشكاله.

وأمّا أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام فلم يكنْ من ذوي المال واليسار، ورسول الله ﷺ لم يكنْ له شيءٌ من المال، فليس لأحد فضيلةٌ على رسول الله ﷺ بمجرّد الإنفاق؛ وما ثبتَ من ذلك في حقّ رسول الله ﷺ ثبتَ في حقّ أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام مثله، لأنّه نفسُ الرسول بنصّ القُرآن على ما سنوضّحهُ في ما بعد إن شاء الله تعالى.

وبعدُ، فإنّ الإنفاق من الصحابة رضي الله عنهم في سبيل الله سبيلٌ واحدةٌ من سُبُل الخيرات؛ وقد شاركهم أَمِيرُ المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام في هذا الوجه، ولم يُشاركوه في ما اختصّ به من الفضائل، وانفرد فيه من المناقب، وسنذكر ذلك مبيّناً في موضعه من هذا الكتاب المبارك إن شاء الله تعالى.

---

(١) العنكبوت: ٦.

(٢) الحجرات: ١٧.

وقد عظّم الله من صدقات عليٍّ عليه السلام ما لم يعظمه من صدقة غيره من الصحابة، كما مرّ من تصدّقه بأربعة دراهم سمّاها اللهُ أموالا، فأثبت بها أجرهُ، وبشّره بأنّه لا خوفٌ عليه ولا يحزنُ، فاقتضت هذه الآية بشرى بثبوت أجره عند الله تعالى؛ وأنّهُ لا يخافُ ولا يحزنُ.

ومن ذلك تصدّقه بخاتمه في حال صلاته على ما سنذكره في ما بعد، إن شاء الله تعالى، فأنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[١] وسنذكرها مشروحةً بما يحتمله إن شاء الله تعالى.

ومن ذلك آية النجوى، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾[٢] ولم يعمل بهذه الآية من أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم غير عليٍّ عليه السلام فلهُ فضلُها وشرفُها وبُشراها وخيرُها.

وفي حديثه عليه السلام أنّه قال: «إنّ في كتاب الله لآيةً ما عملَ بِها أحدٌ قبلي، ولا يعملُ بِها أحدٌ بعدي، كان لي دينارٌ فصرفتُهُ، فكنتُ إذا ناجيتُهُ صلى الله عليه وآله وسلم تصدّقتُ بدرهم»[٣].

قال الكلبيّ: تصدّق به في عشرِ كلمات سألهنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن عُمَر: كان لعليٍّ ثلاثٌ لو كانتْ لي واحدةٌ منهنّ كانتْ أحبَّ إليَّ من حُمر النَعَم: زوّجهُ فاطمةَ رضي الله عنها، وأعطاهُ الرايةَ يومَ خَيْبر، وآية النجوى[٤].

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) المجادلة: ١٢.

(٣) كفاية الطالب: ١٣٦-١٣٧، العمدة لابن البطريق: ص٢٣٦/ح٣٠١.

(٤) آية ١٢ من سورة المجادلة، وانظر العمدة لابن البطريق: ص٢٣٥/ ح٢٩٩.

فانظرْ إلى فضله ﷺ بهذه الآية الشريفة، واختصاصه بما أمرالله تعالى به فيها.

وفي الحديث: إنّ الناس أكثروا مُناجاة رسول الله ﷺ بما يُريدون، حتّى أَمَلُّوهُ وأَبْرَمُوهُ، فأُريد أن يكفّوا عن ذلك، فأُمِروا بأنَّ مَن أَرادَ أن يُناجيه قدّمَ قبلَ مُناجاته صَدَقَةً. قال عليٌّ ﷺ: «لَمّا نزلتْ دَعاني رسول الله ﷺ فقال: ما تقولُ في دينار؟

قلتُ: لا يُطيقونَهُ.

قال: كَمْ؟

قلتُ: حبّةٌ أو شعيرةٌ!

قال: إنّك لزهيد»[1].

أي قليل الخير من الدنيا. وقيل: أنّك في تقديرك هذا قليل المال.

فلمّا أرادوا ذلك اشتدّ عليهم فارتدعوا وكفّوا: أمّا الفقير فلعسرته، وأمّا الغنيّ فلشُحّه.

وقيل: كان ذلك عشر ليال، ثمّ نُسِخَ.

وقيل: ما كان إلاّ ساعةً من نهار.

فانظرْ إلى سُكُوتهم عن مُناجاة رسول الله ﷺ.

وقول عُمَرَ: «كانَ لعليٍّ ثلاثٌ، لو كانتْ لي واحدةٌ منهنّ...» الحديث المتقدّم، لم يذكر عُمَرُ ما كان لأبي بكر من الإنفاق ويتمنّاهُ! ويقول: «لو كان لي كان أحبّ إليَّ من حُمر النَعَم»؟! لأنّه بالنظر إلى هذه الثلاث كلاشيء.

وتنبّهْ إلى استشارة رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين كرّم الله وجهه في الجنّة في صَدَقَةِ النَجوى؛ لم يأخذْ برأْي أحد من الصحابة غير رأْيِهِ، ولا رَجَعَ إلى أحد

---

(١) مناقب ابن المغازلي: ٣٢٥، والعمدة لابن البطريق: ص٢٣٦/ ح٣٠٠.

غيره؛ ما ذلك إلاّ لأنّهُ بمنزلة نفسه، لما كانت هذه الآية تخصّ نفس رسول الله ﷺ بالصدقة في نجواهُ وتقديمها بين يدي النَجوى، لم يرجع النَبيُّ ﷺ في تقدير ماهيّة الصَدَقةِ وكَمّيتِها إلاّ إلى نفسِهِ الصدّيقِ الأكبرِ، والفاروقِ الأوّلِ.

فاعرفْ قدْرَهُ عليه السلام و قَدْرَ غيرِه! فإنّ الناس كانُوا أصحاباً؛ وكان أَخَاً ونَفْساً، والأخُ لا يعدلُ بِالصاحِبِ.

وبعدُ، فقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ من صحيح الترمذي: «إنّما الدُنيا لأربعة نَفَر: عبدٌ رزقهُ اللهُ مالا وعِلماً، فهو يتّقي فيهِ ربَّهُ ويصلُ فيه رَحِمَهُ، ويعلمُ للهِ فيهِ حَقّاً، فهذا بأفضلِ المنازِلِ عندَ الله تعالى.

وعبدٌ رَزَقَهُ اللهُ عِلماً، ولم يرزقْهُ مالا، فهو صادِقُ النيّةِ للهِ تعالى، يقولُ: لَوْ أنّ لي مالا لَعَمِلْتُ بعملِ فلان؛ هُوَ صادقٌ نيّته. فأجرُهما سواءٌ»[1].

وهذه صفةُ أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام: رزقهُ اللهُ عِلماً، ولم يرزقهُ مالا، وهو صادقُ النيّة، فقد ساوى عليه السلام بِحُسن نيّتهِ أهلَ الأموال الّتي أنفقها أهلُها بين يدي رسول الله ﷺ وفي سبيل من سبيل الله، ولم يتركْ شيئاً من ذلك وهو قادرٌ عليه؛ على ما سنذكره في سورة الدهر وما خصّه اللهُ فيها وزوجتَهُ المُطهّرة وابنيْهِ الكريمينِ سلامُ الله عليهم وبركاته.

فقد ظَهَرَ لَكَ أَنّ إنفاقَ أَبِي بَكْر لِمالِهِ ـ وإن كان من فضائله ـ غير موازٍ لفضل عليٍّ عليه السلام.

وتمامُ الخبر المذكور[2]:

---

(١) الجامع الصحيح: ج٤/ ٥٦٣/ ح٢٣٢٥.

(٢) وفي الحديث هنا: فوزرهما.

[«وعبدٌ رزقهُ مالا ولم يرزقْهُ عِلماً؛ فهو يخبطُ في ماله بغير علم لا يتّقي فيه ربّهُ، ولا يَصِلُ فيه رَحِمَهُ، ولا يعلمُ للهِ فيهِ حَقّاً؛ فهذا بأخبث المَنازل»][1].

وعبدٌ لمْ يرزقْهُ اللهُ مالا ولا عِلماً، فهو يقول: لو أنّ لي مالا لعملتُ فيه بعملِ فُلان، فهو بنيّتِهِ.

فوِزرُهما سواءٌ»

استوفينا الحديث استظهاراً[2].

ونعود إلى نقض ما ذكره ابْن العَرَبيّ في منزلة التربية، وما ذكره لأبي بكر فيها:

وأمّا قوله: في النَبيّ ﷺ: ربّى عليّاً وأنفق عليه وزوّجه وكفاه المؤن الطارئة.

فنقول: هذا إقرارٌ منه بتربيته ﷺ لعليٍّ عليه السلام.

وإيرادُهُ لهُ في معرض النقص لدرجة عليٍّ عليه السلام! وأنّه لم يرتفعْ إلى درجة أَبِي بَكْر، لأنّه أنفقَ على رسول الله ﷺ وعليٌّ أنفق عليه رسولُ الله ﷺ وزوّجهُ وكَفاه!.

ولقد أرادَ أن يذُمّ فمَدَحَ، وأن يفضحَ فافتضحَ، وأيّ فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام أعظم من هذه ؟

فوافَقَ أنّهُ بمنزلة الوَلَدِ لِرسول الله ﷺ: رَبّاهُ وكَفاهُ وزوّجهُ وهَداهُ، وكفلهُ وأعطاهُ، وقرّبهُ وأدْناهُ، وضمّهُ إليه وآواهُ.

وهذه أرفعُ المنازل و أشرفُ الفضائل.

---

(١) مابين المعقوفين لم يرد في النسخ.

(٢) الجامع الصحيح ـ وهو سنن الترمذي ـ: ج٤/ ٥٦٣/ ح٢٣٢٥. وقد أكملنا منه الخبر.

وقد قدّمنا الكلام في أنّ ابْن العَرَبيّ أرادَ أن يتكلّمَ في التربية، فخرجَ إلى الإنفاق على رسول الله ﷺ ولم يكنْ هذا الموضع صالحاً لما أورد فيه من الكلام في الإنفاق! وكانَ تأخيرُه لهذا إلى منزلة (الزهد في الدنيا) فإنّها كانت أليق بهذا الكلام.

ونحنُ لا ندفعُ فضل أَبِي بَكْر (رضي الله عنه) ولا ننكرهُ، وأنّه قدّم لنفسه وعمل لنزول رمسه، وإنّما كلامُنا في انتقاص ابْن العَرَبيّ لأمير المؤمنين.

وأمّا قوله: ولا خلاف في أنّ الأب والابن إذا اشتركا في الفضائل كان الأب أعلى منزلة من الابن.

فنقول: هذا في نهاية التفضيل لعليٍّ عليه السلام لأنّه نزّل الرسول ﷺ بمنزلة الأب، ونزّل عليّاً عليه السلام بمنزلة الابن لرسول الله ﷺ وهل غاية في الفضل فوق هذه الغاية ؟ أو نهاية في التفضيل وراء هذه النهاية ؟!.

هذا الّذي أردناه، وبكلامنا مهّدناهُ، فصارَ كلامُ ابْن العَرَبيّ عليه حجّةً، ولنا إلى بيان تفضيل أَمِير المُؤْمِنِيْنَ محجّةً، والحمدُ لله.

فقد بانَ في هذه المنزلة الّتي جعلها للتربية فضلُ عليٍّ عليه السلام.

والأصلُ في تربيته عليه السلام مع رسول الله ﷺ أنّها أصابتْ قريشاً مجاعةٌ، فقال رسولُ الله ﷺ لعمّه العبّاس (رضي الله عنه):

«قد تَرى ما نَزَلَ بِالناس من الشدّة، فانطلقْ بِنا إلى أبي طالب، لِنُخفّفَ عليه من أولاده».

فسارا إلى أبي طالب، فكلّماهُ في ذلك، فقال: إذا تركتُما لي عقيلا، فاصنعا ما شئتما.

فأخذ العبّاسُ جعفراً، وأخذ رسول الله ﷺ عليّاً، فكانا عندهما[1].

فأمّا عليٌّ ﵇ فلمْ يزلْ مع رسول الله ﷺ حتّى أكرمه اللهُ بالرسالة، وكان ذلك من لُطف الله تعالى لِعَليٍّ ﵇ وإكرامه له أنْ تولّى تربيتهُ سيّدُ الأنبياء، وخيرةُ الأصفياء.

فهذه هي التربيةُ الشريفةُ الّتي فاقَ بها عليٌّ ﵇ على سائر الصحابة، وحازَها على سائر القرابة.

ومن أينَ لابن العَرَبيّ مثلُ هذه الفضيلة لأبي بكر؟!

لولا قلّة الإنصاف وكثرة الانحراف!؟.

وقد قدّمنا كلام أَمِير المُؤْمِنِيْنَ كرّم الله وجهه، في اختصاصه بِنُشُوِّهِ في حِجْرِ رسول الله ﷺ وما ذكره من نُزُول الوحي على رسول الله ﷺ وهو مَعَهُ، وقوله في ذلك:

«ولم يجمعْ بيتٌ واحدٌ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة، وأنا ثالثُهما، أرى نُورَ الوَحيِ والرِسالة، وأشمُّ رائحةَ النُبوّة، ولقدْ سمعتُ رنّةَ الشيطان حينَ نَزَلَ الوحيُ...»[2] الكلام إلى آخره.

فمَنْ كانَ بِهذهِ الصِفَةِ هلْ يُعادَلُ؟ أو يُماثَلُ؟ أو يُشاكَلُ؟

وفي قول النَبيّ ﷺ: «إنّك تسمعُ ما أَسمَعُ، وتَرى ما أَرى إلاّ أنّك لستَ بنبيٍّ»[3] فضلٌ عظيمٌ، وشرفٌ وسيمٌ، ومجدٌ باذخٌ، وفخارٌ شامخٌ.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢/ ٥٧، والحاكم في المستدرك: ج٣/ ٥٧٦، ومجمع الزوائد: ج٨/ ١٥٣، والاستيعاب: ج١/ ٣٧، وشرح النهج: ج١٣/ ١٩٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٩٢ القاصعة: ٣٠٠-٣٠١.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٩٢ القاصعة: ٣٠٠-٣٠١.

قول ابن العَرَبيّ، في علم أبي بكر:

وأمّا قول ابن العَرَبيّ، في علم أبي بكر وأنّه: «أعلمُ الأُمّة بعد رسول الله ﷺ».

فنحنُ ننقضُ كلامَهُ في ما ادّعاه: أوّلا: من علم أبي بكر، لأنّه عدّ أشياء خارجةً عن العلم المعتبر.

قال: قد ظهر علمُ أَبِي بَكْر في مواطن: أوّلُها حينَ خَرَجَ من جِوارِ ابن الدَغِنَة، ورضيَ بِجِوار الله تعالى.

فنقول: هذا كلامٌ تمجُّهُ الآذانُ، ولا يسوغُ في الأذهان، لأنّ خُروج أبي بكر من جِوار ابن الدغنة ليس من باب العُلُوم الشرعيّة، ولكنّه من باب الثقة بالألطاف السماويّة، وقد شارك أبا بكر غيرُهُ من الصحابة في ترك الذمّة والجوار:

منهم: عُثمانُ بنُ مظعُون، فإنّه ردّ جوارالوليد بن المُغيرة، لمّا رأى ما فيه أصحابُ رسول الله ﷺ وهو يغدُو ويرُوحُ آمِناً بأمان الوليد، فقال: واللهِ إنّ غُدُوّي ورواحي آمِناً بجوار رجل من أهل الشرك؛ وأصحابي وأهل ديني يلقَونَ من البلاء والأذى في الله ما لا يُصيبُني؛ لَنَقصٌ كثيرٌ في نفسي.

فمشى إلى الوليد، وردّ عليه جوارَهُ ـ في قصّة فيها بعض طول ـ أدّت إلى أن لطم عُثمان بن مظعُون في عينهِ حتّى اخْضَرَّتْ، فقال لهُ الوليدُ: أما والله يابن أخي لقدْ كانتْ عينُك مِمّا أصابَها لَغَنيّةً؛ ولقد كنتَ في ذمّة منيعة.

فقال عثمانُ: بلْ ـ والله ـ إنّ عيني الصحيحةَ لفقيرةٌ إلى ما أصابتْ أختَها في الله تعالى، و إنّي لفي جوارِ مَن هو أَعَزُّ مِنك.

وقد شرحنا هذه الأخبار في «الطرازين المعلمّين في شرح المفاخرة بين الحرمين

المحرّمين» وذكرنا ردّ أَبي بَكْر لجوار ابن الدغنّة عليه، وبسطنا القول في ذلك. وذكرنا من كان من الصحابة مُتمسّكاً بجوار من أهل الشرك.

فقد بانَ لَكَ ـ أيّها المنصفُ ـ أنّ ابْن العَرَبِيّ عَدّ رَدّ أَبِي بَكْر لِجِوارِ ابن الدغنّة «عِلْماً لمْ يشارك فيه»! وفي هذا غلطٌ من وجهين:

أحدهما: أنّ ردّه للجوار ليس من العلم في شيء، وإنّما العلمُ لأمير المؤمنين عليه السلام على ما سنذكره بالأدلّة الصحيحة.

والوجه الآخر: أنّ أبا بكر قد شُورِكَ في هذه الفضيلة، كما قدّمناه.

وأمّا قوله: أنّ أبا بكر حين رأى النَبيّ صلى الله عليه وآله مقهوراً، قال: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾[1] قال: وفي هذا علمٌ وافرٌ، لأنّه رجعَ إلى الجملة بالعلم... إلى آخر ما ذكره في هذا الموطن[2].

فنقول: قد كان لك ـ يابن العَرَبِيّ ـ أن تترك هذا الانتصار لعلم أَبِي بَكْر بما ذكرته، لأنّ أبناءَ المَكاتِبِ يَتمكّنون من تلاوة آية من كِتاب الله تعالى.

وتهويلُهُ للأمرِ في تِلاوتِها، وتعظيمُهُ للرُجوع إليها من باب الغُلُوّ في محبّة أَبِي بَكْر والتهافُتِ الّذي لا وجهَ لهُ.

وقوله: فإذا تعلّق بالأصل لم يستحقّ القتل على ترك الفرع.

مَن يطلبُ العلمَ الأُصوليّ جعلَ في تلاوته هذه الآية أصلا وفرعاً، وقسّمَ الكلامَ إلى أصل وفرع، كلّ هذا انتصارٌ لعلم أَبِي بَكْر وتوسعةٌ لِنطاقه، والأمر أقربُ من هذا كلّه.

ولا كلامَ في أنّ أبا بكر أنكرَ على المُشركين ما فعلوهُ، وتلا آيةً شريفةً من

---

(١) غافر: ٢٨.

(٢) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤١.

كتاب الله تعالى، استظهاراً بها.

كما إذا رأيتَ ظالِماً مُتمادِياً في ظلم رَعيّتِهِ، قلتَ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

وكما إذا رأيتَ خائِناً لأمانتِهِ، قلتَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾[2].

وكما إذا رأيتَ مُنهمكاً في الشراب والقمار، قلتَ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾[3].

وأمثال هذا ممّا يكثرُ عَدُّهُ، ولا يسوغُ لسامعه رَدُّهُ، ومثلُ هذا لا يُعدّ عِلماً باهِراً، ولا يكونُ صاحبُ التلاوةِ لِمِثلهِ بَحراً زاخِراً.

ومن العجب! أنّ ابْن العَرَبِيّ على ذكائه وفطنته وألمعيّته ولوذعيّته! وقد سمّى شرحه للترمذي: «عارضة الأحوذيّ»! فأينَ أحوذيّتُهُ؟! حتّى عدّ تلاوة أَبِي بَكْر لقوله تعالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ من العلم المتدفّق والذكاء المُتوقّد؟!.

وهو يَرَى لعليٍّ عليه السلام من العلوم الشرعيّة الاستنباطيّة العقليّة والسمعيّة ما يشهدُ لهُ بِأنّهُ ـ كما ورد فيه ـ: «باب مدينة العلم».

ليس ذلكَ إلاّ لكراهيّة أن يكونَ عليه السلام أعلمَ الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) إبراهيم: ٤٢.

(٢) النساء: ٥٨.

(٣) المائدة: ٩٠.

ويأبى اللهُ ورسولُه إلاّ أن يكون أعلمَ الناسِ بغيرِ الْتِباس، بما سنذكره إن شاء الله تعالى مفصّلا، ونُورد الدليل على ذلك مُحرّراً مُحصّلا.

وأمّا قوله ـ في الموطن الثالث ـ لأم قبيح (يعني أم جميل) بنت حرب، وهي امرأةُ أبي لَهَب، وقد قالت له: «إنّ محمّداً هجاني» فحلفَ لها أبو بكر أنّه ليس بشاعر وما هجاها، فصدّقتْهُ.

عَدَّ ابنُ العَرَبيّ هذا الكلامَ من أَبِي بَكْر «من العلم الزاخر والنظر الباهر»!.

وهذا من المُضحكات، ويشبهُ أن يكون من ابْن العَرَبِيّ من التجاهُلات الظاهرات، والأضاحيك المُلهيات.

كيف يخفى هذا على ذي بصيرة ولا يشوّش به قلب صافي سريرة؟!

ومعلومٌ لأبناء المكاتب أنّ سورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1] إلى آخرها، ليست بشعر، وهي من جملة القرآن المنزل، وقول ابْن العَرَبِيّ إنّ امرأة أبي لهب صدّقت أبا بكر حين حلف لها، فهي قبل أن يحلف لها عارفةٌ بأنّ ما أنزل الله تعالى فيها وفي زوجها ليس بشعر، لأنّها من نساء قريش العارفين بلغة العرب وألحانها وأشعارها ورجزها وأسجاعها.

ولولا خروج الكلام بنا إلى الإطالة لذكرنا أشعار نساء قريش وما لهنّ من التفنّن والقريض، والتوسع في أساليبه من النظم والنثر، فأُمّ جميل بنت حَرْب عارفةٌ ـ قبل أن يحلف لها أبو بكر ـ أنّ رسول الله ﷺ لم يكن شاعراً، ولا يحسن الشعر، وأنّ الّذي سمعتْ من كلام الله فيها وفي زوجها خارجٌ عن القوى البشريّة، والأساليب الشعريّة.

---

(١) المسد: ١.

وقد قال عمّها عُتبةُ بنُ ربيعة، وقد تلا عليه رسولُ الله ﷺ سورةَ السجدة، فأنْصَتَ لَها، وألقى يدهُ خلف ظهره، معتمداً عليها، يسمعُ منه، ثُمّ انتهى رسولُ الله ﷺ إلى سجدة فيها فَسَجَدَ، ثُمّ قال: «قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعتَ فأنتَ وذاكَ» فقام عتبةُ إلى أصحابه فقال بعضُهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الّذي ذهب به. فلمّا جلس إليهم قالوا: ما وراءَك يا أبا الوليد؟

قال: ورائي أنّي سمعتُ قولاً، والله؛ ما سمعتُ مثله قَطُّ، واللهِ؛ ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. وفي بعض الروايات أنّه قال: إنّ لهُ لَحلاوَةً، وأنّ عليه لَطلاوَةً.

ومثل هذا خبرُ الوليد بن المغيرة، في ما يصف به القرآن حين اجتمع إليه قومهُ، وقالوا: في النَبيّ ﷺ بقولة أنّه كاهنٌ.

قال: والله؛ ما هو بكاهن، لقد رأينا الكُهّان، فما هو بزمزمة الكاهنِ، ولا سجعه.

قالوا: فنقول: مجنون؟!.

فقال: ما هو بمجنون، لقد رأينا المجنون وعرفناهُ، فما هو بخنقهِ، ولا بتخالجه[1] ولا وسوسته.

قالوا: فنقول: شاعرٌ؟!.

فقال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كلّه: رجزه، وهزجه، وقريضه، ومبسوطه، ومقبوضه؛ فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول: ساحر؟!.

---

(١) تخالَجهُ: تتجاذبه وتنازعه، ويقال: تخالجته الهموم. «المعجم الوسيط: ٢٤٨».

قال: ما هو بساحر؛ قد عرفنا السحّار وسحرهم، فما هو بنفثه، ولا عقده.

قالوا: فما نقول، يا أبا عبد شمس؟؟

قال: والله؛ إنّ لقوله حلاوةً، وأنّ أصله لغدقٌ، وأنّ فرعه لعذقٌ»[1].

القصدُ من هذه الإشارة إلى معرفتهم الشعر، وأنّ امرأة أبي لهب لعارفةٌ بهذا؛ وأنّها غير محتاجة إلى يمين أَبِي بَكْر، وأنّها وإن احتاجتْ إليها، وقُدّرَ أنّها ما عرفتْ السورةَ الّتي أنزل اللهُ فيها وفي زوجها إلاّ بيمين أَبِي بَكْر، فليس هذا من العلم الذي يُعَدُّ له موطنٌ برأسه، ويُبنى له أصل بأساسه.

فقد بانَ لكلّ منصفٌ العصبيةُ من ابن العَرَبِيّ، والتحامل على أَمِير المُؤْمِنِيْنَ كرّم الله وجهه، والله المستعان.

وأَمّا قوله: في الموطن الرابع:

لّما بلغه ـ يعني أبا بكر ـ أنّ النَبيّ ﷺ قال: «أُسري بي إلى بيت المقدس فكذّبني الناس». قال: أبو بكر: صَدَقَ، أنا أُصدّقهُ بأعظم من هذا؛ وهو خبرُ السماء.

قال ابن العَرَبِيّ: وهو قياسُ الأوْلى الّذي خفي على كثير من العلماء، وهو جائزٌ في المعقول والمنقول.

فنقول: هذا أعجب وأغرب ممّا تقدّم، انظرْ إلى عدّه لتصديق أَبِي بَكْر لرسول الله ﷺ من العلم الّذي خفي على كثير من العلماء، وجعله من قياس الأولى، والتهويل بتجويزه في المعقول والمنقول.

ولو أنّهُ ما عَدَّ هذا من فضائل أَبِي بَكْر لكان أولى.

---

(١) الدرّ المنثور: ج٤/ ١٠٦.

فأمّا عدّه له من العلم، ثُمّ ما رضي بهذا حتّى قال: هو من قياس الأولى، خفي على كثير من العلماء؛ فهو حُبّ ظاهرٌ وغلوٌّ مُتظاهرٌ.

ومن أين للصحابة المعرفةُ بقياس الأولى، و قياس الشبه، وقياس الطرد، وقياس العكس؟!

ومن أين للصحابة العرب الخلص المعرفةُ بدقائق الأُصوليّين من الأصل والفرع، والعلّة، والمناسب، والعرف، وتنقيح المناط؟ وأمثال ذلك من عبارات الأُصوليّين اللاتي ابتدعوها وافترعوها وخلصوها ولاحقوها وتكلّموا عليها وصنّفوا فيها؟؟!!.

وإنّما يعرف هذه الدقائق، ويُميّزُ هذه الحقائق: الجُوينيّ والغزاليّ والرازيّ والقفّال والقاسانيّ والنهروانيّ والباقلانيّ وأبو عليّ وأبو هاشم وأبو الحسين البصريّ وقاضي القضاة وابن الحاجب، وأمثالهم من علماء الأُصول.

فأمّا أبو بكر ابن قُحافة، فما أبعده عن هذا، وإنّما علمُه آيةٌ من كتاب الله تعالى، أو حديثٌ يرويه عن رسول الله ﷺ.

وما شأنهُ والإشارةُ بتصديقه للنبيّ ﷺ إلى قياس الأولى؟!!.

وبعدُ، فإنّ علم الأصول مخترَعٌ، اخترعه الشافعيّ (رضي الله عنه) واستخرجه، ولم يسبقْ إلى هذا العلم أحدٌ عليه، وقد أنكر ابْن العَرَبيّ على من قال: إنّ النَبيّ ﷺ أراد بقوله في الهلال: «فاقدروا له» أي منازل القمر.

قال ابن شريح رئيسُ مذهب الشافعي ومُحيي رُسُومه: هذا خطابٌ لمن خصّهُ اللهُ بهذا العلم؛ وقوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ الْعِدَّةَ﴾[1] خطابٌ للعامّة.

---

(١) البقرة: ١٨٥.

قال ابنُ العَرَبيّ: هذهِ هَفْوَةٌ لا مردّ لها، وعثرةٌ لا لَعاً منها[١] وكبوةٌ لا استقلال فيها، ونَبْوةٌ لا قربة معها ولا استقرار بعدها. أوّهْ! يا ابن شريح، أين مسائلك الشرعيّة؟ وأين صوارمُك السُريجيّة؟ تسلُكُ إلى المضيق، وتخرج إلى الجهل عن العلم والتحقيق. ما لمحمّد والنجوم؟ وما لَكَ أنتَ وللتراقي هيهنا والهجوم؟ وكأنّك لم تقرأُ قوله: «إنّا نحنُ أُمّةٌ أُميّةٌ لا نحسبُ ولا نكتُبُ، الشهرُ هكذا وهكذا وهكذا»[٢] وأشار بيديه الكريمتين ثلاثَ إشاراتٍ، وخنسَ بإبهامه في الثالثة!؟.

فما ظنّك بمنْ يدّعي عليه أنّه يُحيل على حساب اليدين، ويُنزلها على درجات في أفلاك غائبات؟ هيهات! إنّ هذا المرءَ أجهلُ الجُهّال؛ لا حديث النبيّ ﷺ حفظَ؛ ولا مقطعه فهمَ.

هذا كلامُ ابْن العَرَبيّ على ابن شريح، في ردّه أنّ النَبيّ ﷺ أراد علم النجوم. فكذلك نقولُ له في ردّ مقالته: أنّ أبا بكر أراد علم الأُصول؛ لأنّه لا يهتدي إليه ولايعوّل عليه، لولا التعالي في وصفه بالتدقيق، وإيغاله في التحقيق؛ ولا وصمَ لأبي بكر في جهله بما استنبطهُ عُلماءُ الشريعة النبويّة من دقائق الأساليب الأُصوليّة.

وأمّا قوله: في الموطن الخامس:

لعُمَر مثل ما قال رسول الله ﷺ حين استرابَ المُسلمون برُجوعهم دُونَ دُخول المسجد الحرام، حتّى قال: هذه مُوافقةُ علم عظيم؛ ونظر قويم[٣].

---

(١) في اللسان: «لَعاً» كلمةٌ يُدعى بها للعاثر، معناها: الانتعاش (لعا).

(٢) صحيح البخاري: ج٢/ ٢٣٠، وصحيح مسلم: ج٣/ ١٢٤، ومسند أحمد: ج٢/ ٤٣.

(٣) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤٢.

من العجائب! لأنّ أبا بكر غنيّ عن هذا التكلّف، وغير محتاج في علمه إلى هذا التعسّف.

ولقد كان ابْن العَرَبِيّ غنيّاً عن هذه المُعاضدة الفاسدة، والمُراودة الباردة، ويكفيه في هذا الموطن أن يقول: قد أصاب أبو بكر بردّهِ على عُمَر بن الخطّاب ما قاله، وكونه وافَقَ كلامَ رسول الله ﷺ.

فقد وافق عبدُ الله بن أبي سرح كلامَ الله حيثُ نزلَ قولُه تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ**﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾[2] فسبقَ بِها لسانُ عبد الله ابن أبي سرح، وكان يكتب، لرسول الله ﷺ الوحي، فقال له عليه السلام: «أكْتُبْها، كذا أُنزلت»؛ فكان ذلك سببَ رِدّتِهِ... في كلام يطول.

القصدُ أنّ مجرّد المُوافقة في القول لا يوجبُ الفضل الجسيم، والعلم العظيم.

وقد ذكر العلاّمةُ ابنُ أبي الحديد رحمه الله تعالى في شرح قول عليٍّ عليه السلام في نهج البلاغة:

«ولقدْ عَلِمَ المُستحفِظُون من أصحاب محمّد ﷺ أنّي لم أَرُدَّ على الله ولا على رسوله ساعةً قَطّ، ولقد واسيتُ بنفسي في المواطن الّتي تنكُصُ فيها الأبْطالُ ويَتأخّرُ الإقدام نَجْدَةً أكرمني اللهُ بِها»... إلى آخر كلامه في هذا الفصل[3].

قال ابن أبي الحديد في شرحه: أرادَ بقوله عليه السلام: «لم أرُدَّ على الله ولا على رسوله ﷺ» الإشارةَ إلى ما كان من غيره يومَ الحُديبية عندَ سَطْرِ كتابِ الصُلح،

---

(١) المؤمنون: ١٢.

(٢) المؤمنون: ١٤.

(٣) نهج البلاغة، كلام رقم ١٩٧: ٣١١.

فإنّ عُمَرَ قال لرسول الله ﷺ: أَلَسْنا المسلمين؟ قال: «بلى».

قال: فليسُوا الكافرين؟ قال: «بلى».

قال: فكيفَ نُعطي الدنيّةَ في دِينِنا؟

فقال ﷺ: «إنّما أعملُ بما أُؤْمَرُ بِهِ». فقام. فقال قومٌ من الصحابة: أَلَمْ يكنْ قد وَعَدَنا بدُخُول مكّة؟ و ها نحنُ قد صُدِدْنا عنها؟!!

فقال أبو بكر: وَيْحَكَ[1] الْزَمْ غرْزَهُ[2] فواللهِ؛ إنّهُ لَرسولُ الله، ثُمّ قال له: أَقالَ لَكَ إنّهُ سيدخُلُها هذا العام؟

قال: لا.

قال: فسيدخُلُها[3].

فعلى رواية ابن أبي الحديد لم تقعْ مُوافقةٌ، بلْ كان جوابُ رسول الله ﷺ لعُمَر: «إنّما أَعملُ بِما أُؤْمَرُ بِهِ» لم يزدْ على هذا شيئاً.

وكلام أَبِي بَكْر لعُمَر من أوضح دليل على حسن إسلامه وعظيم تصديقه وصحّة يقينه، لا أنّه من العلم الباهِرِ، وأنّه ـ كما قال ابْن العَرَبِيّ: علمٌ عظيمٌ ونظرٌ قويمٌ لم يتفطّنْ له غيرُهُ!!.

وقد تأوّلَ ابن أبي الحديد سؤال عُمَرَ لرسول الله ﷺ فقال: كانَ على سبيل الاسترشاد، والتماساً لطمأنينة النفس!؟ فقد قال الله عزّ وجلّ لخليله إبراهيم عليه السلام: ﴿**أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾[4].

---

(١) خِطاب أبي بكر لِعُمَرَ يدلّ على أنّ عُمَرَ هُو المُثيرُ للاعتراض على النّبيّ ﷺ لوْ لمْ يكنْ هُوَ المُعترضَ الوحيدَ. (وكتب السيّد).

(٢) الغرز في الأصل: ركاب كور الجمل، والكلام هنا على المجازة أي أتبع قوله وفعله.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ١٨٠.

(٤) البقرة: ٢٦٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ١٨٠.

و أَمّا قول أَبِي بَكْر: الزمْ غرزهُ فوالله؛ إنّه لرسول الله ﷺ.

فإنّما هو تأكيدٌ وتثبيتٌ للعقيدة الّتي في قلبه، ولا يدلّ ذلك على الشكّ، فقد قال اللهُ تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً﴾[1] وكلُّ أحد لا يستغني عن زيادة اليقين والطمأنينة. هذا كلامه رحمه الله تعالى[2].

وقد أحسن في تأويله في سؤال عُمَرَ؛ وإن كان ظاهرهُ يُفيدُ الشكّ، ولا يليقُ بكلام عُمَرَ إلاّ حمله على السلامة، والله وليّ الإعانة.

فقد بانَ لَكَ فضلُ عليٍّ ﷺ وأنّه لم [يردّا] على رسول الله ﷺ ساعةً قطُّ.

وقد ذكر ابن أبي الحديد جملةً من أفعال عُمَرَ الّتي كان سَبَقَ بها رسول الله ﷺ كقوله: دَعْني أضرب عنقَ أبي سُفيان.

وقوله: دَعْني أضرب عنقَ هذا المُنافق، يعني عبد الله بن اُبي.

وقوله: دَعْني أضرب عنقَ حاطب بن أبي بلتعة، وغير ذلك[3].

وأَمّا قوله في الموطن السادس:

أنّ النَبيّ ﷺ لّما قال: «إنّ عَبْداً خَيَّرَهُ اللهُ تعالى بَيْنَ الدُنيا والآخِرةُ، فاختارَ ما عندَهُ». فبكى أبو بكر، والناسُ يتعجّبون؛ و فَهِمَ أبو بكر أنّه ﷺ هو المراد.

واقتصرَ ابْن العَرَبيّ على هذا في أنّه من العلم، وجعلَ هذا موطِناً، وقِسماً منفرداً. وهذا كما ترى.

واللائقُ بهذا المكان الإنصافُ فنقولُ: فَهْمُ أَبِي بَكْر أنّ رسول الله ﷺ هو المُراد بما قال؛ فَهْمٌ لا غُبارَ عليه، وقد أحسنَ في فَهْمِهِ.

---

(١) الإسراء: ٧٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ١٨١.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ١٨١.

فأمّا أنّه غايةٌ في العلم! ونهايةٌ في التبريز! فليس الأمر كذلك.

وأَمّا قوله في الموطن السابع:

إنّه لّما سمعَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[١] وخرجَ الناسُ مُعْجَبين به، فقال لهم أبو بكر: «ما تَمَّ شيءً إلاّ و نَقَصَ».

ثمّ عرفَ إنّه موتُهُ، وعرف دفنه، وكيفيّة غسله، والصلاة عليه، وتكفينه، وجاء بالخطبة العُظمى في موته...الكلام إلى آخره.

فأمّا فهمُ أبي بكر:

فقد قيل: إنّ العبّاسَ بن عبد المطّلب (رضي الله عنه) هو الّذي فَهِمَ هذه الآية[٢] وإنّه حين نزل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[٣] بكى بُكاءً شديداً، ثمّ قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! نُعِيَتْ إليكَ نَفْسُكَ؟.

فربما فَهِمَ أبو بكر شيئاً؛ قد فَهِمَ مثلُهُ العبّاسُ؛ وربما كان فَهْمُ العبّاس سابِقاً، واللهُ أعلم، والأمر في ما هيهنا قريب.

وأمّا معرفته بهذه الآية لدفنه ﷺ وكيفيّة غسله... إلى آخر ما ذكره.

فهذا كلامٌ انفردَ بهِ ابنُ العَرَبيّ؛ لأنّ الدفنَ للموتى معلومٌ، وكذلك التكفينُ، والغسلُ، والصلاةُ، هذه أُمورٌ معلومةٌ قبل موته ﷺ وقد أَمَرَ النَبيّ ﷺ بدفنِ الموتى، وغسلهم، وتكفينهم، والصلاة عليهم؛ وعَلَّمَ الناسَ الشريعةَ في هذا كلّه، وعُرِفَ ذلك من قولهِ ووصفهِ؛ ولمْ يختصّ أحداً بشيء من هذا.

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) النصر: ١.

(٣) النصر: ١.

ويمكنُ أن يكونَ مُرادُ ابْن العَرَبيّ كيفيّة غسل رسول الله ﷺ وتكفينه، والصلاة عليه، فإنّ لها حُكماً مُخالِفاً لأحكام أُمّته.

وهذا في ما أحسب هو مراده.

والجوابُ عليه في ذلك: أنّ المعلومَ إنّه ﷺ لّما قُبضَ، تولّى عليٌّ عليه السلام تجهيزَهُ، وقامَ به دُونَ الناسَ كلِّهم.

وفي كلامه عليه السلام ما يشهدُ بِما قُلناهُ حيثُ قال:

«ولقدْ وَلِيْتُ غُسلَهُ ﷺ والملائكةُ أعواني، فضجّتَ الدارُ والأفْنِيَةُ، مَلأٌ يهبطُ، و مَلأٌ يعرُجُ، وما فارَقَتْ سَمْعِيَ منهمْ هَيْمَنَةٌ، يُصلُّونَ عليهِ حتّى وارَيْناهُ في ضريحِهِ، فمَنْ ذا أَحَقُّ بِهِ منّي حَيّاً ومَيّتاً»[1].

قال العلاّمة ابن أبي الحديد في شرحه لهذا الكلام: وقد أخذ في وصف شكاة رسول الله ﷺ ثمّ حكى وفاته ﷺ وما كان من اختلافهم في موضع قَبرِهِ، وقال قائلٌ: في المدينة بِالبقيع، وقائلٌ: عند شُهداء أُحُد، ثمّ اتّفقوا على دفنِهِ ﷺ في البيت الّذي ماتَ فيه، وكان عليٌّ عليه السلام هو الّذي أشارَ بِذلك، فرجعُوا إلى قوله[2].

قلتُ: والّذي أحفظه أنّه وَرَدَ في هذا حديثٌ نبويٌّ مَعناه: «لا ينبغي لنبيٍّ أنْ يُدفَنَ إلاّ في الموضعِ الّذي ماتَ فيه»[3].

ثمّ صَلّوا عليهِ أرسالا، لا يؤمُّهم أحدٌ.

---

(١) نهج البلاغة، كلام رقم ١٩٧ : ٣١١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ١٨٥.

(٣) أقول: الحديث المروي هو ما ذكره ابن أبي الحديد من رواية أبي بكر من قوله ﷺ: «الأنبياء يدفنون حيث يموتون»، وأنظر السيرة النبوية لابن هشام: ج٤/ ١٠٧٧.

وذكر ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى: أنّ أبا بكر روى حديث دفنه ﷺ في بيتهِ!.

وكان ابنُ المظفّر يزعمُ: أنّ أبا بكر اختلقَ الحديثَ، وأنّه أرادَ إذا دُفِنَ النَبيّ ﷺ في حُجرَةِ ابنتِهِ فإنّها تدفُنُهُ في حُجْرَتِها.

ومثل هذا لا يبعدُ في أَبِي بَكْر، وهو أجمل من ذلك.

قال ابن أبي الحديد: وأنا أعجبُ من صلاتهم عليه، وهيَ كانتْ بعدَ بيعةِ أَبِي بَكْر، فما الّذي مَنَعَ أنْ يتقدّمَ أبو بكر فيُصلّي عليه إماماً؟!![1].

قلتُ: قد ذكر السُهيليُّ في «الرَوْض الأُنُف»: أنّ رسول الله ﷺ أوصى بِصلاة الناس عليه أرسالا. وقال ﷺ: «إنْ أنا مُتُّ فضعُوني على سريري، ثمّ اخرُجوا عنّي، فإنّ أوّلَ مَنْ يُصلّي عَلَيَّ الملائكةُ».

وقد ذكرتُ الكلامَ مُستوفىً في هذا في كتاب «شرح المُفاخرة بين الحرمين». ونعودُ إلى تمام الكلام:

قال ابن أبي الحديد: قد تنازعُوا في مَنْ ينزلُ معهُ القبرَ، فمَنَعَ عليٌّ ﷺ الناسَ أنْ ينزلُوا معهُ، وقال: «لا ينزلُ في قبرِهِ ﷺ غيري وغيرُ العبّاس» ثمّ أَذِنَ في نزول الفضل وأُسامة بن زيد مولاهم، ثمّ ضجّت الأنصارُ، وسألُوا أن ينزلَ منهم رجلٌ في قبره ﷺ فأنزلُوا أوسَ بن خولى وكان بدريّاً[2].

قال ابن أبي الحديد: فأمّا الغسل، فإنّ عليّاً ﷺ تولاّهُ بيدِهِ، وكان الفضلُ ابن العبّاس يصُبُّ عليه الماءَ[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ١٨٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ١٨٥.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ١٨٥.

وروى المُحدّثون عن عليٍّ ﷺ قال:

«ما قلّبتُ منهُ عُضواً إلاّ وانقلبَ لا أَجِدُ لهُ ثِقْلا كانَ معي مَنْ يُساعِدُني عليه، وما ذلِكَ إلاّ الملائكةُ عليهمُ السلامُ»[1].

وأَمّا حديثُ الهَيْنَمَة، وسماع الصوت: فقد رواهُ خلقٌ كثيرٌ عن عليٍّ ﷺ وروي أنّ عليّاً ﷺ عصّبَ عينَي الفضلِ حينَ صبَّ عليه الماءَ، وأنّ رسول الله ﷺ أوصاهُ بذلك، وقال: «إنّهُ لا يُبصرُ عورتي أحدٌ غيرُكَ إلاّ عَمِيَ»[2].

فقد رأيتَ أيُّها الناظرُ أنّ ابْن العَرَبِيّ جاوَزَ الحَدَّ في الانتصار لعلمِ أَبِي بَكْر، وأنّه أرادَ أنْ يُظهرَ اختصاصَ أَبِي بَكْر بتجهيزِ رسول الله ﷺ فأبْطَلنا ما قاله؛ وأظهرنا الحقَّ، وأَبَنّا الصدقَ في أنّ عليّاً كرّم الله وجهه هُوَ الّذي اختصّ من بين الصحابة والقرابة بتجهيزه ﷺ وأنّه الّذي غسّله، وكفّنه، ودفنه.

وأمّا الصلاةُ: فكانتْ كما ذكرناه أوصى ﷺ بالصلاة عليه أرسالا.

وقد غابَ عن العلاّمة ابن أبي الحديد الوجهُ لذلك، ووجهُهُ ما ذكرنا ورويناه عن السُهيلي من كتاب (الروض الأُنُف).

وأمّا خطبة أَبِي بَكْر بعد موت رسول الله ﷺ: فقد أحسن وأجاد فيها، وقد بسطت القول فيها (والثناء عليه)[3] في «الطرازين المعلمين في شرح المفاخرة بين الحرمين».

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ١٨٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ١٨٦.

(٣) ما بين القوسين من الأولى.

وروينا خطبة أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليّ ﷺ وما كان من أحوال الصحابة، منهم من أُقعد، ومنهم من أُسكت، ومنهم من هلك وفارق الحياة. وما كان من كلام عُمَر، وردّ أَبِي بَكْر له إلى الصواب.

كلّ هذا قد استوفيناه في موضع هو أخصّ به من هذا الموضع.

والقصد، هيهنا إظهار اختصاص عليّ ﷺ بما زعم ابْنُ العَرَبِيّ أنّ أبا بكر اختصّ به! والحمد لله ربّ العالمين.

وأمّا قوله في الموطن الثالث عشر: ـ لأنّه[1] جعل معرفة الموت، والدفن، و الغسل، والصلاة (مواطن) توسعةً للدائرة، وإظهار العلوم الزاخرة ـ قال: إنّ عثمان حزنَ حُزناً عظيماً لأنّه لمْ يسأل النَبيّ ﷺ عن نجاة الأمّة!. فقال أبو بكر: لكنّي سألتُه، فقال: «الكلمةُ الّتي كُنتُ أدعُو إليها عمّي فأبى أنْ يقولَها».

فنقول: حزنُ عُثمان لا وجهَ له، لأنّ نجاةَ الأُمّة قد ظهرتْ واشتهرتْ، وهي باتّباع النَبيّ ﷺ والدخول في دينه، والتمسّك بشريعته، وهلْ بُعِثَ النَبيّ ﷺ إلاّ لنجاة من اتّبعه، ولزمَ مَهْيَعَه، وكان في الأحوال مَعَهُ؟

فهذِهِ هي النجاةُ، ومَنْ قَرَأَ القُرآن وسَمِعَ آيَ القُرآنِ؛ علمَ بِما تكُون النجاةُ من الهلاك والطُغيان.

وأَمّا قول ابن العَرَبِيّ[2]: «لكنّي قد سألتُه فقال: «الكلمةُ الّتي كُنتُ أدعُو إليها عمّي فأبى أنْ يقولَها».

---

(١) هذا تعليلٌ من المؤلّف لعدم ذكر ابْن العَرَبِيّ للمواطن: (الثامن، والتاسع، والعاشر، والحادى عشر، والثاني عشر) الّتي فرضها بزعمه مواطن لعلم أبي بكر، وإنما فرض الأمور الخمسة: (معرفة الموت، والدفن، والغسل، والصلاة، وخطبة أبي بكر) خمسةَ مواطن، توسعةً وإظهاراً لعلم أبي بكر. ولقد تصدّى المؤلّف في نقض كلامه بعنوان المواطن المذكورة.

(٢) يلاحظ أنّ هذا من قول أبي بكر؟!

فالأمرُ ـ كما في المَثَل: [إليك ساقَ الحديثَ وأيّاهُ رَمى][1] إلى هذا المعنى قَصَدَ، لأنّه أرادَ بهِ الإشارةَ إلى أبي طالب أنّه ماتَ كافراً.

وهذهِ مسألةٌ، اختلفَ أهلُ البيت ﷺ فيها، فروى العبّاسُ (رضي الله عنه) إسلامَه، وحَلَفَ لرسول اللهﷺ بأنّهُ قالَها، يعني الكلمةَ الّتي أمرهﷺ أن يقولها.

وإلى هذا القول ذهبَ طائفةٌ من العترة النبويّة، وقد ذكرنا القول في هذه المسألة في كتاب (شرح المُفاخرة) وروينا فيها مالا يسعه هذا المكان، والله المستعان.

و أمّا قوله في الموطن الرابع عشر:

اتّفق على إثبات الميراث لأزواجه وقرابته، وطلبوا ذلك من أَبِي بَكْر، فقال لهم: إنّ رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركناهُ فهو صدقةٌ» فأذْعَنوا لقوله، وتذكّرُوا ما كانوا نَسُوهُ من عهده... إلى قوله: فإنّ عليّاً والعبّاسَ أقرّا بهِ.

والكلامُ على ابْن العَرَبِيّ في هذه الدعوى-يقعُ في ثلاثة مواضع:

الأوّل: في بيان ما خلّفه رسول الله ﷺ.

والثاني: في ما وقع الخلاف فيه بعدَهُ، بينَ أهله، وبينَ أَبِي بَكْر رحمه الله.

والثالث: في أنّ عليّاً والعبّاس ـ رضي الله عنهما ـ لم يُقِرّا الحديثَ المذكور.

أمّا الموضع الأوّل:

فالذي خلّفه رسول الله ﷺ: أفراسُهُ، وأدراعُهُ، وفَدَك والعوالي، وبقيّةُ سهمِ خيبر.

(١) لاحظ: زهر الأكم في الأمثال والحكم، لليوسي.

فأمّا أفراسُهُ وأدراعُهُ: فلم ينازَعْ فيها عليٌّ عليه السلام بل صارت إليه، دفعها إليه أبو بكر.

وأورد ابن أبي الحديد على أَبي بَكْر اعتراضاً جيّداً، في دفعه إلى عليٍّ عليه السلام ما ذكرناهُ، لأنّهُ ـ على ما رواه أبو بكر من الحديث ـ لا يصحّ أن يُورَثَ شيءٌ بعدَهُ صلى الله عليه وآله.

قال: فقد أشكلَ دفعُ آلتِهِ، ودابّته، وحذائهِ إلى عليٍّ عليه السلام لأنّه غيرُ وارث في الأصل.

ثمّ قال: فإنْ قال قائلٌ: فاتَكَ «إنّما نحنُ معاشرَ الأنبياء لا نورّثُ ذهباً، ولا فِضّةً، ولا أرضاً، ولا عقاراً، ولا داراً».

قيل: إنّ هذا الكلام مفهومهُ أنّهم لا يورّثون شيئاً أصلاً[1].

وأيضاً: فإنّه رويَ عن النَبيّ صلى الله عليه وآله: «لا نورّثْ ما تركناهُ صدقة» ولم يقل: «لا نورث كذا كذا» فاقتضى الحديث انتفاء الإرث عن كلّ شيء؛ ومن جملة ما خلّفه رسول الله صلى الله عليه وآله حُجَرُ نِسائهِ، هذا الموضع الأوّل.

وأمّا الموضع الثاني:

وهو في ما وقع فيه النزاعُ بعده صلى الله عليه وآله فهذه المسألة تحتمل البسطَ والأسهاب. ويقبلُ فيها تأليف كتاب (ولكنّا نقتصر على اليسير خوفاً من الإطالة)[2] ونختصر من الكثير بُعداً عن الملالة.

فنقول: لمّا قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله أرسلتْ فاطمةُ عليها السلام إلى أَبي بَكْر تطلبُ ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة وفَدَك وما بقي من خمس خيبر.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٢٤.

(٢) ما بين القوسين من الأولى.

فقال أبو بكر: إنّ رسول الله ﷺ قال: «لا نورّث ما تركناه صدقة» فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة عليها السلام شيئاً.

فقالت لأبي بكر: «مَنْ يَرِثُكَ إذا ما مُتّ؟».

قال: ولدي وأهلي.

قالت: «فما لَكَ تَرِثُ رسولَ الله ﷺ دُونَنا؟».

فقال: يا بنت رسول الله، ما ورّث أبوك داراً ولا مالاً ولا ذهباً ولا فضّة.

قالت: «بلى، سهمُ الله الّذي جعلهُ لنا، وصار فيئَنا الّذي بيدك».

فقال لها: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إنّما هي طُعمةٌ أطعمنيها اللهُ بها، فإذا مُتّ كانت بينَ المُسلمين[(١)].

وفي رواية: أرسلتْ فاطمةٌ إلى أَبي بَكْر: «أَنْتَ وَرِثْتَ رسول الله ﷺ؟ أَمْ أهلُهُ؟».

قال: بلْ أهلُهُ.

قالت: «فما بالُ سهم رسول الله ﷺ؟».

قال: إنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ اللهَ إذا أطعمَ نبيّاً طعمةً، ثمّ قبضهُ جعلها للّذي يقوم بعده».

قال ابن أبي الحديد: في هذا الحديث عَجَبٌ، لأنّها قالتْ لأبي بكر: أنتَ ورثتَ رسول الله ﷺ أم أهله؟ قال: بل أهلُهُ.

وهذا تصريحٌ بأنّ رسول الله ﷺ موروثٌ يرثُهُ أهلُهُ، وهو خلافُ قوله: «لا نُورَث»[(٢)].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢١٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢١٩، وفي الأولى: (لا يورث).

وفي رواية: أنّ فاطمةﷺ طلبتْ فَدَكاً من أَبِي بَكْر، فقال: إنّي سمعتُ رسول اللهﷺ يقول: «إنّ النَبيّ لا يورَث، من كان النَبيّ يعولُهُ فأنا أَعُولُهُ، ومَنْ كان ينفقُ عليه فأنا أُنفقُ عليه.

فقالتْ: «يا أبا بكر، أترثُك بناتُك، و لا يرثُ رسولَ الله ﷺ بناتُه؟!».

فقال: هو ذلك[1].

قال ابن أبي الحديد في خطبة فاطمة ـ وقد ذكرها، فاختصرناها ـ قالت فاطمة في آخرها:

«أترثُ يا ابنَ أبي قحافة أباكَ، ولا أرِثُ أبي؟ لقد جِئْتَ شيئاً فَرِيّاً! فدُونَكَها مَخطومَةً مَرْحُولةً، تلقاكَ يومَ حَشرِكَ، فنعمَ الحكمُ اللهُ، والزعيمُ محمّدٌ، والموعِدُ القيامَةُ، (وعندَ الساعَةِ يخسرُ المُبطلونِ)[2] ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[3] ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[4]».

قال: ثمّ التَفَتَتْ إلى قبر أبيها ﷺ وتمثّلتْ وقالتْ:

قد كانَ بعدَكَ أنباءٌ وهَنْبَثَةٌ ... لو كُنْتَ شاهدَها لم تكثرِ الخُطُبُ

أبْدَتْ رجالٌ لَنا نَجْوى صُدُورِهِمُ ... إذْ غِبْتَ عَنّا فنحنُ اليومَ نُغْتَصَبُ

تَجَهّمَتْنا رِجالٌ واسْتُخِفَّ بِنا ... لَمّا قَضَيْتَ وحالتْ دُونَكَ الكُتُبُ[5]

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢١٩.

(٢) اقتباس من الآية ٢٧ من سورة الجاثية.

(٣) الأنعام: ٦٧.

(٤) الزمر: ٤٠.

(٥) ديوان فاطمة الزهراء ﷺ (ص١) من موسوعة الشعر العربيّ. وانظر لسان العرب (هنبث) والبدأ والتاريخ للمقدسيّ: ٥٦٨. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢١٢.

قال: فلم يُرَ الناسُ أكثرَ باكياً وباكيةً منهم يومئذ. ثمّ عدلَتْ إلى مسجد الأنصار فقالتْ:

«يا معاشرَ البَقيّة، وأعضادَ المِلّةِ، وحَضَنَةَ الإسلام، ما هذهِ الفَترةُ عن نُصرتي، والوَنِيّةُ عن مَعُونَتي، والغَمِيزَةُ في حَقّي، والسِنَةُ عن ظُلامَتي! أما كانَ لرسُول الله ﷺ أنْ يُحفَظَ في وُلْدِهِ! سَرْعانَ ما أَحْدَثْتُمْ! وعَجْلانَ ما أتيْتم! الأَنْ ماتَ رسولُ الله ﷺ أمتّم دينَهُ! ها! إنّ موتَهُ ـ لَعَمْري ـ لَخَطْبٌ جليلٌ استوسَعَ وَهْنُهُ واستَبْهَمَ فتقُهُ[1] وفُقِدَ راتِقُهُ، واظّلمّت الأرضُ لهُ، وخَشَعَتِ الجِبالُ، وأكدت الآمالُ، أُضيعَ بعدَهُ الحريمُ، وهُتِكَت الحُرمةُ، وتلكَ نازلةٌ أعلن بها كتابُ اللهُ تعالى قبل موتِهِ وأنبأكم بِها قبلَ وفاتِهِ، فقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[2].

إِيْهاً بني قَيْلَةَ! أَهتَضَمُ تُراثَ أبِيَهْ، وأنتمْ بِمَرأىً ومَسْمَع، تبلُغُكم الدَعْوةُ، ويشملُكُمُ الصَوْتُ، وفيكمُ العَدَدُ والعُدّةُ، ولكُمُ الدارُ والجُنَنِ، وأنتُمْ نُخبةُ اللهِ الّتي انتخَبَ وخيرتُهُ الّتي اختارَ! بادَيْتُمُ العَرَبَ وبادَهتُمُ الأُمورَ[3] وكافَحتُم البُهَم

---

(١) في الأولى: رتقه، بدل فتقه.

(٢) آل عِمْران: ١٤٤.

(٣) في الأولى: ناديتم العرب وناهتم الأمور.

حتّى دارَتْ بكم رَحَى الإسلام، ودَرّ حلبُهُ، وخَبَتْ نِيرانُ الحَرْب، وسَكَنَتْ فَوْرَةُ الشِرْك، وهَدَأَتْ دَعْوَةُ الهَرج، واستوسقَ نِظامُ الدين، أفتأخّرتُم بعدَ الإقدام، ونَكَصتّمْ بعدَ الشدّة، وجَبَنْتُمْ بعد الشجاعة، عن قوم ﴿نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[1].

ألا! وقد قُلْتُ الّذي قُلْتُ على معرفة مِنّي بالخِذلةِ الّتي خامَرَتْكُمْ، وخَوَرِ القَناةِ، وضَعْفِ اليقينِ، فدُونَكُمُوها فاحْتَقِبُوها مُدْبِرَةَ الظَهْرِ، ناقِبَةَ الخُفّ، باقِيَةَ العارِ، مَوْسُومَةَ الشعار، مَوْصُولَةً بـ(نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ الّتي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ)[2] فَبِعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلُون[3]؟ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[4]»[5].

قال ابنُ أبي الحديد: فلمّا كلّمَتْ فاطمةُ عليها السلام بما كلّمتهُ به؛ حَمِد الله أبو بكر وأثنى عليه، ثمّ قال: يا خيرةَ النساء، وابنةَ خير الأنبياء، والله! ما عدوتُ رأيَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا عملتُ إلاّ بأمره، وإنّ الرائِدَ لا يكذبُ أهلَهُ، قد قلتِ فأبلغتِ، وأغلظتِ فأهجرتِ؛ فغفرَ الله لَنا ولَكِ.

---

(١) التوبة: ١٢.

(٢) الهمزة: ٦ - ٧.

(٣) المطبوع: تعملون.

(٤) الشعراء: ٢٢٧.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢١١-٢١٣.

أمّا بعدُ، فقد دفعتُ آلةَ رسول الله ﷺ ودابّتهُ وحِذاءَهُ إلى عَلِيٍّ، وأمّا سوى ذلك، فإنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «نحنُ[1] معاشرَ الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضّةً، ولا أرضاً ولا داراً ولا عقاراً، ولكنّا نورثُ الإيمانَ والحِكمةَ والعلمَ والسنّةَ» فقد عملتُ بما أمرني ونصحتُ[2].

قالت فاطمةُ عليها السلام لأبي بكر: إنّ[3] أُمّ أيمن تَشْهَدُ لي أنّ رسول الله ﷺ أعطاني فَدَك.

فقال لها: يا ابنة رسول الله، والله! ما خلقَ الله خلقاً أحبّ إليَّ من رسول الله ﷺ أبيك، ولوددتُ أنّ السماءَ وقعتْ على الأرض يوم[4] ماتَ أبوك، والله! لئن تفتقرُ عائشةُ أحبُّ إليّ من أنْ تفتقري، أتريني أعطي الأسودَ والأحمرَ حقّهُ وأظلمُكِ حقّكِ؟ وأنتِ بنتُ رسول الله ﷺ؟! إنّ هذا المال لم يكنْ للنبيّ ﷺ إنّما كان مالاً من أموال المسلمين يحملُ به النَبيّ ﷺ الرجالَ، ويُنفقُهُ في سبيل الله، فلمّا تُوُفّي رسولُ الله ﷺ ولّيتُهُ كما كان يليه.

قالتْ: والله، لأدْعُوَنَّ عَلَيْكَ.

قال: والله، لأدعُونّ اللهَ لكِ.

قالتْ: والله، لا كَلَّمْتُكَ أَبَداً.

قال: والله، لا هَجَرْتُكِ أَبَداً!.

---

(١) في الأولى: إنّا.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢١٣-٢١٤.

(٣) المطبوع: أُمّ أيمن تشهد لي.

(٤) كذا في الأولى، وفي الثانية: بعدما، بدل: يوم.

فلمّا حضرتْها الوفاةُ أَوْصَتْ أنْ لا يُصلّي عليها، فدُفِنَتْ لَيلا، وصَلّى عليها العبّاسُ (رضي الله عنه) وكانَ بين وفاتها ووفاة أبيها ﷺ اثنتان وسبعون ليلةً[١].

وفي رواية أخرى: لمّا كَلَّمَتْ فاطمةُ أبا بكر؛ بَكَى، ثمّ قال: يا ابنةَ رسول الله، وما ورّثَ أبوك لا دِيناراً ولا دِرْهماً، وإنّه قال: «إنّ الأنبياء لا يورثون».

فقالت: «إنّ فَدَكاً وَهَبَها لِيَ رسولُ الله».

قال: فمَنْ يَشْهَدُ لَكِ بِذلك؟ فجاءَ عليٌّ بنُ أبي طالب عليه السلام فَشَهِدَ، فجاءتْ أُمُّ أيمنَ فَشَهِدَتْ.

فجاءَ عُمَرُ بنُ الخطّاب وعبدُ الرحمن بن عوف فشَهِدا أنّ رسولَ الله ﷺ كان[٢] يُقسّمها.

فقال: صَدَقْتِ يا ابنةَ رسول الله ﷺ (وصَدَقَ عليٌّ)[٣] وصَدَقَتْ أُمّ أيمن، وصَدَقَ عُمَرُ، وصَدَقَ عبدُ الرحمن، وذلك أصلُهُ لأبيك، كان رسول الله ﷺ يأخذُ من فَدَك قُوتكم، ويُقسّم الباقي، ويحملُ منه في سبيل الله، فما تصنعين بِها؟.

قالت: «أصنعُ بِها كما يصنعُ بها أبي».

قال: فَلَكِ عليَّ الله أنْ أَصْنَعَ بِها ما كانَ يصنعُ بِها أبوك.

قالت: «اللهَ، لَتَفْعَلَنّ».

قال: اللهَ لأفعَلَنَّ.

قالت: «اللهمّ اشهَدْ».

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢١٤.

(٢) أضاف في الأولى: قد.

(٣) ما بين القوسين ليس في الأولى.

فكان أبو بكر يأخذ غلّتها فيدفعُ إليهم ما يكفيهم، ويُقسم الباقي، ثمّ عُمَر، ثمَّ عثمان كذلك، ثمّ كان عليٌّ عليه السلام كذلك؛ فلمّا وَلِيَ الأمرَ مُعاوية أقطع مروان ثُلُثها[1] وذلك بعد موت الحسن بن عليّ عليه السلام فلم يزلْ بَنُو أُميّة يتداوَلُونه حتّى خَلَصَت كلّها لمروان أيّام خلافته، فوَهَبَها لعبد العزيز ابنه، فوهبها عبد العزيز لابنه عُمَر، فلمّا ولي عُمَرُ الخلافة، كانَتْ أوّلَ ظُلامَة رَدَّها، دَعا الحَسَنَ بنَ الحَسَن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فدَفَعَها إليه، فكانت بيد أولاد فاطمة مدّة ولاية عُمَر بن عبد العزيز، فلمّا وَلِيَ يزيدُ بنُ عاتكة؛ قبضها منهم، فصارت في أيدي بني مروان يتداولونها، فلمّا انتقلت الخلافة إلى بني العبّاس ردّها السفّاحُ على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، ثمّ قبضها أخُوهُ أبو جعفر الدوانيقيّ لمّا حدث من بني الحسن ما حَدَثَ، ثمّ ردّها ابنه المهديّ على ولد فاطمة عليها السلام ثمّ قبضها موسى ابن المهدي وأخوه هارون، فلم تزلْ في أيديهم حتّى ولي المأمون، فردّها على الفاطميّين.

وفي ذلك قال دعبلُ بن عليّ الخزاعيّ[2]:

أَصْبَحَ وجهُ الزمانِ قدْ ضَحِكا ... بِرَدِّ مأمونَ هاشماً فَدَكا

فلم تزلْ في أيديهم حتّى قبضها المتوكّلُ عليهم، فأقطَعَها عبدَ الله بن عُمَر البازِيار، وكان فيها إحدى عشرة نخلةً غَرَسَها رسولُ الله صلى الله عليه وآله بيده الشريفة، فكانَ بنو فاطمةَ يأخُذُون تَمْرَها، فإذا قدمَ الحُجّاجُ[3] أهْدَوا لهم من ذلك التمر،

---

(١) المطبوع: وأقطع عمرو بن عثمان بن عفّان ثلثها، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها.

(٢) ديوان دعبل الخزاعي: ١١٩، معجم البلدان ـ فَدَك ـ.

(٣) في الأولى: الحاجّ.

فيصِلُونَهم، فيَصِيرُ لَهم من ذلك مالٌ جليلٌ، فَصَرَمَ[1] عبدُ الله بن عُمَر البازيار ذلك التمر، و وجّه رَجُلا يُقال له بشران[2] أبي أُميّة الثقفيّ إلى المدينة فَصَرَمَهُ، ثمّ عادَ إلى البصرة فُفلِجَ؛ فكانَتْ هذه آيَةً، ومن الله لبشران[3] المذكور عُقُوبَة[4].

قال ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى: عن عائشة: إنّ أزواجَ النَبيّ ﷺ أَرَدْنَ أنْ يبعثنَ عُثمان بن عفّان إلى أَبِي بَكْر ليسألَهُ لَهنَّ ميراثُهُنَّ ـ أو قال ثُمْنَهنّ ـ قالت: فقلتُ لهنّ: أليسَ قد قال النَبيّ ﷺ: «لا نورث، ما تركناه صدقة».

قال ابن أبي الحديد: هذا حديثٌ غريبٌ، لأنّ المشهور أنّه لم يَعرِفْ حديثَ انتفاء الإرث، إلاّ أبو بكر وحدَهُ!.

والقصدُ الإشارةُ إلى ما حَدَثَ من النزاع بعد رسول الله ﷺ في ما ترك، لا إيرادُ الأدلّة على تصحيح قول، أو فساد قول[5] فهذهِ المسألةُ طويلةُ الأشجان، وإنّما ذكرنا منها ما ذكرناه لّما ذكر ابْن العَرَبِيّ حديثَ أبي بكر فيها.

ثمّ نعودُ إلى الموضع الثالث الّذي بيّنا الكلام عليه من الأصل، وهو في إنكار ما نسب ابن العَرَبِيّ إلى عليّ عليه السلام والعبّاس رضي الله عنهما من الإقرار بالحديث الّذي زاده؛ لأنّ كلامنا فيه تقرّر على هذه المواضع، فنقول:

وأمّا الموضع الثالث: وهو في إنكار ما ذكره ابْن العَرَبِيّ من الإقرار بالحديث المذكور.

---

(١) صرم النخل: جذه وقطعه.

(٢) في الأولى: بشر.

(٣) في الأولى: لبشر.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢١٥-٢١٧.

(٥) في الأولى: وإفساد قوله.

فاعلم، وفّقك الله تعالى إنّ عليّاً (عليه السلام) والعبّاس (رضي الله عنه) اختصما في صَدَقَةِ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكانَتْ بيدِ عليٍّ (عليه السلام) غَلَبَ عليها العبّاسُ، وكانتْ فيها خُصومتُهما، على ما سنذكره، ولعدم الإقرار منهما تقريرهُ، اختصما فيها إلى عُمَر بن الخطّاب فأبى عُمَرُ أنْ يُقسّمها بينَهما حتّى أعرضَ عنها العبّاسُ، وغلب عليها عليٌّ (عليه السلام) وكانتْ بيد الحسن بن عليّ، ثمّ بيد الحسين بن عليّ، والحسن بن الحسن، ثمّ بيد أولادهما، ثمّ بيد زيد بن عليٍّ (عليه السلام).

ونذكرُ ترافُعَ عليّ والعبّاس (عليه السلام) إلى عُمَر بن الخطّاب، وقصّتُهما معروفةٌ مشهورةٌ في كتب الصحاح، ونرويها هيهُنا من شرح ابن أبي الحديد.

قال (رضي الله عنه): لَمّا دَخَلَ[1] عليٌّ والعبّاسُ على عُمَر، قال عبّاسٌ: يا أَمِير المُؤْمِنِيْنَ اقضِ بيني وبين هذا - يعني عليّاً (عليه السلام)- وهما يختصمان في الصَوافي[2] الّتي أفاءَها اللهُ على رسولِهِ من أموال بني النَضِيْر.

فقال عُمَر: أنْشِدُكُم اللهَ الّذي بإذْنِهِ تقومُ السماواتُ والأرضُ، هَلْ تعلمون أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لا نورَث ما تركناهُ»[3] يعني نفسه؟.

قالوا: قد قالَ ذلكَ!!.

فأقبل على العبّاس وعليٍّ (عليه السلام) فقال: أنْشِدُكُما اللهَ هَلْ تعلمانِ ذلكَ؟.

قالا: نعم!!.

قال عُمَر: فإنّي أُحدّثُكُم عن هذا الأمر، إنّ اللهَ تبارك وتعالى خَصَّ رسولَهُ في هذا الفَيْءِ بشيء لم يُعطِهِ غيرَهُ، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى**

---

(١) في الثانية: بادر، بدل دخل.

(٢) الصوافي: الأملاك الواسعة، والخبر في اللسان «صفا».

(٣) المطبوع زيادة: «صدقة».

رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ﴾[1] فكانَتْ هذه خاصّةً لِرسول الله ﷺ فما حازَها دُونَكُم، ولا استأثَرَ بِها عليكُمْ، لقدْ أعْطاكُمُوها وقسّمها فيكُمْ، فما بَقِيَ منها هذا المال، فكانَ يَنْفِقُ على أهله سَنَتَهُم، ثُمّ يأخُذُهُ فيجعلُهُ في بيتِ مالِ اللهِ تعالى، فَعَلَ ذلكَ في حياتِهِ.

ثُمّ تُوُفِّيَ، فقال أبو بكر: أنا وَلِيُّ رسول الله ﷺ فَقَبَضَهُ اللهُ، وقد عَمِلَ فيها بِما عملَ بهِ رسولُ الله ﷺ وأنْتُما حينئذ، ـ والْتَفَتَ إلى عليٍّ والعبّاس ـ تَزْعمانِ أنّ أبا بكر فيها «ظالِمٌ فاجِرٌ» واللهُ يعلم إنّه لَصادق بارّ راشد تابع للحقّ.

ثمّ تَوَفّى اللهُ أبا بكر، فقلتُ: أنا أولى الناس بأَبِي بَكْر وبرسول الله ﷺ.

فقبضتُها سَنَتَينِ ـ أو قال سِنِين ـ من إمارتي، أعملُ فيها مثلَ ما عملَ رسول الله ﷺ وأبو بكر، ثمّ قال: وأنتُما ـ والتفتَ إلى العبّاس وعليٍّ ـ تزعمانِ أنّي فيها «ظالِمٌ[2] فاجِرٌ» والله يعلم أنّي لصادق بارّ راشد تابع للحقّ.

ثمّ جئتُماني وكلّمتُماني، فجئتَني ـ يعني العبّاس ـ تسألُني نصيبَكَ من ابن أخيك، وجائني هذا ـ يعني عليّاً عليه السلام ـ يسألُني نصيبَ امرأتِهِ من أبِيها، فقلتُ لكُما: إنّ رسول الله ﷺ قال: «لا نورَث ما تركناهُ صدقة» فلمّا بَدَا لي أنْ أدفعَها إليكُما، دفعتُها على أنّ عليكُما عهدَ الله وميثاقَهُ لَتَعْمَلان فيها بما عَمِلَ فيها رسول الله ﷺ وأبو بكر وبما عملتُ بهِ فيها، وإلاّ فلا تُكلّماني!

---

(١) الحشر: ٦.

(٢) ليس (ظالم) في الأولى.

فقلتما: ادْفَعْها إلينا بذلك!.

أَفتَلتَمِسانِ مِنّي قضاءً غيرَ ذلك! واللهِ الّذي بإذنهِ تقومُ السماوات والأرض، لا قَضَيْتُ بينَكما بِقضاء غيرِ ذلك حتّى تقومَ الساعةُ، فإنْ عجزتُما عنها فادْفَعاها إليَّ؛ فأنا أكْفِيكُماها[1]!.

قال ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى: وهيهنا إشكالٌ وهو أنّ عُمَرَ ناشَدَ عليّاً والعبّاس: هل تعلمانِ ذلكَ؟ فقالا: نعم!. فإذا كانا يعلمانِهِ:

فكيفَ جاءَ العبّاسُ وفاطمةُ إلى أَبي بَكْرٍ يطلبانِ الميراثَ منهُ؟!

وهَلْ يجوزُ أنْ يقال: كان العبّاسُ يعلمُ ذلكَ وهو يطلبُ مالا يستحقُّهُ؟

(وهَلْ يجوزُ أنْ يقالَ: إنّ عليّاً كانَ يعلمُ ذلكَ، ويُمكّنُ زوجتَهُ أنْ تطلبَ مالا تستحقُّ؟)[2].

وهَلْ خرجَتْ من دارها إلى المسجد، ونازعتْ أبا بكر، وكلّمتْهُ بما كلّمتْهُ بِهِ إلاّ بقولهِ وإذْنِهِ ورأيهِ؟.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٢١-٢٢٣.

كذا ما نقله ابن أبي الحديد عن الجوهريّ بسنده عن الزهريّ عن مالك بن أوس بن الحدثان.

وقد ورد الحديثُ بطوله في صحيح مسلم: ج٥/١٥١-١٥٣، ولكن فيه بدل: «تزعمان... ظالم فاجر» في الموضعين: ما نصّه «فرأيتُماهُ كاذِباً آثِماً غادِراً خائِناً» و«فرأيتُماني كاذِباً آثِماً غادِراً خائِناً»!!!.

وأورد البخاري الحديث في الصحيح في ثلاثة مواضع في: ج٩/ ١٢٢ وفيه: «تزعمان أن أبا بكر كذا» وفي: ج٤/ ٧٩ و ج٨/ ١٨٥ وفي هذين الموضعين حذف العبارات المذكورة كلّها!!!.

هذا مع أنّ السند المذكور في صحيح مسلم وفي المواضع المذكورة في صحيح البخاريّ هو واحدٌ ينتهي إلى الزُهريّ ابن شهاب، عن مالك بن أوس بن الحدثان في حديثه. فلاحظ.

(٢) ما بين القوسين لم يرد في الثانية.

وأيضاً: فإنّه إذا كان ﷺ لا يورَثُ، فقد أشكلَ دَفْعُ آلَتِهِ ودابّتِهِ وحِذائِهِ إلى عليٍّ عليه السلام لأنّهُ غيرُ وارث في الأصل!.

وإنْ كانَ أعطاهُ ذلكَ ـ وغرضُهُ أنْ يرثَ لولا الخبر ـ فهو أيضاً غيرُ جائز؛ لأنّهُ قد منعَ أنْ يرثَ منه أحدٌ شيئاً قليلا كان أو كثيراً[1].

ثمّ أوردَ ابنُ أبي الحديد رحمه الله تعالى إشكالا آخرَ على أبي بَكْر: حيثُ قالَتْ لهُ فاطمةُ عليها السلام في فَدَك: «إنَّ أَبِيَ أَعْطانِيْها، وإنَّ أُمَّ أَيْمَنَ تَشْهَدُ لي بذلك».

فقال لها أبو بكر: إنَّ هذا المالَ لمْ يكنْ لِرسول الله ﷺ وإنّما كان مالا من أموال المسلمين، يحملُ بِهِ الرجالَ، و يُنْفِقُهُ في سبيل الله[2].

قال ابن أبي الحديد رحمه الله:

فلقائل أن يقولَ له: أَيجُوزُ لِلنَبِيّ عليه السلام أنْ يُمَلِّكَ ابنتَهُ ـ أو غير ابنته من أبناء الناس ـ ضيعةً مخصوصةً، أو عقاراً مخصوصاً، لِوَحْي أوحاهُ اللهُ تعالى إليه، أو لاجتهاد ـ على قول من يقول إنّهُ يحكمُ بِالاجتهاد ـ أو لا يجوزُ للنبيّ ﷺ؟

فإنْ قالَ: لا يجوزُ؛ قالَ بِما لا يُوافِقُ العقلَ وإجماعَ المسلمين.

وإنْ قالَ: يجوزُ؛ قيل له: فإنّ المرأةَ ما اقتصرتْ على الدعوى، بل قالتْ: «أُمُّ أيمن تشهدُ لي» فكان ينبغي أن يقال لها في الجواب: شهادةُ أُمّ أيمن وحدَها [غيرا] مقبولة.

ولم يتضمّن الخبرُ ذلك، بل قال لها ـ لّما ادّعتْ وذكرتْ مَنْ شَهِدَ لَها ـ: هذا مالٌ من مال الله، لم يكن لِرَسُول الله ﷺ.

وهذا ليس بجواب صحيح[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٢٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٢٥.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٢٥.

ثمّ قال ـ أعني ابن أبي الحديد ـ: إذا شَهِدَ لَها عليٌّ وأُمُّ أيمن أنّ رسولَ الله ﷺ وَهَبَ لَها فَدَك، كيفَ يصحُّ اجتماع صِدْقهما وصدق عبد الرحمن وعُمَر؟

وليس ما تكلّفَهُ أبو بكر من تأويل ذلك بمُستقيم؛ لأنّ كونَها هِبَةً من رسول الله ﷺ لَها يمنعُ من قوله: «كانَ منها يُقوّتُكم ويُقسّمُ الباقِيَ، ويحملُ منه في سبيل الله» لأنّ هذا يُنافي كونها هِبَةً لها؛ لأنّ معنى كونها لَها انتقالُها إلى مِلْكها، وأنْ تتصرّفَ فيها خاصّةً دُونَ كلّ أحد من الناس، وما هذه صفتُهُ لا يُقسّمُ ويُحمل منه في سبيل الله[1]!

فإنْ قال قائلٌ: هو ﷺ أبوها، وحكمُهُ في مالِها كحكمِهِ في مالِهِ، وفي بيت مال المُسلمين، فلعلّهُ كانَ [بحكم الأُبوَّةِ يفعلُ ذلك!

قيل: فإذاً كان يتصرّفُ][2] فيها تصرّفَ الأبِ في مال وَلَدِهِ، فلا يُخرجُهُ ذلكَ عن كونه مالَ وَلَدِهِ، فإذا ماتَ الأبُ لم يجُزْ لأحَد أنْ يتصرّفَ في مال ذلك الوَلَدِ، لأنّهُ ليس بِأب [لهُ] فيتصرّف في ماله تصرّفَ الآباء في أموال أولادهم.

على أنّ الفقهاءَ ـ أو معظمهم ـ لا يُجيزُونَ للأبِ أنْ يتصرّفَ في مال الابنِ[3].

قال ابن أبي الحديد: وهيهنا إشكالٌ آخَرُ، وهو قولُ عُمَر لعليٍّ والعبّاس رضي الله عنهما: وأنتُما ـ حينئذ ـ تزعمان أنّ أبا بكر فيها «ظالِمٌ فاجِرٌ» ثمّ قال لّما ذكر نفسه: وأنتما تزعمان أنّي «ظالِمٌ فاجِرٌ».

فإذا كانا يزعمان ذلك؛ فكيفَ يجتمعُ هذا الزعْمُ مَعَ كونِهما يعلمانِ أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا أورث».

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٢٥.

(٢) بين المعقوفتين من المصدر، أضفناه ليتمّ المعنى.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٢٦.

إنّ هذا لمن أعجب العجاب!!!.

ولولا أنّ هذا الحديث ـ أعني خُصومة العبّاس وعليٍّ عليه السلام عند عُمَر ـ مذكورٌ في الصحاح المُجمع عليها؛ لكانَ بعضُ ما ذكرناهُ يُطعَنُ في صحّته، وإنّما الحديثُ في الصحاح لا ريبَ في ذلك[1].

قال ابن أبي الحديد في حديث كذلك يرفعهُ، قال: جاء العبّاسُ وعليٌّ عليه السلام إلى عُمَر، فقال [العبّاسُ]: اقْضِ بيني وبين هذا الكَذا وكَذا ـ وشَتَمَهُ ـ فقال الناسُ: افْصِلْ بينَهما.

فقال: [لا] أفْصِلُ بينَهما وقد عَلِما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا نورث ما تركناه صدقة»[2].

قال رحمه الله تعالى: وفي هذا إشكالٌ، لأنّهما حَضَرَا يتنازَعانِ لا في المِيراث، بل في ولاية صَدَقَة رسول الله صلى الله عليه وآله أيُّهما يَتولاّها عمالةً لا إرْثاً! وعلى هذا كانت الخُصومة؛ فهل يكونُ جوابُ ذلك «قد عَلِما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا نورث»!»؟!![3].

قلتُ: ما أحسنَ كلام ابن أبي الحديد (رضي الله عنه) في أنّ عليّاً والعبّاس رضي الله عنهما، إذا كانا يعلمانِ حديثَ أَبي بَكْر، الّذي رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو: «إنّا معاشرَ الأنبياء لا نورث» إلى آخره؛ فما وجه قوله لهما: وأنتما تزعمانِ إنّ أبا بكر فيها ظالِمٌ فاجِرٌ ـ إلى قوله في حقّ نفسه ـ: وأنتما تزعمانِ إنّي فيها ظالِمٌ فاجِرٌ؟!

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٢٦. وقد تقدّم تخريجُ الحديث من الصحيحين.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٢٦، وما بين القوسين من المصدر.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٢٧.

هذا كلامٌ مشكلٌ جدّاً:

لأنّهما إذا كانا يعلمانِ الحديث الّذي رواه أبو بكر؛ فما وجهُ زعمهما إنّه ظالِمٌ فاجِرٌ؟.

ومثلُه في حقّ عُمَر: إذا كانا يعلمانِ الحديث، فما وجه زعمهما إنّه ظالِمٌ فاجِرٌ؟

وكيف يستقيمُ هذا الزعمُ مَعَ ذلكَ العلم؟

فالكلامُ يحتاج إلى التأويل.

قال ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى: وروى حديثاً مرفوعاً قال: جاء العبّاس وعليٌّ رضي الله عنهما إلى عُمَر، وهما يختصمانِ، فقال [عُمَر] لطلحةَ والزبيرِ وعبدِ الرحمن وسعد: أنْشدكُم اللهَ، أَ سمعتمْ أنّ رسول الله ﷺ يقول: «كلُّ مالِ نَبيّ فهوَ صَدَقَةٌ، إلاّ ما أطعمهُ أهلَهُ، إنّا لا نورث»! قالوا: نعم[1].

قال ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى: هذا ـ أيضاً ـ مشكلٌ، لأنّ أكثر الروايات أنّهُ لمْ يَرْوِ هذا الخبرَ إلاّ أبو بكر وحدَهُ، ذكرَ ذلكَ معظمُ المُحدّثين، حتّى الفقهاء في أُصول الفقه أطبقُوا على ذلك في احتجاجهم[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٢٧-٢٢٨.

ولكلام ابن أبي الحديد بقيّةٌ لا يتمّ الإشكال إلاّ بها، وهو قوله: في الخبر برواية الصحابيّ الواحد، وقال شيخنا أبو علي: لا تقبلُ في الرواية إلاّ رواية اثنين كالشهادة، فخالفهُ المتكلّمون والفُقهاءُ كلّهم، واحتجّوا عليه بقبول الصحابة رواية أبي بَكْر وحده: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»، حتّى أنّ بعض أصحاب أبي عليّ تكلّفَ لذلك جواباً فقال: قد روي أنّ أبا بكر يومَ حاجَّ فاطمة عليها السلام قال: أنشدُ الله امرءاً سمع من رسول الله ﷺ في هذا شيئاً!، فروى مالكُ بن أوس بن الحدثان، أنّهُ سمعهُ من رسول الله ﷺ.

قال ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى وفي رواية رفعها: إنّ أبا بكر قال لفاطمة عليها السلام لّما طلبتْ فَدَكَ: بأبي أنْتِ وأُمّي! أنْتِ الصادِقَةُ الأمِيْنَةُ، إنْ كانَ رسول الله صلى الله عليه وآله عهدَ إليكِ عَهْداً في ذلك، أو وَعَدَكِ بِهِ وَعْداً، صَدَّقْتُكِ، وسَلَّمْتُهُ إليكِ!

فقالت: «لم يعهَدْ إليَّ في ذلك بشَيء، ولكنّ اللهَ يقول: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾[1]».

فقال: أَشْهَدُ لقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّا معاشر الأنبياء لا نورث».

قال ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى: وفي هذا من الإشكال ما هو ظاهرٌ؛ لأنّها قد ادّعتْ أنّهُ عَهِدَ إليها رسولُ الله صلى الله عليه وآله في ذلك أعظمَ العَهْد، وهو النِحْلَةُ، فكيفَ سَكَتَتْ عن ذكر ذلكَ لَمّا سَأَلَها أبو بكر!

وهذا أعجبُ من العجب[2].

قال ابن أبي الحديد: وفي رواية يرفعُها إلى عُمَر: إنّه قال للعبّاس وعليٍّ عليه السلام وعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة: أنشدُكُم اللهَ، هلْ تعلمونَ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا نورث معاشر الأنبياء، ما تركناه صدقة»؟.

قالوا: اللهمّ نعم، حتّى قال: فلمّا تُوفّيَ رسول الله صلى الله عليه وآله قبضَها أبو بكر، فجئتَ يا عبّاسُ تطلبُ ميراثَكَ من ابن أخيك، وجئتَ يا عليُّ تطلبُ ميراثَ

وهذا الحديث ينطقُ بأنّهُ استشهدَ عُمَرَ وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعداً، فقالوا: سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله فأينَ كانت هذه الروايات أيّامَ أَبي بَكْر! ما نقلَ أنّ أحداً من هؤلاء يوم خصومة فاطمة عليها السلام وأَبي بَكْر روى من هذا شيئاً.

(١) النساء: ١١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٢٨.

زوجتك من أبيها! وزعمتُما أنّ أبا بكر كان فيها «خائِناً فاجِراً» واللهِ، لقد كان امْرءًا مُطيعاً تابِعاً للحقّ، فلمّا تُوفّيَ أبو بكر قبضتُها، فجئتُماني تطلبُانِ ميراثكما، وزعمتُما أنّي فيها «خائِنٌ فاجِرٌ» واللهُ يعلمُ أنّي فيها مطيعٌ تابعٌ للحقّ؛ فأَصْلِحا أَمْرَكُما، وإلاّ واللهِ، لم ترجعْ[1] إليكما.

فقاما وتركا الخصومة، وأمضيتْ صدقةً[2].

قال في آخره: فغلب عليٌّ عبّاساً عليها، فكانتْ بيدهِ، ثمّ كانتْ بيد الحسنِ، ثمّ كانتْ بيد الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ الحَسَن بن الحَسَن، ثمّ زيد بن الحَسَن[3].

قال ابن أبي الحديد: وهذا الحديثُ يدلُّ ـ صريحاً ـ على أنّهما جاءا يطلبُانِ الميراثَ لا الوِلايةَ.

وهذا من المُشكلات، لأنّ أبا بكر حَسَمَ المادّةَ أوّلا، وقرّرَ عند العبّاس وعليٌّ وغيرهما أنّ النَبيّ ﷺ لا يورث، وكان عُمَرُ من المساعدين له على ذلك، فكيفَ يعودَ العبّاسَ وعليٌّ عليه السلام بعد وفاةِ أَبِي بَكْر، يُحاولانِ أَمْراً قد فُرِغَ منه ويُئِسَ من وُصوله؟!.

---

(١) في الأولى: لم تدفع.

أقول: الحديث ورد بطوله في صحيح مسلم: ج٥/١٥١-١٥٣) ولكن فيه وصف عمر لأبي بكر وكذا وصف نفسه، في الموضعين: بما نصّه «فرأيتُماهُ كاذِباً آثِماً غادِراً خائِناً» و «رأيتُماني كاذِباً آثِماً غادِراً خائِناً»!!!.

وأورد البخاري الحديث في الصحيح في ثلاثة مواضع في: ج٩/١٢٢، وفيه: «تزعمان أن أبا بكر كذا» وفي: ج٤/٧٩ و ج٨/١٨٥، وفي هذين الموضعين حذف العبارات المذكورة كلّها!!!.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٢٩.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٢٩.

اللهمّ؛ إلاّ أنْ يكونا ظنّا أنّ عُمَرَ ينقُضُ قضاء أَبي بَكْر في هذه المسألة! وهذا بعيدٌ، لأنّ عليّاً عليه السلام والعبّاس كانا في هذه الواقعة يتّهمانِ عُمَرَ بمُمالاَة أبي بكر على ذلك، ألا تراهُ يقول: نسبتُماني ونسبتُما أبا بكر إلى الظلم والخيانة؛ فكيفَ يظنّانِ أنّهُ ينقُضُ قضاءَ أَبي بَكْر ويُورثهما؟!»[1].

قال ابن أبي الحديد بعد كلام طويل ـ حذفناه ـ في أمر فَدَك: وكثُرت الرواياتُ في سؤال فاطمةَ عليها السلام لأبي بكر: مرّةً الميراثَ، ومرّةً النحلةَ، ومرّةً سهم ذوي القُربى؛ بروايات مُختلفة، حتّى انتهى أمرُها عليها السلام إلى السُكوت، ولزمَتْ بيتَها، فلمّا مَرِضَتْ واشتدَّ عليها الوَجَعُ، وثَقُلَتْ في عِلّتها، اجتمعَ عندها نِساءٌ من نِساء المهاجرين والأنصار، وقُلْنَ لها: كيفَ أَصْبَحتِ يا ابنةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقالت:

«أَصبَحتُ ـ واللهِ ـ عائِفَةً[2] لِدُنياكُم، قالِيَةً لِرجالِكُم، لَفَظْتُهُمْ بعدَ أنْ عَجَمْتُهُم[3] وشَنِئْتُهُم[4] بعدَ أنْ سَبَرْتُهُم[5] فقُبْحاً لِفُلُولِ الحَدِّ وخَوَرِ القَناةِ، وخَطَلِ الرَّأْيِ! و﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾[6].

لا جَرَمَ! لقدْ قَلّدْتُهم رِبْقَتَها، وشننت عليهم عارَها؛

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) عائفة لدنياكم: أي قالية لها كارهة.

(٣) عَجْمتهم: بلوتهم وخبرتهم.

(٤) شنئتهم: أبغضتهم.

(٥) سَبَرتهم: علمت أُمورهم؛ هامش شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٣٣.

(٦) المائدة: ٨٠.

فَجَدْعاً وعَقراً، وسُحْقاً للقومِ الظالمين!.

[وَيْحَهُم]! أينَ زَحْزَحُوها عن رَوَاسي الرِسالةِ، وقَواعِدِ النُبُوّةِ، ومهبَطِ الرُوحِ الأَمِينِ، والطَيّبين لأهل الدُنيا والدينِ ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[1]!

وما الّذي نَقَمُوا من أبي الحَسَنِ؟

نَقَمُوا شِدَّةَ وَطْأتِهِ، ونَكالَ وَقْعَتِهِ، وتَنَمُّرَهُ في ذاتِ الله؟

وتَاللهِ لَوْ تَكافُّوا عن زِمامٍ نَبَذَهُ إليهِ رَسُولُ اللهﷺ لأعتلقهُ، ولَسارَ بِهِمْ سَيْراً سُجُحاً لا تكْلَمُ خشاشهُ، ولا يتعتعُ راكِبهُ، ولأوردَهُم مَنْهلا نَمِيراً يَطْفَحُ ضِفَّتاهُ، ولأصْدَرَهم بِطاناً قد تَحَيَّرَ بِهِم الرأيُ[2] غير مُتَحلٍّ بِطائِل، إلاّ بِغَمْرِ الناهِلِ، وردْعَةِ سَوْرَةِ السَاغِبِ، ولفُتِحَتْ ﴿عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[3] وسيأخُذُهُمُ الله بِما كانُوا يَكْسِبُون.

ألاَ! هَلُمَّنَّ واسْمَعَنَّ ـ وما عِشْتُنَّ أراكُنَّ الدَهْرُ عَجَباً ـ

إلى أيّ حِصْنٍ أسْنَدُوا!؟.

وبِأيِّ عُروَة تَمَسَّكُوا؟!.

---

(١) الزمر: ١٥.

(٢) كما في المطبوع، وفي الثانية غير واضح، وفي مناقب الحاكم: قد غَمَرَهم الريّ. وفي الأولى: (قد غرتهم المرى) كذا مهملاً.

(٣) الأعراف: ٩٦.

﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾[١]، و﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[٢].

استَبْدَلُوا ـ واللهِ ـ الذُّنابَى بِالقَوادِمِ، والعَجْزَ بِالكاهِلِ، فرَغْماً لِمَعاطِسِ قَوْمٍ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٣] ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾[٤].

وَيْحَهُمْ! ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٥]»[٦].

إلى كلام حذفناهُ، وتطويل اختصرناهُ، وقد طال الكلام في هذا المعنى، والقصدُ بِهِ الإفادةُ والإبانَةُ بخلاف ما ادّعاهُ ابْن العَرَبِيّ في حديث أبي بكر، وإنّه انفردَ بروايته، وأقرّ به أَمِير المُؤْمِنِيْنَ والعبّاسُ رضي الله عنهما، والكلام كما أسلفناهُ، والأمرُ كما قدّمناهُ.

ونحنُ نستغفرُ اللهَ أنْ نظنَّ بأبي بكر إلاّ خَيراً.

وأَمّا غضبُ فاطمةَ عليها السلام: فهو مِمّا قد تَظاهرتْ بهِ الأدلّةُ والرواياتُ، وفي الحديث المأثور: «إنَ اللهَ لَيَغْضَبُ لِغَضَبِكِ يا فاطِمَةُ»[٧]، قد ماتَتْ عليها السلام غاضِبَةً، واللهُ المُستعانُ.

---

(١) الحجّ: ١٣.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) الكهف: ١٠٤.

(٤) البقرة: ١٢.

(٥) يونس: ٣٥.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/٢٣٤، ورواه الحاكم في كتابه مناقب الزهراء: ٧٤-٧٦ الحديث ٨٢.

(٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٨.

ونعودُ إلى ما كنّا بصدده من نقض كلام ابن العَرَبِيّ.

وأمّا قوله في الموطن الخامس عشر:

طلب الأنصارُ الإمامَ؛ فخطبَ تلكَ الخطبةَ الغرّاءَ، ونَقَلَ عن النبيّ ﷺ: «إنّ الأئمّةَ من قُريش» واحتجّ بأنّ النبيَّ ﷺ وَصّى بالأنْصارِ، ولا يُوصى بِهِمْ ولهمُ الأمْرُ. فعظُمَ الخطبُ في تلك، واشتدّت البَلْوى؛ ففرّجها اللهُ بأبي بكر.

هذا كلامه في الاستدلال على علم أبي بكر، بما رواه من حديث: «الأئمّةُ من قريش».

والجواب عن ذلك:

أنّ هذا الخبرَ عندنا غيرُ صحيح، ونحنُ نَروي ما هو معروفٌ من كلام أمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام لمّا انتهتْ إليه أَنْباءُ السقيفة: قال عليه السلام: «ما قالَت الأنصارُ؟»

قيل: قالوا: مِنّا أميرٌ، ومنكم أميرٌ.

فقال عليه السلام: «فهلاّ احتججتُمْ عليهِمْ بأنّ رسول الله ﷺ وَصّى بأنْ يُحسَنُ إلى مُحسِنهم، ويتجاوَزَ عن مُسِيئهم؟».

قالوا: وما في هذا من الحُجّة عليهم؟

فقال عليه السلام: «لو كانَتْ الإمارةُ فيهم لم تكنْ الوصيّةُ بهم».

ثمّ قال عليه السلام: «فماذا قالتْ قُريشٌ؟».

قيل: احتجّوا بأنّهم شجرةُ الرسول ﷺ.

فقال عليه السلام: «احتجُوا بالشجرةِ، وأضاعُوا الثَمَرَةَ»[1].

---

(١) نهج البلاغة، كلام رقم ٦٧: ص٩٧.

وفي هذا دلالةٌ على أنّ عليّاً عليه السلام هو الّذي احتجّ على الأنصار، ولو أردنا الكلام في هذا الفصل بما يحتمله؛ لطالت مباحث الكلام، وزلّتْ رواسمُ الأقلام.

و أمّا قول ابْن العَرَبِيّ في الموطن السادس عشر:

أرادُوا تأخيرَ جيشِ أُسامة فأبى، وقال: لو لَعِبَت الكلابُ بِخلاخيل نساءِ أهل المدينة؛ ما رَدَدْتُ جَيْشاً أنْفَذَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فهذا خارجٌ عن العلم ويليقُ أنْ يُذكر في ما كان له من العزم، لأنّ المرجع بالعلم إلى معرفة أحكام كتاب الله تعالى وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعدم رَدِّهِ لِجيشِ أُسامة ليس من هذا في ورْد ولا صَدْر.

وأَمّا قوله في الموطن التاسع عشر:

لو رُدّ جيشُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لَما نَفَذَ لأحَد حكمٌ أبداً، ولكان الناس في إمضاء و رَدٍّ دائِماً.

فهذا كما قدّمناه داخلٌ في عزمه خارجٌ عن علمه.

وأَمّا قوله في الموطن الموفي عشرين:

أنّه قال: واللهِ لأُقاتلنّ مَنْ فَرَّقَ بين الصلاة والزكاة، فإنّها حقّ المال لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إلاّ بحقّها» وكان الصوابُ معه والعلمُ والاستنباطُ، ففزعَ الرُومُ، وقالُوا: ما ضَرَّهُم مَوتُ نَبِيِّهم، و فَزَعَتْ الأنصارُ من شجاعته.

فأوّلُ ما ينقض به كلامه: أنّهُ أرادَ أنْ يَسْتَدِلَّ على علمِ أَبِي بَكْر، فخرجَ إلى الشجاعة، وأنَّ الرُومَ فزعتْ من بَسالَتِهِ، والأنْصارُ فزعتْ من شجاعته!.

وكلّ هذهِ المواطنِ المذكورةِ في الدليل على علمه، وهو الآنَ تكلّم في شجاعته وشدّة بأسه!!. فهذا خروجٌ من دليل إلى دليل، وقال علماءُ الكلام: الخُرُوجُ من دليل إلى دليل يُؤذِنُ بِفسادِ الدليلِ الأوّل.

وبعدُ؛ فإنّ قُوّة عزيمة أَبي بَكْر في كونه لم يفرّق بين الصلاة والزكاة، مقتضى ما يجبُ عليه، لأنّ اللهَ تعالى جمعَ بينَهما واستنباطه هذا العلم من قريب، لأنّ كلّ مَنْ قَرَأَ القُرآنَ في ذلكَ الزمان يعرفُ أنّ الصلاة والزكاة فَرْضانِ مَقرونانِ، ومُجتمعانِ لا يفترقانِ.

والاستنباطُ لا يكونُ إلاّ في الأحكام الدقيقة، والمسائل اللطيفة. فأمّا مثل هذا فلا يُسمّى استنباطاً، لولا محبّة ابْن العَرَبيّ لإشاعة العلم وشغفه بوصف أَبِي بَكْر بالاستنباط، وعلم أَبِي بَكْر لا يفتقرُ إلى تكلّف ابْن العَرَبيّ في ما أورده وهو معروفٌ قبله وبعده.

وقد نَجَزَ كلامُهُ في هذه المنزلة، وتعدادُهُ لهذهِ المواطِنِ الّتي لم يَحْظَ فيها بطائل.

ثمّ قال: وأمّا منزلة التدبير: فكان فيها على غاية المعرفة:

انظروا ـ أوّلاـ إلى حُسن تدبيرهِ في أُسامة، وأخذ الزكاة.

انظروا إلى وُلاته؛ كيفَ عَدَلَ فيهم عن قرابته، ولحظهم بعين فراسته؟!:

اختارَ لِوزارته عُمَرَ، فقال لأُسامة: اتركه لي.

واختارَ لِلكتابة عثمان.

وولّى الشام أبا عبيدة.

وولّى العراق خالد بن الوليد.

وأَنْفَذَ عكرمةَ بن أبي جهل إلى اليمن...

إلى آخر ما ذكره في هذه المنزلة.

فنقول: قولك: «انظروا إلى حسن تدبيره في أُسامة، وأخذ الزكاة».

ممّا يشهد بما قلناهُ: إنّ عدّك في ما تقدّم لذلك من العلم من جُملة الغَلَط؛ لأنّك الآن رجعتَ إلى أنّه معدودٌ من التدبير!.

فانظروا إلى هذا التخليط: بينا هو يذكُرُ ردّهُ لِجيش أُسامة من العِلْم، وأخذه الزكاةَ من الاستنباطِ لِلحُكمِ، حتّى رَجَعَ إلى أنّ فِعله في هذا وهذا من حُسن تدبيره!!.

وهل الاختلالُ في الكلام والاضطرابُ في النظام إلاّ هكذا؟!

وأَمّا قوله أنّه اختار عُمَرَ لِوزارته؛ فقال لأُسامة: اتركه لي.

فهذا منه مُخالفةٌ لِما أَمَرَ بِهِ رسولُ الله ﷺ في إنفاذ عُمَرَ مَعَ أُسامة، لأنّه مأمورٌ بِالانقياد لأُسامة والمسير معه.

وقد ذكر أنّ أبا بكر قال: «لئنْ أَخِرَّ من السماء خيرٌ من أنْ أردّ جيشاً أنفذهُ رسولُ الله ﷺ»!

فعمرُ بنُ الخطّاب بعضٌ من جيش أُسامة، و رجلٌ من وجوههم؛ فهلاّ تحرَّجَ أبو بكر في تركه مع أسامة، ولم يتّخذهُ معهُ وَزِيراً، لأنّهُ ـ والحال هذه ـ لو دَعَتْهُ حاجةٌ إلى وُقوف أُسامة معه أوقفه وبدّله بغيره.

وهذا كلّهُ مُخالفةٌ لأمْرِ رسولِ الله ﷺ!.

فكان اللائق بفضله وحسن تدبيره تركَ عمرَ يسيرُ مع أُسامة، كما أمره رسولُ الله ﷺ.

بل أبو بكر في نفسه كان مأموراً بالمسير مع أُسامة، فكان الأولى به العمل بما أمره به رسولُ الله ﷺ!.

هذا هو الجوابُ من الأصل.

وما ضاع أمرٌ دبّرهُ أبو الحَسَن، ولا أنهملتْ أُمّةٌ هو إمامُها.

وأَمّا تولية عثمان الكتابة، وسائر من ذكره من الولاة: فهو تدبيرٌ حسنٌ، لأنّ عثمان أحدُ العشرة، فقد استطاب لنفسه بتقريبه، والاستعانة به، وعمر أخصّ

منه جعله وزيراً وقاضياً، وأبو عبيدة أمينُ هذه الأُمّة بجعله على الشام أميراً، وخالد بن الوليد سيف من سيوف الله خليقٌ بالإمارة، وعكرمة فارس قريش جديرٌ بالولاية، وكلّ ممّن ذكره أهلٌ لما صنعه معه؛ ورأيٌ متقنٌ لا غبار عليه في حسن فعله ونظره.

ولكن انظر إلى فعله مع عليٍّ عليه السلام هلْ كان من حسن تدبيرهِ أنْ يُزَحْزِحَهُ عن مقام رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

وهَبْ إنّه أولى من عليٍّ عليه السلام بمكان رسول الله صلى الله عليه وآله فهلْ يقضي حسنُ التدبير أنَهُ يُقرّب عُمر وعُثمان؟ ويجعل أحدهما وزيراً والآخر كاتباً؟ ويختار للولايات على الجيوش وافتتاح الأمصار خالدَ بنَ الوليد، وعكرمةَ بن أبي جهل مع حداثتهما؛ وما كانا عليه قبلُ من العداوة!!

ويتركَ عليّاً عليه السلام فلا يُشاورُهُ، ولا يُقرِّبُهُ، ولا يُلاطفُهُ، ولا يستعينُ بِهِ على ولاية ولا يقلّده إمارةً، ولا كتابةً، ويجعلهُ وآحاد المسلمين على سواء!.

كأنّهُ لم يكنْ من العُلماء المذكورين، ولا من الفُرسان المشهورين!؟

وكأنّه لم يكُنْ ابنَ عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يسمعْ فيه من الأحاديث النبويّة، والأخبار المصطفويّة!؟.

ونحنُ نُجِلّه عليه السلام أن يكونَ أميرَ جيش يسودُهُ، أو صاحبَ نصب[1] يقودُهُ، لأنّه عليه السلام الإمام المفروض أمرهُ، الواجبة طاعتُهُ.

وتكون أفعالُ أَبِي بَكْر معهُ مُباينةً للإيناس والتقريب. وأردنا الإشارة إلى ذلك، ثمّ طلبهُ للبيعة فتأخّر عنها.

---

(١) في الأولى: قصب.

فهل كان من حُسن التدبير أن يجُرَّهُ إليه مُكرَهاً، ويُبايعهُ مُغضباً، ويقودَهُ كما يُقادُ الجملُ المخشُوشُ، ويتكلّم عليه بأغلظ الكلام، ويقولُ له أخشنَ القول؟!

وما لو ذكرناهُ لطالتْ بنا أساليبُ الكلام، ولتجرّعنا غُصَصَ التَهْمام[١].

فهل فِعْلُهُ مع عليّ ﷺ من حُسن التدبير في قَبيل، أو دَبير؟!

إنْ قلتَ: إنّما ترك عليّاً ﷺ ولم يستعِنْ به في وزارة ولا ولاية؛ لأنّهُ كانَ لا يُساعدُهُ إلى شيء من ذلك.

قلتُ: هذا هو المقصودُ والمراد المطلوب؛ لم يَخْلُ تركُ أبِي بَكْر لعليّ ﷺ في هذه الأُمور الّتي ذكرناها: إمّا أن يكون جهلا لموضعه، أو إنكاراً لفضله. أو لأنّه كان يجلّ نفسه أن يُقرنَ ـ كما قالَ: ـ إلى هذه النظائر.

باطلٌ أن يكون ذلك لجهل مكانه؛ إذْ كانَ أشهرَ (في شأن)[٢] عليٌ ﷺ.

فلم يبقَ إلاّ أن يكون لإنكار فضله، أو لأنّه كان مزوّراً عنه، أو غاضباً عليه لِما صَنَعَ به!

ومثلُ هذا أشهرُ من الشمس؛ فلا يفتقرُ إلى بسط وتطويل، ولا يحتاجُ إلى إيضاح دليل، فنسأل الله تعالى التوفيق لِما يُرضيه، والعصمة عن مواقعة مغاضبه[٣] والله يغفر لأبي بكر.

وأمّا قول ابن العَرَبِيّ: فانقاد الناس كلّهم له بحُسن تدبيره وسداد اختياره، وسلّموا ولم يعترضوا، وسكنوا ولم يضطربوا، وسدّد اللهُ الجُمهور على الأُمور، وقُتِلَ مَنْ بعدَهُ غيلةً، والّذي بعدَهُ عنوةً، واضطرب الناس على عليّ، فلم يتّفقْ له لحظةً.

---

(١) كذا في نسخ المصدر، ولعلّ الصواب: النهام.

(٢) كذا الظاهر، وكان في النسختين «قربان».

(٣) في الأولى: معاصيه.

والجوابُ عليه:

أمّا أنّ الناس انقادوا له لِحسن تدبيره!. فإنّما انقادوا له، لسكوت عليٍّ عليه السلام.

وقد ذكر هذا المعنى عليٌّ كرّم الله وجهه في غير موضع من كلامه، ومن ذلك قوله عليه السلام في خُطبته المعروفة بالشقشقيّة:

«أما ـ واللهِ ـ لقد تَقَمَّصَها ابنُ أبي قُحافة، وإنّهُ لَيَعْلَمُ أنّ محلّي منها مَحَلُّ القُطْبِ من الرَحَى، ينحدِرُ عنّي السَيْلُ، ولا يَرْقى إليَّ الطيرُ، فَسَدَلْتُ دُونَها ثوباً، وطَوَيْتُ عَنها كَشْحاً، وطَفِقْتُ أرتَئي بينَ أنْ أصُولَ بِيَد جذّاء، أو أصْبِرَ على طِخْيَة عَمْياء، يَهْرَمُ فِيها الكَبِيرُ، ويشيبُ فِيها الصغيرُ، ويَكْدَحُ [فيها] مؤمنٌ حتّى يَلْقى ربَّهُ، فرأيْتُ أنّ الصبرَ على هاتا أحْجى، فصبرْتُ وفي العَيْنِ قَذىً، وفي الحَلْق شَجَا، أرَى تُراثِي نَهْباً»[1].

ومن ذلك قوله عليه السلام وقد جاءهُ عمّهُ العبّاسُ (رضي الله عنه) يُبايعُهُ بالخلافة بعد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كلام قال في آخره:

«فإنْ أقُلْ يقُولوا: حَرَصَ على المُلك، وإنْ أسكُتْ يقولوا: جَزِعَ من الموتِ! هيْهاتَ بعدَ اللّتَيّا والّتي، واللهِ لابْنُ أبي طالب آنَسُ بالموتِ من الطِفْلِ بِثَدْيِ أُمّهِ، بَلْ انْدَمَجْتُ على مكنُونِ علم لو بُحْتُ بِهِ لاضْطَرَبْتُم

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبة الشقشقية ـ رقم ٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٥١.

أقول: لم يذكر الدكتور صبحي الصالح لفظة: «ابن أبي قُحافة»، بل ذكر بدلها لفظة: «فلان»، وهذا من تحريفاته الكثيرة. راجع ص٤٨ نهج البلاغة الّذي ضبط نصّه.

اضْطِرابَ الأَرْشِيَةِ في الطوى البَعِيدَةِ»[١].

ومن ذلك قوله عليه السلام:

«لقد علمتمْ أنّي أَحَقُّ بِها مِن غَيري، واللهِ لأُسَلِّمَنَّ ما سَلِمَتْ أُمورُ المُسلمين؛ ولم يكُنْ فِيها جَوْرٌ إلاّ علَيَّ خاصّةً؛ الْتِماساً لأَجْرِ ذلك وفضلِهِ، وزُهْداً في ما تَنافَسُوْهُ مِن زُخرُفِهِ وزِبْرِجِهِ»[٢].

ومن ذلك قوله عليه السلام:

«فواللهِ ما زِلْتُ مدفُوعاً عن حَقّي مُسْتأثَراً علَيَّ مُذْ قَبَضَ اللهُ نبيَّهُ حتّى يومِ الناسِ هذا».

ومن ذلك كلامٌ له عليه السلام في كتاب له إلى أهل مصر، وقد ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى قال:

« فواللهِ ما كان يُلقى في رُوْعِي، ولا يَخطُرُ ببالي أنَّ العَرَبَ تُزعِجُ هذا الأمرَ من بعدِهِ عن أهلِ بيتِهِ، ولا أنَّهُم مُنَحُّوهُ عَنّي من بعدِهِ، فما راعَني إلاّ انْثِيالُ الناسِ على فُلان يُبايِعُونَهُ، فأَمْسكْتُ يَدِي حتّى رأيْتُ راجعةً من الناس قد رَجَعَتْ عَنِ الإسلام، يَدْعُونَ إلى مَحْقِ دينِ مُحمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فخشيتُ إنْ لمْ يَكُنْ أَنْصُرُ الإسلام وأهلَهُ أنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أو هَدْماً، تكُونُ المُصيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ من فَوْتِ ولايَتِكُم الّتي إنّما هِيَ مَتاعُ أيّام قلائِل، يَزُولُ مِنها ما كانَ، كَما

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٥ : ص٥٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٧٤: ص١٠٢.

يزولُ السَرابُ، أو كما يَتَقَشّعُ السَحابُ»[١].

ومن ذلك قوله عليه السلام:

«اللّهمّ إنّي أستَعْدِيْكَ على قُرَيْش، فإنّهُمْ قَطَعُوا رَحِمي، وأكْفَؤوا إنائي، وأجْمَعُوا على مُنازَعَتي حَقّاً كُنْتُ بِهِ أوْلى مِن غَيري.

وقالوا: ألا إنّ فِي الحَقّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وفِي الحَقِّ أَنْ تَمْنَعَهُ، فاصْبِرْ مَغْمُوماً، أَوْ مُتْ مُتأسِّفاً!.

فَنَظَرْتُ فإذا لَيْسَ لِيَ رافِدٌ، ولا ذابٌّ، ولا مُساعدٌ، إلاّ أَهْلَ بَيْتِي؛ فضَنَنْتُ بِهِم عن المَنِيّةِ، وأغْضَيْتُ على القَذَى، وجَرِعْتُ رِيْقي على الشَجَا، وصَبَرْتُ من كَظْمِ الغَيْظِ على أمَرّ من العَلْقَمِ، وآلَمَ للقلب من وَخْزِ الشِفارِ»[٢].

إلى غير ذلك من كلمات أَمِير المُؤْمِنِيْنَ ـ كرّم الله وجهه في الجنّة ـ ذكرنا منها ما يدلّ على ما وراءَهُ، من أنّه عليه السلام تَرَكَ اعتراضَ أَبِي بَكْر، وأَعْرَضَ عن مُنازَعَتِهِ حَتّى اسْتَتَبَّ لَهُ من أمْرِهِ ما أَرَادَ.

ولم نَتَعرّضْ لِشَرح كلماتِ أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام وما ذَكَرَ فِيها العلاّمة ابنُ أبي الحديد من تلك الأحوال، وهاتيك الأقوال، لأنّ قصدَنا ـ هُنا ـ إنّما هو الردّ على ابْن العَرَبِيّ في قوله: انقاد الناس كلّهم لأبي بكر بحسن تدبيره!

ولم يعلمْ ما الوجهُ الّذي لهُ انقادُوا، وهو سُكُوتُ أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام وتركُهُ لأبي بكر يفعلُ ما أرادَ، ولو جرّدَ السيفَ أو أرادَ الاعتراضَ بدون تجريده، بل بالكلامِ، وإظهارِ المخالفة والمنازعة؛ لما تَمَّ لأبي بكر شيءٌ مّما أراده.

---

(١) نهج البلاغة، كتاب رقم ٦٢: ص٤٥١.

(٢) نهج البلاغة، كلام رقم ٢١٧: ص٣٣٦.

وقد مرّ في كلامه ﷺ: «والله لأسلِمَنَّ ما سَلِمَتْ أُمورُ المسلمين»[١].

وأمّا قول ابن العَرَبِيّ: وسلّموا، ولم يعترضوا.

فإنّما كان ذلك لِما ذكرناه من سُكُوتِ أَمِير المُؤْمِنِيْنَ كرّم الله وجهه، و مَنْ ذا الّذي يَعْتَرِضُ؟ وهو ﷺ ساكتٌ عن الاعتراض؟.

ولولا ما ذكره ﷺ من خوفه أنْ يَرى في الإسلام ثَلْماً أو هَدْماً؛ لَما سَكَتَ على الغَيْضِ، وأَغْضى على الشَجا[٢].

والأمر في ذلك ظاهرٌ لمن تأمّل ولم يُعْمِ التعصّبُ عينَ بصيرتِهِ.

وأمّا قول ابن العَرَبِيّ: إنّ مَنْ بعدَهُ قُتِلَ غيلةً، والّذي بعدهُ عنوةً.

فهذا الاعتراض على عُمَر وعُثمان وسياستهما، لأنّ ابْن العَرَبِيّ أوردَ الكلام دليلاً على حسن تدبير أَبِي بَكْر، وأراد بقتلهما على الصفةِ المذكورة عدم إحسانهما في التدبير.

وليس الأمرُ كما وَصَفَ في حقّ عمر خاصّة، فقد كانت أحواله مشاكلةً لأحوال أَبِي بَكْرفي أُمورهِ الدينيّة، ومسالكه السياسيّة، وسيرته المرضيّة، وما تَمَّ له ذلك إلاّ بما ذكرنا من سكوت أَمِير المُؤْمِنِيْنَ ﷺ وعدم قيامه، وكان يُعينهُ برأيهِ، ويصحبه، ويُنقذُهُ بِعلمه وحكمته، كما قال: لولا عليٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ[٣].

وأمّا عُثمان ـ فلَعَمْري ـ لقد نصحه وأشار عليه وأهدى الحكمة والنصيحة إليه، ولكن ساءتْ منه التدابيرُ، وغلبت عليه المقادير التقادير.

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ٧٤.

(٢) انظر نهج البلاغة، كلام رقم ٢١٧: ص٣٣٦.

(٣) الاستيعاب: ج٣/١١٠٣، شرح نهج البلاغة: ج١/١٨ و ج١٢/١٧٩، ونظم درر السمطين: ١٣٠.

وأمّا قول ابن العَرَبِيّ: واضطرابُ الناسِ على عليٍّ عليه السلام فلم يتّفقْ له لحظةً.

فهذا من جملة تحامُلِهِ وسَيِّئ ظنِّهِ، ورديءِ اعتقادِهِ: أنّ أُمور أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام إنّما اضطربتْ لِسُوء تدبيره، وعدم سياسته، وقد قال عليه السلام في بعض كلامه لأصحابه:

«وجرَّعتُمُوني نُغَبَ التَهْمامِ أنفاساً، وأفسدتُمْ علَيَّ رأيي بِالعصيانِ والخذلانِ، حتّى قالتْ قريشٌ: إنّ ابنَ أبي طالب رجلٌ شجاعٌ، ولكنْ لا علمَ له بالحربِ. للهِ أبوهُم! وهل أحدٌ منهم أشدُّ لها مِراساً، وأقدمَ فيها مَقاماً مِنّي! لقد نهضتُ فيها وما بلغتُ العشرين، وها أنا ذا قدْ ذَرَّفتُ على الستّين، ولكن لا رأي لِمَنْ لا يُطاعُ»[1].

وقال عليه السلام:

«واللهِ ما معاويةُ بِأدْهَى منّي، ولكنّهُ يَغْدِرُ ويَفْجُرُ، ولولا كراهةُ الغَدرِ لكنتُ من أدهى الناسِ، ولكن كلّ غَدْرة فَجْرةٌ، وكُلّ فَجْرة كُفرةٌ، ولِكُلّ غادِرٍ لِواءٌ يُعْرَفُ بِهِ يومَ القيامة. واللهِ ما أُستغْفَلُ بِالمكيدَةِ، ولا استغْمِزُ بِالشديدة»[2].

ونحنُ نذكرُ هيهنا جملةً من كلام ابن أبي الحديد؛ قال:

اعلم أنّ قوماً ممّنْ لايعرفُ حقيقةَ فضل أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام زعموا أنّ عُمَرَ أَسْوَسَ منه، وإنْ كان هو أعلم من عُمَر، ونحنُ نذكرُ هيهنا ما يليقُ بهذا الفصل.

---

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم ٢٧: ص٧٠-٧١.

(٢) نهج البلاغة، كلام رقم ٢٠٠: ص٣١٨.

قال ﷺ: اعلم أنّ السائسَ لا يتمكّن من السياسة البالغة إلاّ إذا كان يعملُ فيها برأيِهِ، وبما يرى فيه من صلاح ملكه وتمهيد أمره، وتوطيد قاعدته، سواءً وافقَ الشريعةَ أو لم يوافقها، ومتى لم يعمل في السياسة والتدبير بموجب ما قلناه، فبعيد أن ينتظم أمرُهُ، ويستوسق حالُهُ.

وأَمِيرُ المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام كان مقيّداً بقيود الشريعة، مدفوعاً إلى اتّباعها، ورفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب والكيد والتدبير إذا لم يكنْ للشرع مُوافقاً، فلم تكنْ قاعدتُهُ في خلافته قاعدةَ غيره ممّن يلتزمُ بذلك.

قال: ولَسْنا بِهذا القول زارينَ على عُمَرَ بن الخطّاب، ولا ناسبينَ إليه ما هو منزّهٌ عنه، ولكنّه كان مُجتهداً يعملُ بِالقياسِ والاستحسانِ والمصالِحِ المُرسلة، ويرى تخصيصَ عُمومات النُصُوص ويأمر اُمراءَهُ بِالكيد والحِيلة، ويؤدّبُ بِالدِرَّةِ والسوط، ويصفحُ عن آخَرينَ[1] كلُّ ذلك بِقوّة اجتهاده، وما يؤدّيه إليه نظرُهُ.

ولم يكنْ عليٌّ عليه السلام يرى ذلك، وكان يقفُ مع النُصُوص والظواهر، فلا يتعدّاها إلى الاجتهاد والأقيسة، ويُطبّقُ اُمور الدُنيا على اُمور الدين، ويسوقُ الكلّ مَساقاً واحداً، ولا يضعُ ولا يرفعُ إلاّ بالكتاب والنصّ النبويّ.

فاختلفتْ طريقتاهُما في الخلافة والسياسة.

وكان عُمَرُ معَ ذلك شديدَ الغِلظة.

وكان عليٌّ عليه السلام كثيرَ الحِلْم والصَفح والتجاوُزِ، فازدادتْ خلافةُ ذاك قُوّةً، وخلافةُ هذا لِيْناً.

ولم يُمْنَ عمرُ بِما مُنِيَ به عليٌّ عليه السلام من فتنة عُثمان، الّتي أحوجتْهُ إلى مُداراة

---

(١) في المصدر زيادة: «ويؤدّبُ بِالدِّرةِ والسوطِ مَنْ يغلبُ على ظنّه أنّه يستوجِبُ ذلك، ويصفحُ عن آخَرِينَ قد اجْتَرَمُوا ما يستَحِقّونَ بِهِ التأديب» شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ٢١٣.

أصحابه وجنده وماريتهم للاضطراب الواقع بطرائق تلك الفتنة، ثمّ تلا ذلك فتنة الجَمَلِ، وفتنة صِفّينَ وفتنةُ النَهْروان.

وكلّ هذه الأمور مؤثّرةٌ في اضطراب أمر الوالي وانحلال معاقد مُلكه، ولم يتّفقْ لعُمَرَ شيءٌ من ذلك، فشتّانَ بينَ الخِلافتين في ما يعودُ إلى انتظام المملكة، وصحّة تدبير الخلافة.

فإنْ قلتَ: فما تقولُ في سياسة الرسول ﷺ وتدبيره؟ أليسَ كان منتظماً سديداً؛ مع أنّه كان لا يعمل إلاّ بالنُصُوص والتوقيف من الوحي؟! فَهَلاّ كان تدبير عليٍّ عليه السلام وسياسته كذلك!.

إذا قلتُم: إنّه كان لا يعمل إلاّ بالنص؟!.

قلتُ: أمّا سياسةُ الرسول ﷺ وتدبيرُهُ، فخارجٌ عمّا نحن فيه، لأنّه معصومٌ لا يتطرّقُ الغلطُ[1] إلى أفعاله، ولا واحدٌ من هذين الرجلين بواجب العصمة عندَنا[2].

وأيضاً: فإنّ كثيراً من الناس ذهبوا إلى أنّ اللهَ تعالى أذنَ للرسول ﷺ أن يحكمَ في الشرعيّات وغيرها برأيه، وقال له: احكمْ بما تراهُ من المصلحة ولا ينتظرُ الوحي.

وأيضاً: فبتقدير خطأ هذا المذهب؛ أليس قد ذهب خلقٌ كثيرٌ من علماء أصول الفقه إلى أنّ الرسول ﷺ كان يجتهدُ[3] في الأحكام والتدبير، كما يجتهدُ الواحدُ من العلماء.

---

(١) المصدر: «الغفلة» بدل «الغلط».

(٢) أقول: هذا هو رأي المعتزلة، وأمّا عندنا ـ الشيعة ـ فالإمام أمِيرُ المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام ثاني المعصومين عليهم السلام الّذين لا يتطرّق إليهم السهوُ والغفلةُ فضلا عن سائر القبايح، لدخوله عليه السلام في من نزلت فيهم آيةُ التطهير، الدالّة على العصمة، كما هو مفصّل في كتب الإمامة عندنا.

(٣) المصدر: كان يجوز له أن يجتهد... .

والسؤال ـ أيضاً ـ ساقطٌ على هذا المذهب، لأنّ اجتهاد عليّ عليه السلام لا يُساوي اجتهاد النَبيّ صلى الله عليه وآله وبين الاجتهادين كما بين المنزلتين[١].

وكان أبو جعفر ابن أبي زيد فقيه البصرة رحمه الله تعالى ـ إذا جاذبناه[٢] هذا ـ يقول: إنّه لا فرق عند من قرأ السيرتين: سيرة النَبيّ صلى الله عليه وآله وسياسة أصحابه أيّام حياته، وبين سيرة عليّ عليه السلام وسياسة أصحابه أيّام حياته.

وكان يقول: من تأمّلَ حال الرجلين وجدَهما متشابهتين في جميع أُمورهما، أو في أكثرها؛ وذلك لأنّ حرب رسول الله صلى الله عليه وآله كانتْ سجالا انتصرَ يوم بدر، وانتصرَ المُشركون عليه يوم أُحد، وكان الخندقُ كِفافاً؛ لا عليه ولا له، لأنّهم قتلوا رئيس الأوس سعد بن معاذ، وقتل منهم فارس قريش عمرو بن عبد وَدّ، وانصرفُوا عنه بغير حرب، ثمّ حارب بعدها يوم الفتح، فكان الظفرُ له.

وهكذا كانت حروب عليّ عليه السلام انتصر يوم الجَمَلِ، وخرجَ الأمر بينه وبين معاوية على سواء، وانصرف كلّ واحد من الفريقين عن صاحبه بعد الحرب على تكافٌ، ثمّ حارب بعد صفّين أهلَ النَهْروان، فكان الظفرُ له.

قال: وكان العجبُ أنّ أوّل حروب رسول الله صلى الله عليه وآله كانت بَدْراً، وكان هو المنصور عليهم، وأوّل حروب عليّ عليه السلام يوم الجَمَلِ، وكان هو المنصور فيها.

ثمّ كان من أمر الصحيفة والحكومة يوم صفّين؛ نظيرَ ما كان من صحيفة الصلح والهدنة يوم الحُديبية.

ثمّ دعا معاوية في آخر أيّام عليّ عليه السلام إلى نفسه وتسمّى بالخلافة، كما أنّ مُسيلمة والأسود العنسي دَعَوَا إلى أنفسِهما في آخر أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله وتسمّيا بالنبوّة.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ٢١٣-٢١٤.

(٢) المصدر: الحسني نقيب البصرة رحمه الله إذا حدّثناه في هذا... .

واشتدّ على عليٍّ عليه السلام ذلك، كما اشتدّ على رسول الله صلى الله عليه وآله أمرُ الأسود ومسيلمة.

وأبطلَ اللهُ تعالى أمر الأسود ومسيلمة بعد وفاته صلى الله عليه وآله كما أبطل أمر معاوية وبني أُميّة بعد وفاة عليّ عليه السلام.

ولم يحاربْ رسول الله صلى الله عليه وآله أحدٌ من العرب إلاّ قريش، ما عدا يوم خيبر، ولم يحاربْ عليّاً عليه السلام من العرب أحدٌ إلاّ قريشٌ ما عدا يوم النهروان.

وماتَ عليّ عليه السلام شهيداً بالسيف، ومات رسول الله صلى الله عليه وآله شهيداً بالسمّ.

وهذا لم يتزوّج على خديجة أُمّ أولاده حتّى ماتَتْ، وهذا لم يتزوّج على فاطمة أُمّ أشرف أولاده حتّى ماتَتْ.

ومات رسول الله صلى الله عليه وآله عن ثلاث وستّين سنة، ومات عليٌّ عليه السلام عن مثلها.

وكان يقول: انظروا إلى أخلاقهما وخصائصهما:

هذا شجاع، وهذا شجاع.

وهذا فصيحٌ، وهذا فصيح.

وهذا سخيٌّ جوادٌ، وهذا سخيٌّ جوادٌ.

وهذا عالمٌ بالشرايع والأمور الإلهيّة، وهذا عالمٌ بالفقه والشريعة والأمور الإلهيّة.

وهذا زاهدٌ في الدنيا غير نهم عليها ولا مستكين منها، وهذا زاهدٌ في الدنيا تاركٌ لها غير متمتّع بِلَذّاتها.

وهذا مذيبٌ نفسه في الصلاة والعبادة، وهذا مثله.

وهذا غير محبّب إليه شيءٌ من أُمور العاجلة إلاّ النساء، وهذا مثله.

وهذا ابن عبد المُطّلب، وهذا في قُعْدده[1].

---

(١) القعدد: القريب الآباء من الجدّ الأعلى.

وأبواهما أَخَوان لأب وأُمٍّ، دون غيرهما من بني عبد المطّلب.

وربّيَ محمّد ﷺ في حِجْر والد هذا وهو أبو طالب، فكان جارياً عنده مجرى أحد أولاده[١] ثمّ، لمّا شبّ محمّدٌ ﷺ وكبر استخلص من بني أبي طالب عليّاً وهو غلام، فربّاهُ في حجره مكافأةً لصنع أبي طالب به.

فامتزج الخُلُقانِ، وتماثلت السَجيّتان، وإذا كان القرين مُقتدياً بالقرين، فما ظنّكَ بالتربية والتثقيف الدَهْرَ الأطولَ! فواجبٌ أن تكون أخلاق محمّد ﷺ[٢] لعليّ عليه السلام وأخلاق عليّ عليه السلام كأخلاق محمّد ﷺ وأن يكون الكلّ سُنّةً[٣] واحدةً وطينةً مشتركةً غير منقسمة ولا متجزّءة، وأن لا يكون بين محمّد ﷺ وبين عليٍّ عليه السلام فَصْلٌ[٤].

لولا أنّ الله اختصّ مُحمّداً ﷺ برسالته، واصطفاه لوحيه، لِما يعلمه ـ من مصالح التربية في ذلك، ومن اللطف به ـ أكمل، والنفع بمكانه أتمّ وأعمّ، فامتازَ رسولُ الله ﷺ بذلك عمّن سواهُ، وبقي ما عدا الرسالة على أصل الاتّحاد.

وإلى هذا المعنى أشار ﷺ بالنُبوّة، حيثُ قال: «[أخصمُكَ بِالنُبوّة] فلا نُبوّة بعدي»[٥].

وقال أيضاً: «أَنْتَ منّي بمنزلة هارُونَ من مُوسى إلاّ أنّهُ [لا نبيَّ بعدي]»[٦].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ٢٢٠-٢٢٢.

(٢) المصدر: كأخلاق أبي طالب، وتكون أخلاق علي عليه السلام كأخلاق أبي طالب أبيه، ومحمّد عليه السلام مربّيه.

(٣) المصدر: شيمة واحدة وسوساً.

(٤) في المصدر: وألاّ يكون بين بعض هؤلاء وبعض فرقٌ ولا فضل.

(٥) المصدر زيادة: «وتخصم الناس بسبع» أخصمك: أي أغلبك.

(٦) تاريخ دمشق: ج١/ ٣٠٧ و٤٢٨، محاسن الأزهار: ٤٢٤، كفاية الطالب: ٢٨١-٢٨٧.

فأبانَ نفسهُ الشريفة عنه بِالنُّبوّة، وأثبتَ له ما عداها من جميع الفضائل والخصائص[١].

ثمّ أَخَذَ ابن أبي الحديد يتكلّمُ في حسن سياسة أَمِير المُؤْمِنِيْنَ ولطيف تدبيره حتّى قال: كان عليٌّ عليه السلام ملجَماً بالوَرَع عن جميع القول إلاّ ما هو لله عزّ وجلّ رِضاً، وكان ممنوع اليدين والرجلين من كلّ بطش إلاّ ما هو لله تعالى رِضاً، ولا يرى الرِضا إلاّ في ما يرضاهُ اللهُ تعالى ويحبّهُ، ولا يرى الرِضا إلاّ في ما دلّ عليه الكتابُ والسُنّةُ، دُونَ ما عليه أصحاب الدّهاء والمكايد والآراء؛ إلاّ أنّه عليه السلام امتُحِنَ بما لم يُمتَحنْ به أحدٌ من الخلفاء، وذلك من الاختلاف والمنازعة والتشاحّ على الرئاسة (والتسرّع والعجلة، وهل أُتِي عليه السلام إلاّ من هذا المكان)؟[٢].

انظروا إلى ما كان يلقاهُ من أصحابه، وهم بقيّة المهاجرين والأنصار؟ وما كان يشكوهُ عليه السلام من جَفوتهم، وقلّة طاعتهم؟.

وعلى الجملة لم يكن معه إلاّ أهلُ الآخرة؛ الّذين لا ميل لهم إلى الدُنيا، وقد اجتمع عليه من العساكر والأتباع ما يتجاوزُ العدّ والحصر، وقاتل بهم أعداءَهُ الّذين حالُهم حالُهم، وظفر في أكثر حروبه.

وأنظر البروج للمؤلّف: ٢٦٧. والحديث متواترٌ عن النَبِيّ صلى الله عليه وآله وقد عدّه جمع مّمن أورد الأحاديث المتواترة في المتواترات. وأنظر لقط اللآلي المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي: ٣٣ الحديث الخامس، قال رواه من الصحابة عشرة. ويجد الباحث الحديث مرويّاً عن أكثر من عشرين صحابياً في ما جاء في الحديث رقم ٣٣٦ وما بعده من ترجمة أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام من تاريخ دمشق: ج١/ ٣٠٧ بتحقيق المحمودي.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ٢٢٢.

(٢) ما بين القوسين لم يرد في الأولى. وكلمة (انظروا) لم ترد في الثانية.

هذه زبدةٌ من كلام ابن أبي الحديد[١] وقد أطال الكلام في حسن سياسة عليّ‏ﷺ وأورد من ذلك ما يشفي الغليل، ويبرئ العليل، في نيف وعشرين قائمة اختصرنا ما فيها[٢].

وأقول: الكلام في هذا لا يفتقرُ إلى بيان، أُنظر إلى سياسته‏ﷺ في قَتَلَةِ عُثمان، وحسن إيراده وإصداره معهم، وفيهم، لأنّه استعان بهم، واستظهر على أعدائه، نَفَرَ بِهِم، وكان إذا سُئل عنهم؛ أحسن الجواب، ولم يظهر لهم الخطأ فينفرون، ولا أظهر لهم الإصابة، فيفرّ مَنْ لا يرى ذلك، وهم جُلّة الناس، فساس الأمرَ بين الحالين، وأحسنَ القول بين القولين.

ورجع في هذا كلّه إلى ما يجوزُ له، دون ما لا يجوز، ولم يصدر عنه في ذلك كلّه إلاّ ما تقتضيه الشريعة النبويّة، وأرضى كلّ أحد من الفريقين بأمر شرعيّ، وقانون مرضيّ، وهذه هي السياسةُ الّتي يعجز عنها الطوقُ البشريّ.

وأمّا قول ابن العَرَبِيّ: إنّه لم يتّفق له لحظة[٣].

فقولٌ باطلٌ، بل قد كان معهُ ـ من وُجوه المُهاجرين والأنصار ـ مَنْ لمْ يكنْ مع معاوية، وإنّما سار إلى مُعاوية أهلُ الدُنيا، ومن باعَ دينَه بِدنيا غيره، كعمرو ابن العاص، وذي الكلاع الحميريّ، وابن الأعور السلميّ، وأمثالهم من أرباب الصفقة الخاسرة.

ومَن انتصرَ لصوابهم، وحسن أفعالهم، واحتجّ على جودة تدبيرهم وحسن سياستهم؛ فهو منهم «إيّاكِ أعني فاسمعي يا جاره».

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ٢١٢-٢٣١.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ٢١٢-٢٦٠.

(٣) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤٣.

وأَمّا قوله: كُلّما أراد أبو بكر مِن قتل في قتال وفناء المقتولين؛ تاتّى لهُ ذلك، مع قلّة عددهِ! ونُوزعَ عليٌّ فأظهرهُ اللهُ على مَنْ ناواهُ من الخوارج، ثمّ انتشروا في البلاد[1].

فنقول: أمّا قولك يابن العَرَبِيّ: «كلّما أراد أبو بكر من قتل؛ تاتّى له، وأنّهُ أفنى المقتولين».

فكلّ مَنْ قتله فقد أفناه، وهكذا غيرُه؛ مَنْ قتلَ قتيلا أفناه.

فأمّا أنّه: «لم يبق له منازعٌ».

فإنْ أرادَ أهلَ الرِدّة، فالّذي قتلهم في الحقيقة عليٌّ عليه السلام وبسيفه ذُلّوا، وبضربه وطعنه قَلّوا.

وإنْ أراد غيرهم؛ من الكُفّار: فلمْ يصدقْ في قوله: لأنّ المعلوم المعروف لأهل السِيَرِ والتواريخ: أنّ عُمَرَ ابن الخطّاب كان بعدَهُ أكبرَ جِهاداً وأعظمَ فُتوحاً، وليس ذلك إلاّ لأنّ الكُفّار لم يفنوا في عهد أبي بكر، بل كانوا بعده موجودين.

وأَمّا بقاءُ الخوارج بعد عليّ عليه السلام: فذلك ليس لتقصير في جهاده لهم، ولا قتله إيّاهم، فقد قتل منهم بسيفه ونفسه ما لم يفعل مثله أبو بكر بيده وسيفه، بل لو قيل: إنّ أبا بكر لم يقتل أحداً بيده لا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولا بعده لكان قولا صحيحاً صادقاً.

وعليّ عليه السلام هو المعروف بقتل الكفّار وإهلاكهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده.

---

(١) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤٣-١٤٤.

وفي هذا من الكلام ما يُخرجنا إلى السير والتواريخ[1].

وأمّا بقاء الخوارج بعد قتله عليه السلام فكبقاء اليهود بعد قتل قُريضة والنضير، وأهل خيبر، فكما أنّه لم يلحق النبيّ صلى الله عليه وآله نقصٌ في بقائهم بعده، كذلك عليّ عليه السلام لا يلحقه نقصٌ في بقاء الخوارج بعده.

وقد قيل لأمير المؤمنين عليه السلام ـ لمّا قتل الخوارجَ ـ: هلك القومُ يا أَمِير المُؤْمِنِيْنَ بأجمعهم!

فقال عليه السلام: «كلاّ ـ والله ـ إنّهم نطفٌ في أصلاب الرجال، وقرارات أرحام النِساء، كُلّما نَجَمَ منهم قرنٌ قُطِعَ، حتّى يكون آخرهم لُصوصاً سَلاّبين»[2].

وقد قال عليه السلام: «لا تقتُلُوا الخوارجَ بعدي، فليس مَنْ طلبَ الحقَّ فأخطأَهُ، كَمَنْ طلبَ الباطلَ فأدركَهُ»[3]. يعني معاوية وأصحابه.

وابن العَرَبِيّ جاهلٌ لم يُحِطْ عِلماً بأَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام وما ورد عنه في هذا وأمثاله.

قال ابن العَرَبِيّ: فأمّا منزلتُهُ في الشجاعة: فلم يكن في الصحابة أقوى قلباً ولا أثبتَ في الرَوْعِ جأشاً، ولا أفرغَ في الكرب منهُ فُؤاداً، ولو لم يكن إلاّ قوله ـ في العريش للنبيّ صلى الله عليه وآله وهو مع النَبيّ عليه السلام وحده فيه: «حسبُكَ ـ يا رسول الله ـ فقد أَلْحَحَتَ على ربّك، هوَ مُنجزٌ لَكَ ما وَعَدَكَ».

---

(1) أقول: هذه كتب التواريخ والمغازي بين يديك فراجعها تجد صحّة ما قاله رحمه الله. وقد اعترف بهذا ابْن العَرَبِيّ في ص١٥٠ من كتابه (عارضة الأحوذيّ) عند ذكر عليّ عليه السلام بقوله: «وأمّا منزلته في الشجاعة فظاهرة؛ باتَ على فراش النَبيّ عليه السلام فداءً له بنفسه، وبَرَزَ يومَ بدر وخيبر وغير ذلك مُكاشفاً لأعداء الله، وذلك ظاهر جدّاً».

(2) نهج البلاغة، من كلامه عليه السلام برقم ٦٠: ص٩٣.

(3) نهج البلاغة، من كلامه عليه السلام برقم ٦١: ص٩٤.

وثبتَ عندَ موت النَبيّ ﷺ وقد اضطربتْ قلوبُ الناس وعُقُولُهم... إلى آخر ما ذكره[١].

فنقول: هذا الكلام قد تناول ـ بِظاهر شُمُوله ومُطلق عُمُومه ـ أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام فأخذنا منه: أنّ أبا بكر عند ابْن العَرَبِيّ أشجعُ من عليّ عليه السلام !.

وقد أحسن أبو الطيّب حيث قال:

ولَيسَ يصحُّ في الأفهام شيءٌ ... متى احتاجَ النهارُ إلى دليلِ[٢]

ونقول لابن العربي: أَيّما رجل أشجعُ؟ واقفٌ في ظلّ العريش مع رسول الله ﷺ ينظرُ تَجالُدَ الأبطال ومنازلةَ الأقران؟.

أمْ رجلٌ منغمِسٌ في وَطِيس الحرب يَقُطُّ الرقابَ؟ ويُجَدِّلُ الشجعانَ؟ ويعودُ وسيفُهُ يقطُرُ دَماً وينطفُ مُهَجاً؟ وهو ـ مع ذلك ـ بَدَلُ الأبْدال، وزاهُد الزُهّاد؟!!.

فإن قال ابن العَرَبِيّ: المُستظلُّ في العريش أشجعُ من المنغمسِ في الوطيسِ.

قُلنا له: ما قاله المتنّبي:

ومثلُك يُؤتى من بلاد بعيدة ... ليُضحِكَ ربّاتِ الحِجالِ البواكِيا[٣]

لأنّ هذا كلامُ من كثرتْ مُجُونُه، وعظمَ جُنُونُه.

وإن قال: بل المنغمسُ في الحرب أشجعُ.

قُلنا: إلى الحقّ رجع.

---

(١) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤٤-١٤٥.

(٢) ديوان المتنبي: ٣٢٠. من موسوعة الشعر العربي.

(٣) ديوان المتنبي: ٥٢٥. من موسوعة الشعر العربي، وفيه (ربّات الحداد).

واعلم أنّا لا ننكرُ فضلَ أبي بكر، وأنّه من الرسولﷺ بمنزلة الوزير والصاحب الأخصّ، ولهذا كان معه في عريشهﷺ ولو علم رسول اللهﷺ أنّ في أبي بكر غنىً ـ وأنّه ممّن يعينُ على قتال الكُفّار، ويقدرُ على مجالدة الأبطال ويتمكّنُ ممّا تمكّن منه غيرُهُ، من صناديد المسلمين ـ ما وقف عنده، وهو أحوجُ الناس إلى النُصرة، وقد ظهرت الحاجةُ، ورأى موج الموت يضطربُ بين يديه، وأصحابُه الأبرارُ من المهاجرين والأنصار بين شارب لذعافه، ومُشارف لشرابه، والمُشركون بين صريع يجودُ بنفسه، وهالك يعودُ في رمسه.

وحمزةعليه السلام قد اعتلمَ في صدره، بريشِ نعامة يهدُّ بسيفهِ الصُفُوف[1].

وعليّعليه السلام قد بَرَزَ بنفسهِ يَستلِبُ المُهجَ، ويَهْزِمُ الزُحُوفَ، والموتُ بارزةٌ أنيابُهُ ونواجِذُهُ، والسيفُ لائحةٌ في الفريقينِ مضاربُهُ ومآخِذُهُ، والرسولُﷺ يدعو، ويلحُّ في دُعائه، والملائكةُ من أمداده، وجبريلُعليه السلام من أنصاره، وأبو بكر جالسٌ في العريش عنده يغصّ عناءً، وله فضلٌ.

بلى، هذا ما لا يقول به قائلٌ؛ لأنّ رسول اللهﷺ أحرصُ الناس على إعانة أصحابه وإغاثتهم وزيادتهم ونُصرتهم، فلو علم من أبي بكر شجاعةً لأمدّ أصحابه بهِ، ولا تركه ـ مع الحاجة إليه ـ عنده، لكنّهُ وزيرٌ وصاحبٌ مشيرٌ، ولهُ بعد ذلك فضلٌ كبيرٌ، ما خلا الشجاعة.

فعليّعليه السلام صاحبُها، وله فضلُها ومناقبُها، ومن ادّعى الباطلَ أُلحجَ بِهِ[2] وشجاعةُ أَمِيرِ المُؤْمِنِيْنَ قد ظهرتْ ظهوراً لا يسمحُ بنا إيراد الدليل عليها ولله القائلُ.

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٤/ ٢٥٨.

(٢) أُلحج به: لحج في الأمر، أي دخل فيه. «المعجم الوسيط: ٨١٧».

وهــبني قلــتُ هــذا الصُــبحُ ليــلٌ   أيعمــى العــالِمُون عــن الضِــياءِ[1]

فقول ابْن العَرَبيّ في هذا محجوجٌ، ورأسهِ بفطيسِ الحقّ مَشجُوجٌ.

وأمّا قوله: إنّ أبا بكر قال للنبيّ ﷺ: حسبُك يا رسول الله!.

فالتسليمُ بما يقولهُ رسولُ الله ﷺ أولى، لأنّهُ باللهِ أعلمُ، وبمناجاته أحكمُ.

وقد قال اللهُ تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[2] فالتسليمُ أدخلُ في الطاعة وأجدرُ بالإيمان.

فإن قلتَ: كيفَ يُمكنُ إنكارُ شجاعة أبي بكر وقد استأذن رسول الله ﷺ حين طلعَ ولدُهُ عبدُ الرحمن مُدجَّجاً، فقالَ: دَعْني ـ يا رسول الله ـ أخرجْ له، فقال ﷺ: «شِمْ[3] سيفَك، يا أبا بكر ومتّعْنا بنَفسِكَ».

قلتُ: في هذا أظهرُ دليل على أنّ النَبيّ ﷺ خافَ على أبي بكر من وَلَدِهِ أنْ يقتلَهُ، ولِهذا قال: «متّعْنا بنفسك» وكان ﷺ يُجِلّهُ ويَوَدّهُ ويُحبّ بقاءَهُ، والإمتاع به، ولِهذا أمره بِشَيْم سيفِهِ، وترك مالا يُحسنهُ، وكان عبد الرحمن بن أبي بكر من أشجع رجال قريش، وشهد بَدْراً، وأُحداً مع قومه، وخاف رسولُ الله ﷺ على أبيه منه، فصحّ من ذلك ما قُلناهُ، والحمدُ لله.

وأمّا أنّه ثبت عند موت رسول الله ﷺ: فصحيح ذلك، ولكن ليس في ثبوت قلبه ما يدلّ على ارتعاد قلب علي عليه السلام في كلّ موطن.

---

(١) ديوان المتنبي: ٤. من موسوعة الشعر العربي.

(٢) النساء: ٦٥.

(٣) قال في لسان العرب (ش ي م): شَامَ السيفَ شَيْماً: سلّهُ، وأغمدهُ، فهو من الأضداد... وفي حديث عليّ عليه السلام قال لأبي بكر ـ لمّا أراد أن يخرجَ إلى أهل الرِدّة، وقد شهرَ سيفَه ـ: «شِمْ سيفَكَ ولا تفجعْنا بنفسكَ».

فأمّا ما نزل به لوفاة رسول الله ﷺ : فذلك لمكانة منه، وليس فيه دليلٌ على خَوَر، ولا فَشَل، وقد ذكرنا ذلك في كتاب «شرح المُفاخرة بين الحرمين».

وأمّا قوله: أنّه لم يبق خارج المدينة أحدٌ إلاّ كان عليه، وقال: «لأُقاتلنّهم وحدي»[1] قال: فما قاتل أحداً إلاّ أباده الله، وبقايا مخالفي عليّ عليه السلام إلى يوم الدين[2].

وأوّل ما في هذا الكلام أنّه خالَفَ ما تقدّم من قوله: انقاد الناس كلّهم بحسن تدبيره وسداد اختياره، وسلّموا ولم يعترضوا وسكنوا ولم يضطربوا، وسدّد الله الجمهور على الأمور.

هذا أوّل كلامه في وصف أبي بكر بحُسن الرأي وجودة التدبير، ثمّ قال في آخره: لم يبق أحدٌ خارجَ المدينة إلاّ كان عليه حتّى قال: وكانوا ثلاثين ألف مُقاتل[3].

وهل التناقُضُ في الكلام إلاّ هكذا؟

أظهرَ في بداية كلامه انتظامَ الأمر لأبي بكر وتسليم الناس له، وأنّه لم يبق عليه مُخالفٌ، ولم يَبْرُدْ هذا القولُ حتّى قال: خالف الناس على أبي بكر كافّةً فلم يبق خارج المدينة أحد إلاّ كان عليه!!.

وفي المثل: «سرعان ذا إهالة» بينا هو يصف أبا بكر بحسن طاعة الناس له وأنّهم سلّموا ولم يعترضوا وسكنوا ولم يضطربوا؛ إذْ عكس هذا الكلام ونقضه، وقال: ولم يبق خارج المدينة أحد إلاّ كان عليه، وخالف أمره ونبذ حكمه!

---

(١) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤٥.

(٢) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤٣-١٤٤.

(٣) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤٤-١٤٥.

وما المناقضةُ بأكثر من اختلاف الوصفين في شيء واحد.

يُصيبُ وما يَدري ويُخْطِي وما دَرَى   وكيفَ[1] يكُونُ الجهلُ إلاّ كذالِكَا[2]

وعذرُ ابْن العَرَبيّ في هذا التناقض أنّه :

أراد أوّلا : مدح أبي بكر بِحُسن تدبيره وسياسته.

وأراد ثانياً : مدحه بشدّة بائسهِ وشجاعته.

وأراد بتسليم الناس له حسن تدبيره، وباختلافهم قوّة قلبه وشجاعته، ليتمّ له المدح بكمال التدبير والشجاعة.

فجاء الخلل من حيث قصد الاستقامة، وأتى الخطأ من حيث أراد الإصابة.

ومَنْ لم يتدبّر كلامَهُ، اضطربتْ مبانيه، وتباينتْ معانيه، كما فعل ابن العَرَبِيّ.

والجواب عليه : أنّا لا نُخالف أنّ اللهَ عزمَ على قلب أبي بكر في حرب أهل الردّة حتّى قال صواباً، وكشف عن وجه الرِدّة نقاباً، واستبدّ في حرب أهلها حتّى صار كما قالت ابنتُه عائشةُ : طار بعِنانها واستبدّ برِهانها.

ولكنّ عَلِيَّ بن أَبِي طالِب كرّم الله وجهه، فإنّهُ الّذي قام في حرب أهل الرِدّة على ساق الجدّ والاجتهاد، وذكّر سيفَ الفِقار مواطنَه في الجهاد، ولو ذكرنا ماله عليه السلام في حرب أهل الرِدّة من الأحوال المشهودة، والأفعال المحمودة ؛ لخرجنا عن المقصود.

والقصد الإشارة إلى غُلُوّ ابن العَرَبِيّ، ونقض ما ادّعاهُ من تفضيل أبي بكر على عليّ عليه السلام وأنّ الأمر لم يستوسقْ لأبي بكر كما ادّعاه ابن العَرَبِيّ، إلاّ

---

(١) في الأولى : وليس.

(٢) لأبي الأسود الدؤليّ، في ديوانه : ٣٦، وفيه : (يكون النوك) من موسوعة الشعر العربي.

بِسكوت عليّ عليه السلام في الابتداء، وقيامِه معهُ في الانتهاء، وفعل عليه السلام بمقتضى ورعه ودينه من السكوت حين رآهُ صالحاً، ومن القيام عند [ما] رآهُ واجباً.

وأمّا قول ابن العَرَبِيّ: أنّ أبا بكر ما قاتل أحداً إلاّ أباده الله، وبقايا مخالفي عليّ إلى يوم الدين[1].

فأوّلُ ما في هذا: أنّه لا فضلَ لأبي بكر في إبادة مَنْ قاتله لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو سيّدُ الثقلين لم يُبِدِ اللهُ مَنْ قاتلهُ، بل بقيتْ طوائف الكفّار في كثير من الأمصار، ولا نقصَ في فضل عليّ عليه السلام ببقاء أعدائه إلى يوم الدين؛ لأنّ كثيراً من الكُفّار باق كاليهود والنصارى والمجوس، وكُفّارِ بني تَغْلِب باقون.

وهكذا حكمُ الخوارج كما وصفناه، وعن أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام رويناهُ[2].

ولنرجع إلى تمام كلام ابْن العَرَبِيّ من منازل التفضيل:

قال: وأمّا منزلته في العفّة والإنصاف:

فإنّها غايةٌ، خرج عن ماله وأبلى ذات يدهِ حتّى لا يحتاج إلى منازعة، فما وكّل قطّ في قضيّة، ولا جاء أبواب القضاة، ولا وكّل ولداً، وخاصَمَ عليٌّ ووكّل عقيلا.

ولم يشتغل بعد النَبِيّ صلى الله عليه وآله باكتساب، ولا باقتنائه، حتّى لا يحتاج إلى الانتصاف... إلى آخر ما ذكره في هذه المنزلة[3].

والكلام عليه في هذا الفصل أنّهُ أشار به إلى عليّ عليه السلام من ابتدائه إلى انتهائه، وإرادته نقصه عليه السلام بالوكالة والخصومة، والتي أن إلى القضاة، والاكتساب للمال، كلّ هذا إشارةٌ منه إلى ما كان من أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ كرّم الله وجهه.

---

(١) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤٤.

(٢) نهج البلاغة، من كلامه عليه السلام برقم ٦٠ و٦١ و٩٣ و٩٤.

(٣) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤٥.

وهذا فلا نقصَ في شيء منه، ولا فضل لأبي بكر في شيء ممّا ادّعاهُ له.

أمّا الوكالة: فإنّ النبيّ ﷺ قد وكّل عُروةَ البارقيّ، وأعطاهُ ديناراً وأمره أن يشتريَ له أضْحِيَةً، وكذلك؛ فإنّه ﷺ وَكّلَ حكيمَ بنَ حِزام بِمثله.

وهذا أصلٌ قويٌّ في جواز التوكيل، وابن العَرَبيّ ادّعى نقصَ أمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام بتوكيله لعقيل، وقد قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**﴾[1].

فيقول ابْن العَرَبِيّ أنّ النبيّ ﷺ مخصوصٌ بالوكالة دون غيره أم يقول: إنّها نقيصة في الدين، ومثلبة في حقّ الخلفاء الراشدين؟!

فقد أريناهُ ما فعل سيّد المرسلين، والحمدُ لله ربّ العالمين.

وذكر ابن أبي الحديد في «شرحه» أنّ عليّاً عليه السلام كان يتحرّج في الخصومات في حقوقه، وكان يتركها تكرّماً وتنزّهاً[2].

وقال في موضع آخر: إنّه عليه السلام تركها إشفاقاً من المعصية، وكان يولّي ذلك عقيلا فلمّا أسنّ عقيلٌ؛ كان يولّي ذلك عبدَ الله بن جعفر[3].

وأمّا الوصولُ إلى القضاة، وأنّ عليّاً خاصَمَ، فمثل ذلك لا يضعُ من مرتبته، ولا ينقصُ من خلافته.

ومن قضيّة خُزَيمة بن ثابت، وتسمية النبيّ ﷺ بـ«ذي الشهادتين»[4] ما يدلّك على أنّه ﷺ ادّعى ما لم يكن له شاهدٌ عليه إلاّ خُزَيمة؛ فأقامها ﷺ

---

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ج١٧/ ١٥٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد: ج١٧/ ١٥٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد: ج١٠/ ١٠٩.

بـ«شهادتين» دلّ ذلك على مثل ما اتّفق لأمير المُؤْمنين كرّم اللهُ وجهه، والأصل في ذلك أنّه عليه السلام ادّعى على يهوديّ دِرْعاً وجدها معه، فأنكرَ، فادّعاهُ وخاصَمَهُ إلى قاضيه شريح، ما هو معروفٌ في ذلك، حتّى وقف على يمين شريح، وأمَرَ خصمَهُ أنْ يقفَ بين يديه، فاضطرب شريحٌ لأجل ذلك حتّى نبّهه عليه السلام على جواز ذلك وفقّههُ في قضائه، بتعليمه ما يجوزُ في ما هُنالك، وأنّ مجلس المسلم في المخاصمة يكون فوق مجلس الكافر، ولا يستويان.

ثمّ إنّ شريحاً قال: ليس لك يا أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ إلاّ يمينه، حين لم [يكن] لعليّ عليه السلام شاهدان على ملك دِرْعه، فقال عليه السلام: «أَحْسَنْتَ يا شُرِيحُ» وسرّهُ إصابتُهُ للقضاء، وزادهُ في ذلك فقهاً.

فلمّا رأى اليهوديّ ما فعله عليه السلام قال: هذا أَمِيرُ المُؤْمِنِيْنَ يمشي إلى قاضيه، وقاضيه يحكمُ عليه، هذا هو الحقّ، وأقرّ بأنّ الدرعَ لعليّ عليه السلام وقال: هيَ دِرْعُك، جذبتُها من جملك الأزبّ في بعض أيّام صِفّين، وأسلمَ، وشَهِدَ أنّ هذه شريعة الإسلام، وشَهِدَ بصدق رسول الله صلى الله عليه وآله ونبوّتِهِ، فوهبَ له عليّ عليه السلام الدرعَ، وحمله على فرس، وشهد معهُ صِفّين، وماتَ شهيداً، قُتِلَ في بعض أيّامه[1].

وفي هذه الفضيلة ـ الّتي رامَ ابنُ العَرَبيّ، نقصَ عليّ عليه السلام بها ـ فضائلُ لأمير المؤمنين:

منها: أنّه أجابَهُ إلى قاضيه، ومشى إليه من دُون تكبُّر ولا تجبُّر.

ومنها: أنّه عليه السلام علّمَ فيها شُريحاً ما جهلهُ، من مجلسه، ومجلس خصمه، وفقّهه في الدين.

---

(١) مناقب آل عَلِيّ بن أَبي طالِب: ج٢/ ١٢١ قريب منه.

ومنها: أنّه قرّر قضاءَ شُريح، وأثنى عليه حين أصاب شاكلة الصواب.

ومنها: أنّه حينَ أسلمَ اليهوديُّ وَهَبَ لهُ الدرعَ، وحمله على فرس، ولم يكن بخيلا بالدرع، ولو كان غيرُهُ وقد وَصَلَ إلى حقّه لَقَبَضَها لِنفسهِ، ولم يُخرجها بالهبة عن ملكه.

ومنها: ـ وهو أفضلُها ـ ما كان في هذه القضية من اللُّطف لِليهوديّ حتّى أسلمَ، وفي ذلك الحديث المأثور: «يا عليُّ؛ لئنْ يهديَ اللهُ على يديك رَجِلا خيرٌ لك ممّا طلعتْ عليه الشمسُ»[1].

وهذا حديثٌ عظيمٌ وفضلٌ جسيمٌ.

فأينَ ابْن العَرَبيّ عن هذه الفضائل اشتملتْ عليها قضيّةُ المُخاصمة، أرادَ بها لأمير المؤمنين اتّضاعاً، فأريناه بها لأمير المؤمنين ارتفاعاً، ونعوذُ بالله من البغي والحسد، والغيّ الّذي يهلك صاحبه كما يهلك النملُ ولد الأسد.

أرادَ بِهـا نَقْصـاً لِصِـنْوِ محمّـد فكانَـتْ لَـهُ مَـدْحاً و كانَـتْ لَـهُ فَضْـلا
فَسُـحْقاً لِمَـنْ عـادى عَلِيّـاً جَهالَـةً وأَهْـلا بِمَـنْ وَالَـى أَبا حَسَـن أَهْـلا[2]

وأمّا اكتساب المال الحلال، فداخلٌ في حيّز الإباحة إن لم يكن مندوباً إليه، أو واجباً، وقد كان أبو بكر بَزّازاً تاجِراً في الإسلام، ولمّا وليَ الخلافة خرج [إلى] السوق ليبيعَ ويشتري، حتّى قال له الصحابةُ: لا يصلحُ لك بعد الخلافة هذا، وأجمعوا على رزق قدّروهُ لهُ من بيت المال، ولو لم يَلِ أبو بكر الخلافةَ؛ لبقيَ تاجِراً.

---

(١) كنز العمّال: ج١٠/١٥٦/ح٢٨٨٠٣، إتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج١/١٠٥-١٠٦، و ج٨/٣١٩، موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف: ج٦/ ٥٥٧.

(٢) لم نعثر على قائله، ولعلّه من نظم المؤلّف ﷺ.

قلتُ: ولو تركوا لعليّ عليه السلام ما جعله الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله من الخلافة، لَمَا تفرّغَ لكسبِ المال واستنباطه، ولاشتغلَ بأُمور المسلمين، كما اشتغل أبو بكر بها، وهذا واضحٌ جليٌّ لمن لم يُعْمِ الهوى عينَ بصيرته[1].

ولا نقصَ على أبي بكر في ذلك، وأَمير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام لا نقصَ عليه في اكتساب المال.

قال ابن العَرَبِيّ: وأمّا منزلته في الزهد في الدنيا:

فخرج من جميع ماله، وأنفق على رسول الله صلى الله عليه وآله جميع ما ملكه، حتّى قال: «ما نفعني مالٌ ما نفعني مالُ أبو بكر» إلى قوله: وقد شهد اللهُ لهُ بذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ**﴾[2] وأخبر أنّه إنّما فعله لوجه الله، لا طلباً للنعيم، ولا خوفاً من الجحيم، فكان أبلغ ممّا قيل فيه: ﴿**إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾[3] ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا**﴾[4] فأخبر أنّ ذلك إنّما كان خوفاً من الجحيم ورغبةً في النعيم، وكان يقول: «أَقِيْلُوْنِي» ويرغبُ عنها. وغيرُهُ يرغبُ فيها، ودافع عنها. واقتصرَ على القليل من النِساء، وغيره تزوّج، واشترى ما ظهرَ لهُ الأولاد منه، والأموال.

إلى هيهنا بلغَ ابْن العَرَبِيّ في التعريضِ بِانتقاص عليّ عليه السلام وقد اشتملَ كلامه في هذه المنزلة على ثلاثة أشياء:

---

(١) في النسختين هنا كلمة (تمت)!.

(٢) الليل: ١٩-٢١.

(٣) الإنسان: ١٠.

(٤) الإنسان: ٥.

أوّلها: الكلام في زهد عليّ عليه السلام.

والثاني: في بيان فضل الآياتِ الّتي خصّ الله بها عليّاً وأهل بيته عليهم السلام.

والثالث: في الجواب عمّا ذكره من رغبته عليه السلام في الخلافة، وكثرة زوجاته، وأمواله.

أمّا زهده عليه السلام في الدنيا؛ فحسبك منه ما ذكره عليه السلام في كتابه إلى عثمان بن حُنَيْف الأنصاريّ، حيث قال:

«إنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي به ويستضيءُ بنور علمه، ألا، وإنّ إمامَكمْ قد اكتفى من دُنياهُ بطِمْرَيْهِ، ومن طعمه بقُرْصَيْهِ، ألا، وإنّكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بِورَعٍ واجتهاد، فواللهِ ما كنزتُ من دُنياكم تِبْراً، ولا ادَّخَرْتُ من غنائمها وَفْراً، ولا أَعْدَدْتُ لِبالي ثوبي طَمْراً».

وفي بعض الروايات:

«ولا حُزْتُ من أرضها شِبْراً، ولا أخذتُ مِنها إلاّ كقوت أتان دبره، ولَهِيَ في عَيني أهْوَنَ من عَفْطَةِ عَنْز»[1].

قال ابن أبي الحديد: أقسم عليه السلام أنّه ما كنزَ ذَهَباً، ولا ادَّخَرَ مالا، ولا أَعَدَّ ثوباً بالِياً سَمِلا لِبالي ثوبِهِ، فضلا عن أن يُعِدّ ثوباً قَشيباً؛ كما يفعلُه الناس في إعداد ثوب جديد لِيَلبسُوهُ عِوَضَ الأَسمال، «ولا حُزْتُ من أرضها شِبْراً» الضمير في أرضها يرجعُ إلى (دُنياكم) والدَبِرةُ: الّتي عقر ظهرُها فقلّ أكلُها[2].

---

(١) نهج البلاغة، من كتابه عليه السلام برقم ٤٥: ص٤١٧ باختلاف.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٠٧.

ومن كلامه عليه السلام في آخر الشقشقيّة: «ولألْفَيْتُمْ[١] دُنياكُمْ هذِهِ أَزْهَدَ في عَيْني من عَفْطَةِ عَنْز»[٢] وهو ما يخرجُ من أنفها.

وفي كلامه عليه السلام وقد دخل عليه ابن عبّاس ـ وهو يخصف نعله بذي قار؛ فقال عليه السلام لعبدالله بن عبّاس: **«ما قيمةُ هذِهِ النَعْلُ؟»**. فقال: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ لا قيمةَ لها، فقال عليه السلام: **«واللهِ، لَهِيَ أحبُّ إليَّ من إمرتكُم هذِهِ، إلاّ أنْ اقيمَ حقّاً أو أدفعَ باطلا»**[٣].

وقال عليه السلام: **«واللهِ، لقدْ رقعتُ مِدْرَعتي، هذِهِ حتّى استَحْيَيتُ من راقِعها، ولقد قالَ لي قائلٌ: ألا تُنبذها؟ فقُلْتُ: أُعْزُبْ عنّي؛ فعِنْدَ الصباحِ يَحْمَدُ القومُ السُرَى»**[٤].

ومن كلامه عليه السلام في ذمّ الدُنيا ونزاهته عنها ما لو ذكرناه لطالتْ بنا أفانينه، وهو معروف في مواضعه في نهج البلاغة، ومن أراد شيئاً من ذلك فليرتَعْ في رياضة الأنيقة، نحو قوله صلوات الله عليه:

«إلَيكَ عنّي يا دُنيا؛ فحبْلُكِ على غاربِكِ، قـ ـ انسَلَلْتُ من مَخالِبِكِ، وأفْلَتُّ من حَبائِلِكِ، واجْتَنَبْتُ الـ ـذهابَ في مَداحِضِكِ.

أينَ المَغْرُورن الذين غَرَرْتِيهِمْ بِمَراعِيكِ!.

---

(١) في النسخة: «ولنعيم» بدل «ولألفيتم».

(٢) نهج البلاغة، من خطبه عليه السلام برقم ٣: ص٥٠.

(٣) نهج البلاغة، من خطبه عليه السلام برقم ٣٣: ص٧٦.

(٤) نهج البلاغة، خطبة ١٦٠: ص٢٢٩ باختلاف.

أينَ الأممُ الّذينَ فتنتِيهِمْ بِزَخارِفِكِ!.

هاهُمْ رَهائِنُ القُبُورِ، ومَضامينُ اللُّحُودِ.

واللهِ، لَوْ كُنْتِ شَخصاً مَرئيّاً، و قالَباً حِسّياً؛ لأَقَمْتُ عليكِ حُدُودَ اللهِ في عِباد غَرَرْتِيهِمْ بِالأمانِيِّ، وأُمم أَلْقَيْتِيهِمْ في المَهاوِي، ومُلُوك أَسْلَمْتِيهِمْ إلى التَلَفِ، وأَوْرَدْتِيهِمْ مَوارِدَ البَلاءِ؛ إِذْ لا وِرْدَ ولا صَدَرَ!. هيهاتَ! مَنْ وَطِيءَ دَحْضَكِ زَلِقَ، وَمَن رَكِبَ لُجَجَ بَحْرِكِ غَرِقَ، وَمَن ازْوَرَّ مِن جَنابِكِ وُفِّقَ، والسالِمُ منكِ لا يُبالِي إنْ ضاقَ بِهِ مَناخُهُ، والدُّنيا عندَهُ كيوم حانَ انْسلاخُهُ.

أُعْزُبِي عنّي، فواللهِ، لا أذلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّيني، ولا أَسْلَسُ لَكِ فتَقُودِيني، وأَيْمُ اللهِ ـ يمُيناً أَسْتَثْني فِيها بِمَشيئَةِ اللهِ ـ لأَرُوضَنَّ نَفْسي رِياضةً تَهُشّ مَعَها إلى القُرْصِ إذا قَدَرَتْ عليه مطعوماً، وتقنعُ بالملحِ مأدُوماً، وَلأَدَعَنَّ مُقْلَتي كعينِ ماء، نَضَبَ مَعِينُها، مُستفرِغَةً دُموعَها.

أتَمتَلِىءُ السائمةُ من رعيها؛ فتبركُ؟ وتشبعُ الربيضةُ من عشبها؛ فتربضُ؟ ويأكُلُ عليٌّ من زادِهِ؛ فيهجع! قَرَّتْ إذنْ عينُهُ إذا اقْتَدَى ـ بَعْدَ السنين المُتطاولةِ ـ بِالبَهِيمةِ المُهملةِ، والسائِمَةِ المَرْعِيّةِ!.

طُوبَى لِنَفس أدَّتْ إلى رَبِّها فَرْضَها، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِها بُؤسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غمضَها، حتّى إذا غَلَبَ الكَرى عَلَيها افْتَرَشَتْ أرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعشر أَسْهَرَ

عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِم شِفاهُهُمْ، وتَقَشَّعَتْ بِطُولِ استِغْفارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ»[١].

ومِنْ هذا وأمثاله ما لو ذكرناهُ لَطالَ بِهِ المَساقُ، وقامَ بِنا الإسهابُ على ساق، ولم يُؤْثَرْ عن أَحَد من الصحابةِ ما أُثِرَ عنهُ ﷺ من المواعِظِ الشافيةِ، والأَدَبِ الوافيةِ، والحِكَمِ الصافيةِ، والزَواجِرِ الكافيةِ، وما ـ إذا نظرَ فيه الناظِرُ، وتفكّرَ فيه المُتفكِّرُ ـ عرفَ أنّه من الآيات السماوية، والمعجزات النبويّة، وأنّ مادّتهُ ومادّةُ رسول الله ﷺ واحدةٌ، وصفةُ كلامه وكلام رسول الله ﷺ متّحدَةٌ.

وكلّ مواعظه ﷺ على اتّساع أطرافها، وامتداد أكنافها. قد عملَ بِها وأذابَ نفسه فيها.

ومن خبرِ ضِرار بن عمرو، عند دخوله على مُعاوية، ومسألته عن أَمِير المُؤْمِنِيْنَ ﷺ قال: وأشهدُ لقد رأيتُهُ في بعض مواقفه، وقد أرخى الليلُ سُدُولَهُ، وهو قائِمٌ في محرابِهِ، قابِضٌ على لِحْيَتِهِ يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَلِيْمِ، ويَبكي بُكاءَ الحزينِ، ويقولُ:

«يا دُنيا إليكِ عنّي، أَبِيَ تَعَرَّضْتِ؟ أمْ إليَّ تَشَوَّقْتِ؟ لا حَانَ حينُكِ! هَيهاتَ! غُرّي غَيْري، لا حاجَةَ لِيَ فيكِ، فقدْ طَلَّقْتُكِ ثَلاثاً لا رجعةَ فيها! فعيشُكِ قصيرٌ، وخَطَرُكِ يسيرٌ، وأَمَلُكِ حقيرٌ، آه من قِلّةِ الزادِ، وبُعْدِ السَفَرِ، وعِظَمِ المَوْرِدِ»[٢].

---

(١) نهج البلاغة، كتاب ٤٥: ص٤١٩-٤٢٠.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٧٧: ص٤٨٠.

ولم نعلمْ لأحَد من أصحاب النبيّ ﷺ ما لأمير المؤمنين من الزهادةِ والعبادةِ، وستراهُ مذكوراً على جهة الإشارةِ في الفصل الثالث، إنْ شاء الله تعالى.

وإنّما نذكُرُ هيهنا ما يدلُّ على فسادِ مقالةِ ابْن العَرَبيّ في ما أشارَ إليه، وتفضيلِ أبي بكر على عليّ عليه السلام في الزهدِ، لأنّهُ رجعَ بماهيّة الزُهدِ في أبي بكر إلى إنفاقِهِ مالِهِ على رسول الله ﷺ.

وقد تقدّمَ لهُ في هذا الكلام، وتقدّم مِنّا نقضُهُ، حتّى ذكرنا أنّ عليّاً عليه السلام أكرمَهُ اللهُ وصانه، فلم يجعلْ لهُ من الدُنيا حَظّاً، ولا رزقَهُ مِنها مَالا، وهو في هذا شبيهُ النَبيّ ﷺ كما قدّمناه.

ونحنُ لا نُنكِرُ ما لأبي بكر من الزهْدِ والعمل الصالح، لكن لم يَرِدْ فيه، ولا أُثِرَ عنه مثلُ ما وردَ في عليّ عليه السلام ولا مثلُ ما أُثِرَ عنه، وذلك أمرٌ معلومٌ، وسوفَ نذكُرُ في الفصل الثالث ـ الّذي جعلناهُ في فضائل أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام ـ ما يشهدُ بِما قُلناهُ، ويُصحّحُ ما ذكرناهُ، إنْ شاء الله.

وأَمّا بيان فضل الآيات الّتي نزلَتْ في عليّ عليه السلام وأشار ابْن العَرَبيّ فيها إلى أنّ اللهَ تعالى خصّ أبا بكر بفضيلة قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾[1] فأخبر أنّه إنّما فعله لوجه الله تعالى لا طلباً للنعيم، ولا خوفاً للجحيم، وكان أبلغَ مّمن قيل فيه: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[2]... إلى آخر ما ذكره.

والجوابُ عن هذا التعالي: أنّ الله ـ ولهُ الحمدُ والتعالى ـ قد خصّ أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ بسورة كاملة، أخبر الله به فيها عنه عليه السلام وأهل بيته بأنّهم فَعلوا ما فَعلوا من

---

(١) الليل: ١٩-٢١.

(٢) الإنسان: ١٠.

الطاعة له والتقرّب إليه لوجهه تعالى، قال عزّ من قائل: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾[1] فأخبرَ اللهُ تعالى في هذه الآية ما تركَ ذِكْرَهُ ابنُ العَرَبيّ، وأرادَ أن يخصّ بفضلِهِ أبا بكر، كأنَّ القُرآنَ مَحجُوبٌ عن الأبصار، ومصدودٌ عن الأسماع والأفكار، وأنّه لم يَحْظَ بهِ أحَدٌ غيره، حتّى قال: كان أبلغَ ممّن قيلَ فيه: ﴿**إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾[2] وكَرِهَ أنْ يذكرَ ما قبلَها من الآية المصرّحة بأنْ الإطعام كانَ لوجه الله تعالى، لكيلا يُشارِكَ عليٌّ أبا بكر في خصيصةِ العمل لِوَجهِ الله، فلو كان النَسْخُ بيدِ ابنِ العَرَبيّ، أو كانَ وَقْفاً على رأيِهِ؛ لكانتْ هذه الآية منسوخة.

ومذهبُ ابْن العَرَبِيّ يقضي بِنَسخِها، حينَ لم يذكرْها، ولم يُشِرْ إليها.

ومن هاهُنا قُلنا: إنّما أُتِيَ من عداوته لأمير المؤمنين عليه السلام لأنّه لو كانَ من أهل الولاية الصحيحة، والعقيدة السليمة، لم يَتْرُكْ آيةً ليس بينها وبين ما ذكر، إلاّ الفواصل، فـ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ**﴾[3].

لقد تحمّلَ هذا الرجلُ من كراهة أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام ما يشهدُ بصدقِ حديثِ رسول الله صلى الله عليه وآله: **«يا عليُّ، لا يُحبُّكَ إلاّ مؤمِنٌ، ولا يبغضكَ إلاّ مُنافِقٌ»**[4] فحسبه ما احتقبَ، وإلى الله المُنقلَبُ.

---

(١) الإنسان: ٨-٩.

(٢) الإنسان: ١٠.

(٣) البقرة: ١٥٦.

(٤) مسند أحمد: ج١/ ٨٤ و٩٥ و١٢٨، حلية الأولياء: ج٤/ ١٨٥ بثلاثة طرق عن عديّ بن ثابت عن زرّ، ثمّ قال: هذا حديث صحيح متّفق عليه، كفاية الطالب: ج٢/ ١، وشرح ابن أبي الحديد: ج١٨/ ١٧٣.

واعلم إنّ هذه السورةَ بكمالِها لم يُشارِكْ في فَضْلها أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام [أَحَدٌ].

والأصل في نُزُولها أَنّ الحَسَنَ والحُسَيْنَ عليهما السلام مَرِضا، فعادَهُما رسولُ الله صلى الله عليه وآله في ناس معهُ، فقالُوا: يا أبا الحسن! لو نذرتَ على ولدكَ، فنذرَ عليٌّ وفاطمةُ وفِضّةٌ جاريةٌ لها: إنْ بَرِءَا مِمّا لَهما أَنْ يَصُومُوا ثلاثةَ أيّام، فَشُفِيا، وما مَعَهُمْ شيءٌ، فاستقرضَ عليّ عليه السلام من شمعون الخيبَريّ اليهوديّ ثلاثةَ أصْواع من شعير، فطحنتْ فاطمةُ عليها السلام صاعاً، فاختبزَتْ خمسةَ أقراص على عددهم، فوضعُوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائلٌ فقال: السلامُ عليكم أهلَ بيتِ مُحمّد، مسكينٌ من مساكين المُسلمين، أطْعِمُوني أطْعَمَكُم اللهُ من موائد الجنّة، فآثَرُوهُ، وباتُوا لم يَذُوقُوا إلاّ الماء، وأصبَحُوا صياماً، فلمّا أمْسَوا وَضَعُوا الطعامَ بين أيديهم، وقف عليهم يتيمٌ، فآثَرُوهُ، و وقف عليهم أسيرٌ في الثالثة، ففعَلُوا مثلَ ذلك، فلمّا أصبحوا أخذَ عليٌّ عليه السلام بيد الحسن والحسين، وأقبَلُوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا أبْصرَهُم وهُم يرتعِشُون كالفِراخ من شِدّةِ الجُوع، قال: **«ما أشَدَّ ما يَسُوْنِي مِمّا أَرَى بكم»**!؟.

فقامَ وانطلقَ معَهُم فرأى فاطمةَ في مِحرابِها قد التَصَقَ بَطنُها بِظهرِها، وغارَتْ عيناها، فساءَهُ ذلك، فنزلَ جبريلُ صلوات الله عليه وقال: «خُذْها هَنَّأكَ اللهُ في أهلِ بيتِكَ» وأَقْرأَهُ السُورةَ[1].

فهذهِ هي الفضيلةُ التي اجتهد ابْن العَرَبِيّ في ستر شُمُوسِها وأقمارِها، وبالَغَ في طمسِ معالِمِها وآثارِها، ورَغِبَ في تحريف صَرِيحِها، واجتهدَ في تضعيف

---

(١) شواهد التنزيل: ج٢/ ٢٩٩، ومناقب ابن المغازلي: ٢٧٢، وأُسد الغابة: ج٥/٥٣٠، والعمدة لابن البطريق: ص٤٠٧-٤١٠/ ح٥٩٧، ورواه الحاكم النيسابوري في مناقب فاطمة الزهراء عليها السلام: ص١٠٠/ ح١٣٣.

صحّتها، وقال: إنّ عليّاً إنّما تصدّقَ مخافةَ الجحيمِ، ورغبةً في النعيم، لا لوجهِ اللهِ العزيزِ العليمِ[١].

ونَسِيَ، بل تَناسَى، ما نَزَلَ من الذكر الحكيم، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[٢] إلى آخر الآيات.

فانظرْ إلى ما خصّهم اللهُ به من هذه الدرجات الرفيعة، والفضائل الجليلة والآيات العظيمة، جمعَ اللهُ من فضلهم خير فضلهم بين الثناء عليهم والبشرى لهم، وأخبرَ عن قُلُوبهم بما أَكَنَّتْهُ من العمل لوجهِهِ، والخوف من معادِهِ، وبَشّرهُم بوقايَتِهِ لهم شرَّ ذلكَ اليوم، وإنّه يُلَقِّيهم فيهِ نظرةً وسُروراً، فهُمُ الآمِنون يومَ يَخافُ العبادُ، والموصوفُون بِالنضارةِ والسُرورِ يومَ الفزعِ الأكبرَ، واسْوِدادِ الوُجُوهِ في المَعادِ، فأيُّ فضل أكبرُ من هذا؟.

---

(١) وقد حكى اللهُ في كتابه المُبين عن أنبيائه المرسلين ما يلزم ابْن العَرَبِيّ أن يكون حطّاً في قدرهم، ونقصاً في أمرهم؛ حيث قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ ونظيرُ هذه الآية كقوله تعالى: ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ وغير هذه الآيات. والله أعلم. وقال تعالى آمراً لنبيّهِ محمّد ﷺ في سورة الأنعام: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وكقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وغيرذلك.

(٢) الإنسان: ٥-١٢.

وأمّا قول ابْن العَرَبِيّ أنّ أبا بكر كان يقول: «أَقِيْلُوْنِي» فيرغَبُ عنها، وغيرُهُ يرغبُ فيها، ودافَعَ عنها، واقتصر على القليل من النِساء، وغيرُهُ تَزَوّجَ واشترى ما ظَهَرَ لهُ الأولاد منهُ والأموال.

فالجوابُ عليه: يظهرُ بِالكلام في مطلبين:

الأوّل: في الفرق بين عليٍّ عليه السلام وبين أبي بكر في الخلافة حتّى كان أبو بكر يستقِيلُها، وعليّ عليه السلام لا يستقيلها.

والثاني: في بيان من تزوّج من النساء وملكَ من الإماء، والإشارة إلى ما ذَكَرَ من الأموال، وإزالة ما توهّمه ابْن العَرَبِيّ في ذلك من الاعتراض.

أمّا المطلب الأوّلُ
وهو في الفرق في ذلك

فالفرق أنّ بيعة أبي بكر كانت فَلْتَةً[1] وَقَى اللهُ شرَّها ـ كما قال عُمَرُ ـ مَنْ عادَ إلى مثلِها فاقْتُلُوهُ[2].

وكان أبو بكر ضعيفاً عن تحمّل الخلافة، فكان يطلبُ فيها الإقالةَ.

وهذا الّذي جعله ابْن العَرَبِيّ في أبي بكر مَدْحاً، قد جعل في أبي بكر قَدْحاً، وهو من أقوى ما طعن به عليه، ونحنُ نذكرُ جملةً من ذلك.

قال ابن أبي الحديد ـ رحمه الله تعالى ـ: خطب أبو بكر فقال: أيّها الناس، إنّي وليتُكُم ولستُ بخيرِكُم[3].

وفي بعضها: وليتُ عليكم ولستُ بخيرِكُم، فإنْ أحسنتُ فأعينُوني، وإن أسأتُ فقوّموني، ألا وإنَّ لي شيطاناً يَعْتريني، فإذا غضبتُ فاجتَنِبُوني لا أواثِرُ في أشعارِكُم وأبْشارِكُم[4].

---

(١) «الفَلْتة»: أمر يقع عن غير رويّة ولا تدبّر. نهج البلاغة: ٦٥٢ فهرس الألفاظ الغريبة المشروحة. أقول: ويلزم هُنا الإشارة إلى كلامه ﷺ في أمر البيعة: «لم تكن بيعتكم إيّاي فَلْتَةً، وليس أمري وأمركم واحداً، إنّي أُريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم، أيّها الناسُ، أعينوني على أنفسكم، وأيمُ اللهِ لأنصفنّ المظلومَ من ظالِمِهِ، ولأقودنّ الظالمَ بخزامته، حتّى أوردهُ منهلَ الحقّ وإنْ كان كارهاً» ـ نهج البلاغة، من كلامه ﷺ برقم ١٣٦ : ص١٩٤ـ.

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ج٢/ ٢٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد: ج١٧/ ١٥٩.

(٤) شرح ابن أبي الحديد: ج١٧/ ١٥٩.

ومن جملة ما نسب إلى أبي بكر قوله: أَقِيْلُوْنِي البيعةَ[١].

قال قاضي القضاة: ومن جملة ما طعن به، وما يحذّرُ من نفسه، ومن يقول: «أَقِيْلُوْنِي» بعدَ دُخُولِه في الإمامة، معَ أنّهُ لا يحلُّ للإمام أنْ يقول: «أَقِيْلُوْنِي البيعةَ»[٢].

وقد أجاب قاضي القضاة: فإنّه كَنّى بالشيطان عن الغضب. قال: و أمّا ما روي من إقالة البيعة، فهو خبرٌ ضعيفٌ، وإنْ صحّ فالمراد به التنبيهُ على أنّه لم يبالِ لأمر يرجعُ إليه[٣].

واعترضه السيّدُ المُرتضى بأنّ هذه صفةُ مَنْ لا يملكُ نفسَهُ، ولا يضبطُ غضبَهُ، ومن هو في نهاية الطيش والحدّة والخرق والعجلة.

قال: ولا خلافَ أنّ الإمامَ يكونُ مُنزّهاً عن هذه الأوصاف، غير حاصل عليها[٤].

قال المَرْتَضى:

وأمّا خبرُ استقالة البيعة، وتضعيف قاضي القُضاة له، فهو ـ أبداً ـ يُضعّفُ ما لا يُوافقُهُ، من غير حجّة يعتمدها في تضعيفه. وقوله: إنّه ما استقالَ على التحقيق، وإنّما نَبّهَ على أنْ لا يُبالي بخروج الأمر عنه، وأنّه غير مكرِه لهم عليه؛ بعيدٌ عن الصواب، لأنّ ظاهر قوله: «أَقِيْلُوْنِي» أمرٌ بالإقالة، وأقلّ أحواله أن يكونَ عَرْضاً لها وبَذْلا، وكلا الأمرين قبيحٌ[٥].

(١) شرح ابن أبي الحديد: ج١/ ١٦٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ج١٧/ ١٥٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد: ج١٧/ ١٥٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد: ج١٧/ ١٥٦.

(٥) شرح ابن أبي الحديد: ج١٧/ ١٥٧.

قال المُرتضى: ومتى عَدَلْنا عن ظواهر الكلام بلا دليل؛ جَرَّ ذلك علينا ما لا قِبَلَ لنا بِهِ[١].

قال ابن أبي الحديد: أمّا قول أبي بكر: «وليتُكم ولستُ بخيركم» فقد صَدَقَ عند كثير من أصحابنا، لأنّ خيرَهم عَلِيُّ بن أَبي طالِبﷺ ومن لا يقولُ بذلك؛ يقولُ ما قال هَضْماً لِنَفسِهِ[٢].

وأَمّا قوله: «إنّ لي شيطاناً يعتريني» فأراد بذلك الغضبَ، وسَمّاهُ شيطاناً على طريقة التوسّع[٣].

وأَمّا قوله: «هذه صفةُ طائِش[٤] لا يملكُ نفسه» فلَعَمري: إنّ أبا بكر كان حَديداً، وقد ذكره عُمَرُ بِذلك، وذكره غيرُهُ من الصحابة بالحِدَّة والسُرعة[٥].

قال ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى: ولكن، لا بحيثُ تبطلُ به أهليّتُهُ للإمامةِ[٦].

وأَمّا الكلام في قوله: «أَقِيْلُوْنِي» فلا مطعنَ فيه، لأنّه يجوزُ للإمام أن يستقيلَ من الإمامة، كما يجوزُ للقاضي أن يستقيلَ من القضاء بعد تولّيه إيّاهُ ودخوله فيه، لِعُذْر يعرفُهُ من حال نفسه، أو من حال رعيّتهِ[٧].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد: ج١٧/ ١٥٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ج١٧/ ١٥٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد: ج١٧/ ١٥٨.

(٤) كذا في المصدر: ص١٦١ وقد سبق في ص١٥٦ نقل هذه العبارة عن السيد المرتضى بلفظ (صفة من لا يملك) فلاحظ.

(٥) شرح ابن أبي الحديد: ج١٧/ ١٦١.

(٦) شرح ابن أبي الحديد: ج١٧/ ١٦١.

(٧) شرح ابن أبي الحديد: ج١٧/ ١٦٣.

وقد حذفنا اعتراضات المُرتضى لِتطويله فيها وتدقيقه، ولأنّها غير مرادة لنا، لأنّ مقصودنا بيانُ ما كان عليه أبو بكر من مطلب الإقالة، وأنّ ابْن العَرَبِيّ عَدَّ ذلك مَدْحاً، وغيرُهُ عدّهُ قَدْحاً.

وأَمّا حال عليٍّ عليه السلام في خلافته، وما به فارَقَ أبا بكر في خلافته، فذلكَ معلومٌ لكلّ منصف، وظاهرٌ لكلّ مُسترشد، وقد صنّف أربابُ المقالات كُتُباً في القائلين بإمامتِهِ[1] ومنهم من فِرَق كثيرة خرجتْ بالغُلُوّ فيه عن الحدّ، وتجاوزتْ فيه الغايةَ.

وقد قال عليه السلام: «يهلكُ فيّ رجلان: مُحبّ غال، ومبغضٌ قال»[2].

والقائلون بصحّة إمامته عليه السلام فرق إماميّةٌ، وزيديّة، ومعتزلةٌ، وجبريّة.

فأمّا الإماميّة؛ فيقولون: بالنصّ الجليّ.

وأَمّا الزيديّة؛ فيقولون: بالنصّ الخفيّ[3].

وأَمّا المعتزلة؛ فيقولون: بالعقد والاختيار، ويختلفون في التفضيل، كما ذكرناه في أوّل الكتاب.

---

(١) انظر: البروج في أسماء أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام للمؤلّف (رحمه الله) حرف الجيم «جمّ الفضائل» رقم ٤٤ وذكرنا في الهامش عن كتاب: «أهل البيت عليهم السلام في المكتبة العربيّة» للعلاّمة المرحوم الطباطبائي فبلغ بها (٨٥٦) عنواناً.

(٢) فضائل الصحابة: ج٢/ ٥٧١/ ح٩٦٤.

(٣) أقول: قد ذكر الأُصوليّون في معنى النصّ: هو الكلام الّذي لا خفاء في دلالته، فكيف يصف الزيديّة «النصّ» بقولهم: «الخفيّ» فإنّ الكلام إذا كان نصّاً فلا خفاءَ فيه، وإذا كان فيه «خفاءٌ» فهو لم يكن «نصّاً». هذا وذكر الإمام الرازي في كتابه (المحصول في علم أصول الفقه: ج١/ ٢٠١): البحث الرابع: في أنّ اللفظ المشهور المتداوَل بين الخاصّة والعامّة، لا يجوز أن يكون موضوعاً لمعنى خفيٍّ لا يعرفُه إلاّ الخواصُّ.

وقال ابن حزم في (الإحكام في أُصول الأحكام): النصُّ هو اللفظ الوارد في القرآن أو السنّة المستدلّ بهِ على حكم الأشياء، وهو الظاهر في نفسه.

وأمّا الجبريّة؛ فيقولون: بأنّه رابع الخلفاء في إمامته وفضله.

وقد أجمع هؤلاء الفرقُ ـ على تبايُنِهم في العقائد، واختلافِهم في المذاهب ـ على صحّة إمامته، فكلٌّ منهم يروي خصاله وثبوت استقامته.

وكان يقول عليه السلام: **«سَلُوني قبلَ أنْ تفقدُوني، فواللهِ ما من آيَة نزلَتْ من السماءِ إلاّ وأنا أعلَمُ في مَنْ نَزَلَتْ وفي أيِّ حين نَزَلَتْ»**[1].

وقال عليه السلام ـ وقد قال له بعض أصحابه: لقد أعطيتَ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ الغَيْبَ!

فَضَحِكَ عليه السلام وقالَ ـ: **«ليسَ هُوَ بِعلمِ غَيْب، وإنّما هُوَ تعلّمَ من ذي عَلْم، وإنّما الغَيْبُ علمُ الساعة، ويُنزّلُ الغيث، ويعلَمُ ما في الأرحامِ، فهذا عِلْمُ الغيبِ الّذي لا يَعْلَمُهُ أحَدٌ إلاّ اللهُ، وما سِوى ذلك فعِلْمٌ علّمَهُ اللهُ نبيَّهُ صلى الله عليه وآله فَعَلّمَنِيهِ، ودَعا لِي بأنْ يَعِيَهُ صَدْري، وتَضْطَمَّ عليه جوانِحي»**[2].

وقال عليه السلام: **«أمّا بعدُ، أيّها الناسُ! فأنا فَقَأْتُ عينَ الفِتنةِ، ولمْ يكنْ لأحَد ليَجتَرِئَ عليها غيري، بعدَ أن ماجَ غَيْهَبُها واشتدَّ كَلَبُها، فاسألُوني قبلَ أنْ تفقدُوني، فوالذي نفسي بِيَدِهِ لا تسألُوني عن شيء بينَكم وبينَ الساعةِ، ولا عن فِئَة تهدي مِائَةً وتُضِلُّ مِائَةً إلاّ أنبأتُكُمْ بناعِقِها وقائِدِها**

(١) الاستيعاب: ج٣ / ١١٠٤.

(٢) نهج البلاغة، من كلامه عليه السلام برقم ١٢٨: ص١٨٦.

وسائِقِها، ومَناخِ رِكابِها ومَحطِّ رِحالِها، ومنْ يُقتَلُ من أهلِها قَتلا، ومَن يموتُ منهم مَوتاً.

ولَئِنْ فقدْتُموني ونَزَلَتْ كرائِهُ الأمور، وحوادِثُ الخُطُوب، لأطرق كثيرٌ من السائلين، وفَشَلَ كثيرٌ من المسؤولين»[١].

وفي كلام له ﷺ يذكر فيه رسول الله ﷺ: «ولقد أخبَرَني بِنَجاةِ مَن يَنْجُو وبهَلاكِ مَن يَهْلَكُ، وما تَرَكَ شَيئاً يَمُرُّ على رأسي إلاّ أفْرَغَهُ في أُذُنيَّ، ولو شِئْتُ لأخبرتُ كلَّ واحد منكم بِمَوْلِجِهِ ومَخْرَجِهِ، ولكنْ أخافُ أنْ تَكْفُرُوا فيَّ بِرَسُول الله ﷺ»[٢].

ومن كلام له ﷺ يذكر قيامَهُ بأمور الخلافة: «فقمتُ بِالأمر حينَ فَشِلُوا، وتَطَلّعتُ حينَ تَقَبّعُوا، ومضيتُ بِنُور الله حينَ وَقَفُوا، وكنتُ أخفضَهُم صَوتاً، وأعلاهُم فَوْتاً، فَطِرتُ بعِنانِها، واستَبْدَدْتُ بِرِهانِها، كالجَبَلِ لا تُحَرِكُهُ القواصِفُ، ولا تُزِيلُهُ العَواصِفُ، لم يكُنْ لأحَد فِيَّ مَهْمَزٌ، ولا لِقائِل فِيَّ مَغْمَزٌ. الذليلُ عندي عزيزٌ؛ حتّى آخُذَ الحقَّ لَهُ، والقويُّ عندي ضعيفٌ؛ حتّى آخِذَ الحقَّ منه»[٣].

ومن كلام له ﷺ: «والله، ما كَتَمْتُ وَشْمَةً، ولا كَذِبْتُ كذبةً، ولقد نُبِّئتُ بِهذا المَقامِ وهذا اليومِ»[٤].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٩٣: ص١٣٧.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة برقم ١٧٥: ص٢٥٠ قريب منه.

(٣) نهج البلاغة، كلام رقم ٣٧: ص٨٠.

(٤) نهج البلاغة، كلام رقم ١٦: ص٥٧.

ومن كلامه ﷺ: «**بنا اهتديتُمْ في الظَّلماء، وتَسنَّمتُم العَلياء، وبنا انْفَجَرتُم عن السِرار**»[(١)].

حتّى قال: «**أقمتُ لكم على سُنَنِ الحقّ، وفي جَوادِّ المَظلّةِ حيثُ تلتقُونَ ولادليلَ، وتحتَفِرُونَ ولا تُميهُونَ.**

اليومَ أُنطِقُ لكم العَجْماوات ذاتَ البيانِ! عَزَبَ رأيُ امْرِىءٍ تَخلّفَ عنّي! ما شَكَكْتُ في الحقّ مُذْ رأيتُهُ»[(٢)].

ومن كلامه ﷺ: «**وإنّ معي لَبَصيرتي، ما لَبّستُ على نَفْسي، ولا لُبّسَ عَلَيّ**»[(٣)].

ومن كلامه ﷺ: «**فواللهِ، ما زِلْتُ مَدْفُوعاً عن حَقّي، مُستأثَراً عَلَيّ، مُذْ قَبَضَ اللهُ نَبِيّهُ حتّى يومِ الناسِ هذا**»[(٤)].

ومن كلامه ﷺ: «**فعليَّ ضامِنٌ لِفَلَجِكُم آجِلا إنْ لم تَمْنَحُوهُ عاجِلا**»[(٥)].

لم يشكّ ﷺ في عاقبة أمره ويضطربْ في عاجلة حاله، بل هو من البصيرةِ على حقيقة، ومن السلامة له ولمن اتّبعه على وثيقة، حتّى ضمن لأصحابه الفَلَجَ في الأجلِ إنْ لم يمنحوه في العاجل.

وكم نذكر من محاسن كلامه ﷺ والتفرقة بينه، وبين أبي بكر في أحواله وأقواله؟!.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٤: ص٥١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٤: ص٥١.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٠: ص٥٤ وكلام رقم ١٣٧ ص١٩٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد: ج٩/ ٣٠٦، و ج١٠/ ٢٨٦.

(٥) نهج البلاغة الخطبة رقم ٢٤: ص٦٦.

أبو بكر على فضله لا ينهضُ إلى هذه الربوةِ العاليةِ، ولا يرتقي هذه الرُتبةِ السامية في إخباره في الغائبات.

وما أُثِرَ عنهﷺ من اقتصاص الملاحم والحادثات، وما به خصّهُ رسولُ اللهﷺ بالمعجزات، حتّى قالﷺ: «لولا أنّه يخافُ أن يكفروا فيهِ برسول اللهﷺ لأخبر كلّ واحد منهم بِمَولجهِ ومخرجهِ وعاقبةِ أمرهِ وما يكون من حالهِ»[١].

وهذه مرتبةُ النُبُوّة، وخصّهُ رسولُ اللهﷺ منها بما لم يخصَّ بهِ أَحَداً.

ومَنْ تصفّحَ كلامهﷺ على معنى قول النبيّ ﷺ: «أَنْتَ مِنّي بِمَنزِلةِ هارُونَ من مُوسى إلاّ أنّهُ لا نبيَّ بعدي»[٢].

ولو تعرّضنا[٣] لشرح ما ذكرناهُ من كلامه ﷺ ونبّهنا عليه من مرتبته الشامخةِ الأعلام، لطالت بنا الأرسانُ، ولغلبَ الإحسانُ موقع الاستحسان، ولكن لكلّ مقام مقالٌ.

والقصدُ الإشارةُ إلى الفرق ـ بين الرجلين ـ في الأقوال والأحوال.

وشتّان بين من يطلبُ الإقالة بضعفه، وبين من يقول: **«واللهِ، لو تظاهَرَتِ العَرَبُ على قِتالي لما ولّيتُ عنها، ولو أمكنَتِ**

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٧٠: ص٢٥٠ قريب منه.

(٢) تاريخ دمشق: ج١/ ٣٠٧ و ٤٢٨، محاسن الأزهار: ٤٢٤، كفاية الطالب: ٢٨١-٢٨٧. وانظر البروج للمؤلّف: ٢٦٧.

والحديث متواترٌ عن النبيّ ﷺ، وقد عدّه جمع ممّن أورد الأحاديث المتواترة في المتواترات. انظر: لقط اللآلي المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي: ٣٣ الحديث الخامس، قال: رواه من الصحابة عشرة. ويجد الباحث الحديث مرويّاً عن أكثر من عشرين صحابياً في ما جاء في الحديث رقم ٣٣٦ وما بعده من ترجمة أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ ﷺ من تاريخ دمشق: ج١/ ٣٠٧ بتحقيق المحمودي.

(٣) كذا في الثانية، ولكن في الأولى: ولو معرضاً.

الفُرَصُ من رِقابها لَسارَعْتُ إليها»[1]. وقوله: **«أنا وَضَعْتُ بِكلاكِلِ العَرَبِ، وكَسَرْتُ نواجِمَ قُرُونِ رَبِيعةَ ومُضَرَ»**[2].

وكم بين من يقول: **«أَقِيْلُوْنِي البيعةَ»** وبين من يقول: **«أنا فَقَأْتُ عينَ الفِتْنَةِ، ولم يكنْ لأَحَد ليجتَرِىءَ عليها غَيري»**[3].

وقوله: **«أنا ورسولُ الله ﷺ بِمنزلةِ الصِنْوِ من الصِنْوِ، والذِراع من العَضُدِ»**[4]. **تاللهِ، لقد عُلِّمتُ تبليغَ الرِسالاتِ وإتمامَ العِداتِ وتمامَ الكَلِماتِ، وعندَنا ـ أهلَ البيت ـ أبوابُ الحِكَمِ و ضِياءُ الأَمْرِ»**[5].

وقال: **«فوالله الّذي لا إله إلاّ هو إنّي لَعَلى جادة الحقّ وانّهم لعلى منزلة الباطل»**[6].

وأين أبو بكر من قوله ﷺ: **«أيّها الناسُ! لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصياني، ولا تتراموا بالأبصار عند ما تسمعونه منّي، فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّ الّذي أُنَبِّئُكم به عن النَبِيّ الأُمّي ﷺ ما كذب المبلّغ، ولا جهل السامع»**[7].

---

(١) نهج البلاغة الكتاب رقم ٤٥: ص٤١٨.

(٢) نهج البلاغة الخطبة القاصعة رقم ١٩٢: ص٣٠٠.

(٣) نهج البلاغة الخطبة ٩٣: ص١٣٧.

(٤) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٤٥: ص٤١٨، باختلاف.

(٥) نهج البلاغة، كلام رقم ١٢٠: ص١٧٦.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٩٧: ص٣١٢.

(٧) نهج البلاغة الخطبة ١٠١: ص١٤٧.

وقال عليه السلام: «إنّي لَعَلَى بَيِّنة من رَبّي، ومِنهاج من نَبِيّي، وإنّي لَعَلى الطريقِ الواضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً»[١].

وقال عليه السلام: «أَلَمْ أَعْمَلْ فيكمْ بِالثِقْلِ الأكْبَر، وأَتْرُكْ فيكم الثِقْلَ الأصغر! وركزتُ فيكم رايَةَ الإيمان، ووقّفْتُكُم على حُدُودِ الحلالِ والحرامِ، وأَلْبَسْتُكُم العافِيةَ من عَدْلي وأفرشْتُكُم المعرُوفَ من قولي وفعلي، فأَرَيْتُكُم كَرائِمَ الأخلاقِ من نَفْسي»[٢].

وقال عليه السلام: «واللهِ، ما أَسْمَعَكُمُ الرسولُ ﷺ شيئاً إلاّ وها أنا ذا مُسْمِعُكُمُوهُ، وما أسماعُكُمْ اليومَ بِدُونِ أَسْماعِكُمْ بِالأَمْسِ»[٣].

وقال عليه السلام: «أنَا حَجِيجُ المَارِقِينَ، وخَصِيمُ المُرتابِينَ»[٤].

فهذهِ محاسنُ شريفةٌ، ومراتِبُ عاليةٌ مُنيفةٌ، وعلومٌ في الدين منقسمةٌ، لم يتّصفْ أبو بكر منها بِسِمَة، ولم يكن له من رَمْلِ عالِجها سِمْسِمةٌ.

وقد ذكرنا هذهِ الكلماتِ إشارةً إلى الفرق بين عليٍّ عليه السلام وأبي بكر؛ في أنّ عليّاً لم يقل: «أَقِيْلُوْنِي» لأنّه لم يعلم من حاله إلاّ الكمالُ الراقي على قِمّة الإمامةِ والصلاحِ المُنقسم من ذاتِ النُبُوّةِ، والعِلمِ النابِعِ من عينِ الرِسالةِ، والفضلِ الصاعِدِ إلى سماءِ العبادةِ الموسُويّةِ، والعمل المُحَلّق في أجواء الزَهادة العِيْسَوِيّة، والشجاعة الّتي بذلها الأقرانُ، والولاية الّتي نطق به القرآنُ.

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٩٧: ص١٤٢.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٨٧: ص١٢٠.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٨٩: ص١٢٢.

(٤) نهج البلاغة، كلام رقم ٧٥: ص١٠٣.

أيريدُ ابْن العَرَبِيّ أن يطلبَ الإقالة ممّن اتّصف بهذه الصفات ؟!

أم يريدُ أن يقول: «إنّ لي شيطاناً يعتريني»؟! مَن اتَّسَمَ بهذهِ السماتِ، لقد تاهَ ضَلالا، وَفَاهَ مَحالا، وقال زُوراً، وارتَكَبَ مَحذُوراً.

وفي تَعَب مَنْ يَحْسُدُ الشمسَ نُورَها وَيَجْهَـدُ أنْ يـأتِيْ لَهـا بِضَـرِيْبِ[1]

وأَمّا قوله: إنّ أبا بكر كان يرغَبُ عنها، وغيرُهُ يرغَبُ فيها.

فقولٌ باطلٌ، وكلامٌ عن الصدق عاطِلٌ؛ لأنّ أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ لم يرغَبْ في الخلافةِ كرِغْبَةِ أبي بكر، بل قَعَدَ في دارِهِ، ولّما قُبِضَ رسولُ اللهﷺ اشتَغَلَ بُجهازِهِ، وأبو بكر قامَ في تَحْصِيلِها وقَعَدَ، وجَدَّ في تَقَمُّصِها واجتَهَدَ.

فمَنِ الراغِبُ فِيها، والراغِبُ عنها؟! مَن اعْتَزلَها وهو أَحَقُّ بِها؟ أمْ مَن تَلَبَّسَ بِها وهو بعيدٌ عنها؟

ومصداقُ ما ذكرناه قولُ عليّ عليه السلام:

«واللهِ، لقدْ تَقَمَّصَها ابنُ أبي قُحافَةَ[2] وإنّهُ لَيَعْلَمُ أنّ مَحَلِّيَ مِنها مَحَلُّ القُطْبِ مِن الرَحَا»[3].

حتّى قال: **«فَصَبَرْتُ وفي العينِ قَذَى وفي الحَلْقِ شجاً، أَرَى تُراثِيَ نَهْباً»**[4].

---

(١) ديوان المتنبيّ: ٢٢. من موسوعة الشعر العربيّ.

(٢) لم يذكر الدكتور صبحي الصالح لفظة: ابن أبي قحافة في النهج الّذي ضبط نصّه وإنّما ذكر مكانها لفظة: «فلان»، وهذا من تحريفاته الكثيرة، راجع ص٤٨ من نهج البلاغة، الخطبة رقم ٣ وهي المعروفة بالشقشقيّة.

(٣) شرح ابن أبي الحديد: الخطبة رقم ٣ وهي المعروفة بالشقشقية: ج١/ ١٥١.

(٤) شرح ابن أبي الحديد: الخطبة رقم ٣ وهي المعروفة بالشقشقية: ج١/ ١٥١.

حتّى قال في آخرها: «أما ـ والّذي فَلَقَ الحَبّة، وبَرَأَ النَسمَةَ ـ لولا حُضُورُ الحاضِرِ، وقيامُ الحُجّة بِوُجُودِ الناصِرِ، وما أَخَذَ اللهُ على العُلماءِ أنْ لا يُقارُّوا على كِظّةِ ظالِمٍ ولا سَغَبِ مظلوم، لأَلْقَيْتُ حَبْلَها على غارِبِها، ولَسَقَيْتُ آخِرَها بِكَأْسِ أَوَّلِها، ولأَلْفَيْتُمْ دُنياكُم هذِهِ أَزْهَدَ عِندي من عَفْطَةِ عَنْزٍ»[1].

ومن كلام له عليه السلام ـ لمّا أراده الناس على البيعة بعد قتل عُثمان ـ: «دَعُوني والْتَمِسُوا غَيرِي، فإنّا مُستَقبِلُونَ أمراً لَهُ وُجُوهٌ وألوانٌ، لا تَقُومُ لَهُ القُلُوبُ، ولا تَثْبُتُ عليهِ العُقُولُ، وإنّ الآفاقَ قد أغَامَتْ، والمَحَجّةُ قد تَنَكّرَتْ. واعلَمُوا أنّي إنْ أجَبْتُكُم رَكِبْتُ بِكُمْ ما أعْلَمُ، ولمْ أُصْغِ إلى قَولِ القائِلِ، وعَتَبِ العاتِبِ، وإنْ تَرَكْتُمُوني فأنَا كَأَحَدِكُم، و لَعَلّي أَسْمَعُكُم وأَطْوَعُكُم لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُم، وأنَا لَكُمْ وَزِيراً، خَيْرٌ مِنّي لكَمُ أَمِيراً»[2].

فهل هذا الكلام مِنْ زِيادة في رَغْبَتِهِ عليه السلام عَنها؟

أينَ ابْن العَرَبيّ عن هذا الكلام؟!

وهل يُعِدُّ مَنْ قالَ هذا القولَ راغباً فيها، أم راغباً عنها؟!

ومن كلام له عليه السلام قاله، بعد أن قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وجاءَهُ العبّاسُ (رضي الله عنه) وأبو سُفيان بن حرب، في أنْ يُبايعاهُ في الخلافة:

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٣ المعروفة بالشقشقية: ص٤٨-٥٠.

(٢) نهج البلاغة، الكلام رقم ٩٢: ص١٣٦.

«أيّها الناس! شُقُّوا أمواجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النَجاةِ، وعَرِّجُوا عن طريق المُنافَرَةِ، وضَعُوا تِيجانَ المُفاخَرَةِ، أفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَناحٍ، واستَسْلَمَ فأراحَ، مَاءٌ آجِنٌ، ولُقْمَةٌ يَغُصُّ بِها آكِلُها، ومُجْتَنِي الثَمَرَةِ لِغيرِ وَقْتِ إِيناعِها؛ كالزارِعِ بِغيرِ أرْضِهِ.

فإنْ أَقُلْ؛ يَقُولُوا: حَرَصَ على المُلْكِ، وإنْ أسْكُتْ؛ يَقُولُوا: جَزَعَ من المَوْتِ!.

هيهاتَ ـ بعدَ اللّتَيّا والّتي ـ والله، لابنُ أبي طالب آنَسُ بالموتِ من الطِفلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلْ، انْدَمَجْتُ على مَكْنُونِ عِلْمٍ لو بُحْتُ بِهِ لاضْطَرَبْتم اضْطِرابَ الأرْشِيَةِ في الطَوِيِّ البَعيدَةِ»![1].

وكيفَ يُعَدُّ مَن قالَ هذا القولَ راغِباً في الخِلافَةِ، ومُتهافِتاً فِيها!؟.

ولا يُعَدُّ مَن جَمَعَ المُهاجِرينَ والأنْصارَ في سَقِيفةِ بَنِي ساعدة، وطالَبَهُم في البيعةِ لَهُ، راغِباً في الخلافة؟ ولا مُحِبّاً لَها؟ ولَهُ فِيها الخطبُ والطَلَبُ؟!

وتعدّى الأمرُ إلى أنْ أُكْرِهَ ﷺ على البيعةِ، وقال في ذلك:

«فَنَظَرْتُ فإذا لَيسَ لِيَ مُعِينٌ إلاّ أهلَ بَيْتِي، فَضَنِنْتُ بِهِمْ عن الموتِ! فأغْضَيْتُ على القَذَى، وشَرِبْتُ على الشَجَا، وصَبَرْتُ على أَخْذِ الكَظْمِ، وعلى أمَرَّ مِن طَعْمِ العَلْقَمِ»[2].

---

(١) نهج البلاغة الخطبة رقم ٥ : ص٥٢.

(٢) نهج البلاغة الخطبة رقم ٢٦ : ص٦٨.

ولو شرحنا هذه الألفاظ، وأبرزنا كنائزَ الكلامِ، في هذه الأحوال، لانْبَسَطَ الكلامُ، وكَلّتْ رواسِمُ الأقلامِ، والقصد الإشارةُ إلى بُطلانِ كلامِ ابْنِ العَرَبِيّ في أنّ عَلياً عليه السلام رَغِبَ في الخلافة!! وأبو بكر رَغِبَ عَنها![1].

ومن كلامه عليه السلام في زهده عن الخلافة قوله لابن عبّاس ـ وقد دخل عليه بذي قار، وهو يخصفُ نعلَهُ؛ فقالَ لَهُ ـ: «وما قِيمَةُ هذِهِ؟» فقال: لا قيمةَ لَها، فقال عليه السلام: «واللهِ، لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِن إِمْرَتِكُم إلاّ أَنْ أُقِيمَ حَقّاً، أَوْ أَدْفَعَ باطِلا»[2].

فهل يُسمّى هذا راغباً فيها؟ أمْ راغباً عنها؟

ومن كلامه عليه السلام في هذا الباب: «فَخَشِيتُ ـ إنْ لمْ أَنْصُرِ الإسلامَ وأَهْلَهُ ـ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أو هَدْماً، تكونُ المُصيبةُ بِهِ عَلَيَّ أعظمَ من فَوْتِ وِلايتكم التي نّما هيَ مَتاعُ أيّام قلائلَ، يزولُ منها ما كانَ، كَما يَزُولُ السَرابُ، أو كَما يَتَقَشَّعُ السَحابُ»[3].

ونعود إلى تمام الكلام في المطلب الثاني.

---

(١) أقول: راجع نفس المصدر بعد صفحات عند ذكر علي عليه السلام تلاحظ التهافت.

قال في عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٥١ قال: وأمّا منزلته في الزهد فإلى الغاية، فإنّه لم يطلب الإمامة ولا نازع فيها حتّى صارت إليه حتّى عدّ ذلك أهل الجهالة من أتباعه أنّه فعل ذلك تقية، وإنّما فعله اعراضاً عن الدنيا، فلمّا قتل عثمان لم يسعه القعود، الخ.

(٢) نهج البلاغة الخطبة رقم ٣٣: ص٧٦.

(٣) نهج البلاغة الكتاب رقم ٦٢: ص٤٥١.

وأمّا المطلب الثاني

وهو في بيان من تزوّج عليه السلام من النساء وملك من الإماء والردّ على ابْن العَرَبِيّ في ذلك

فأمّا أزواجُه عليه السلام:

فتزوّج بعد فاطمة عليها السلام عدّةً من النساء:

أوّلُهُنّ أُمامَة بنت أبي العاص ابن الربيع، وهي بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أوصت إليه فاطمةُ عليها السلام بذلك.

وتزوّجَ عليه السلام أسماء بنت عُمَيْس.

وتزوّجَ أُمّ البَنِين بنت حرام بن خالد بن ربيعة.

وتزوّجَ أُمّ سعيد بنت عُروة بن مسعود الثقفيّ.

ونَكَحَ عليه السلام خولة بنت إياس بن جعفر، وهي أُمّ محمّد ابن الحنفيّة.

وتزوّجَ ليلى بنت مسعود النهشليّة، من تميم.

ونَكَحَ عليه السلام سَبِيّةً من بني تغلب يُقال لها: «الصَهْباء» في خلافة أبي بكر، وإمارة خالد بن الوليد بعين التَمْر.

وهيهنا فائدةٌ وهي معرفة أولاده عليه السلام وإن كان ذلك كالخارج عمّا نحن فيه، لّما ذكرنا أزواجه رأينا أنْ نلحق ذلك بذكر أولاده.

فأمّا الحَسن والحُسين وأُمّ كلثوم الكبرى وزينب الكبرى فأُمّهم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأَمّا محمّد، فأُمّه خولة بنت أياس، الحنفيّة.

وأمّا أبو بكر وعبد الله، فأُمّهما ليلى بنت مسعود، النهشليّة.

وأمّا عمر ورقيّة، فأُمّهما الصهباء وهي سبيّةٌ من بني تغلب، أخذها في خلافة أبي بكر كما قدّمناه، ولم يكن له منها ولدٌ في ما ذكره ابن أبي الحديد، ومثلها خولة بنت أياس، الحنفيّة، كانت سبيّةً، حيث ارتدّ بنو حنيفة في خلافة أبي بكر.

وأمّا يحيى وعون، فأمّهما أسماء بنت عميس، الخثعميّة، وكانت من قبل زوجة أبي بكر، وهي أُمّ ولده محمّد ابن أبي بكر(١).

وأمّا جعفر والعبّاس وعبد الله وعبد الرحمن، فأُمّهم أُمّ البنين.

وأمّا رملة، وأُمّ الحَسن، فأُمّهما أُمّ سعيد بنت عروة.

وأمّا أُمّ كلثوم الصغرى، وزينب الصغرى، وجُمانة، وميمونة، وخديجة، وفاطمة، وأُمّ الكرام، ونفيسة، وأُمّ سلمة، وأُمّ أبيها، وأمامة، فَهُنّ لأمّهات أولاد شتّى.

هذه فائدةٌ، آثرنا ذكرها.

إذا فرغنا من هذا، فلنرجع إلى الجواب على ابْن العَرَبِيّ فنقول: قد ذكرتَ أنّ أبا بكر اقتصر على القليل من النساء، وغيره تزوّجَ، واشترى ما ظهر له الأولادُ منه، والأموال.

فقد ذكرنا الزوجات والأولاد، وأشرنا إلى السراري، وأيُّ حَرَج على أَمِير المُؤْمِنِيْنَ في ذلك ؟! أو أيُّ نقص يلحقُهُ في ما هنالك؟!

وقد تزوّجَ رسول الله ﷺ خديجة، وسودة، وعايشة، وحفصة، وميمونة (وزينب بنت خزيمة، وأُمّ سلمة، وزينب بنت جحش، وأُمّ حبيبة، وجويرية، وصفيّة)(٢) هؤلاء زوجاتُه ﷺ اللاّتي تُوُفِّيَ عنهُنّ.

---

(١) زاد في الأولى: (وكانت قبل أبي بكر زوجةً لجعفر بن أبي طالب، وهاجرت معه إلى الحبشة).

(٢) ما بين القوسين ليس في الأولى، وموضعه بياض بقدره.

وأمّا من تُوُفّيَ منهُنّ في حال حياته ﷺ واختلف فيهنّ ممّن بنى بها وفارقها، أو عقد عليها ولم يدخل بها، أو خطبها، ولم يتمّ له العقد، فقد اختلف فيهنّ اختلافاً كثيراً، يوجب التوقّف عن القطع بالصحّة في واحدة منهنّ.

وقد ذكرنا ذلك مبسوطاً في كتاب «الطرازين المعلمين في شرح المفاخرة بين الحرمين».

فإذا ثبت ما قُلناه، فقد قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**﴾[1].

فعليّ عليه السلام اقتدى برسول الله ﷺ وقد قال ﷺ: «حُبِّبَ إليَّ من دُنياكُم ثلاثٌ: النساءُ، والطِيبُ، وقُرّةُ عَينيَ الصلاةُ»[2] «والأعمال بِالنيّات ولِكُلِّ امْرِىء ما نَوَى»[3].

فليرجع ابْن العَرَبيّ في اعتراضه القهقرَى:

أَطْـــرِقْ كَـــرَا، أَطْـــرِقْ كَـــرَا   إنّ النعـــــــامَ بِـــــــالقرى[4]

ثمّ نعودُ إلى تمام ما ذكره من مَنازل الفضائل قال:

وأمّا تنزيلُ الناس منازلهم؛ فقد كان النَبيّ ﷺ ينزل أبا بكر وعمر منزلةَ الوزير والجليس والصاحب، وقدّم عليّاً للدفع والذَبِّ، وقدّمَ أبا بكر للصلاة، وأمر بسدّ الأبواب الّتي كانت شارعةً إلى المسجد إلاّ باب أبي بكر، واختصّهُ بالصُحبة في الهجرة، فكان مُعَرَّضاً له في الغار والطريق إلى ما كان عليّ مُعَرَّضاً له ليلة واحدةً...، إلى آخر ما ذكره.

---

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) كنز العمّال: ج٧/ ٢٨٨/ ح١٨٩١٣، وموسوعة أطراف الحديث النبوي: ج٤/ ٥٢١.

(٣) صحيح البخاري: ج١/ ٣/ ح١، وموسوعة أطراف الحديث النبوي: ج٣/ ٥١٣.

(٤) في اللسان (طرق): يضرب مثلاً للمعجب بنفسه، كما يقال: «فغُضَّ الطَرْف».

فنقول:

أمّا قولك: أنّ النبيّ ﷺ كان يُنزّل أبا بكر وعمر منزلةَ الوزير والجليس والصاحب.

فأراكَ سَكَتَّ عن عليّ عليه السلام ماذا كان منزلُهُ؟ ولم تذكر لهُ عليه السلام هيهنا منزلةً، وطرحتَهُ من هذا الفضل، ومحوتُ اسمَهُ من هذا الفضل، وأردتُ تعمية حالِهِ، وتعفية محلّهِ، لأنّك شرفتَ بعداوته، وعميتَ عن منزلتِهِ، فلم يُمكِنْكَ أن تقولَ: وكان ينزّل عليّاً عليه السلام منزلةَ النفس، والأخ، ومنزلةَ هارون من موسى، لأنّ اللهَ جعلهُ له نَفْساً بآيةِ المُباهَلَةِ[١] والنبيّ ﷺ جعلهُ أخاً بحَديث المؤاخاةِ[٢] وحديثِ المنزلَةِ[٣].

والأخُ أفضلُ من الصاحبِ، والنفسُ أحبُّ من الوزيرِ.

وقد جمع اللهُ لأمير المؤمنين ما لم يجمعهُ لأحَد من أصحاب النبيّ ﷺ لأنّه نفسُهُ بِنصّ القرآن، وأخُوهُ بِنصّهِ ﷺ وابنُ عمّهِ، وختنُهِ، وصاحبُهُ، ووزيرُهُ، وسيفُهُ، وبابُ مدينةِ علمهِ، ووصيُّهُ، ومنجزُ وعدِهِ.

ولَنا على كُلّ شيء ممّا ذكرناه دليلٌ[٤] ولنا فيه تفصيلٌ، ومحله الفصل الثالث

---

(١) آية ٦١ من سورة آل عمران: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾.

(٢) انظر الاستيعاب: ج١٩٨/٢، فرائد السمطين: ج١١٦/١، تنبيه الغافلين: ٥٨، المناقب للخوارزمي: ١٧، شرح ابن أبي الحديد: ج١٣/ ٢٢٩، محاسن الأزهار: ١٠٥، البروج: ٤٢.

(٣) تقدّم حديث المنزلة وعدّه الزبيدي في كتابه لقط الأخبار من المتواترات.

(٤) راجع كتاب البروج في أسماء أمير المُؤمِنينَ عليه السلام للمؤلّف «نفس رسول الله ﷺ» رقم ١٤٠، و«أخو رسول الله ﷺ» رقم ٦، و«ختن رسول الله ﷺ» رقم ٦٧، و«باب المدينة» رقم ١٧، و«الوصي» رقم ١٣١.

الّذي ذكرناهُ، ولابدّ من الإشارة إلى ذلك كلّه بما يحتمله هذه الاختصار إنْ شاء الله تعالى.

وإنّما أردنا هيهنا التنبيهَ على عداوةِ ابْن العَرَبيّ حين تغافل عن منزلة عليّ عليه السلام ولم يجعلْ له حظّاً في هذه الفضيلة، لا جعلهُ وزيراً، ولا جليساً، ولا نفساً، ولا أخاً، ولا صاحباً، ولا وصيّاً، ولا ختناً، ولا قريباً.

ولكنّه قال: «كان يأمُرُهُ بالدفع والذبّ» معناهُ جعله جُنديّاً، وصاحب قتال لا غير.

وما أحسنَ هيهنا ما قاله عليه السلام:

«يَهلكُ فيَّ صنفانِ من الناس: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ؛ يذهبُ به الحبُّ إلى غير الحقّ، ومُبْغِضٌ يذهبُ بهِ البغض إلى غير الحقّ، وخيرُ الناسِ فيَّ حالا النَمطُ الأوْسَطُ؛ فالزَمُوهُ»[1].

جعلنا اللهُ ممّن لزمهُ والتزمهُ، وابنُ العَرَبيّ ممّن ذهب به بُغضهُ إلى غير الحقّ، فلقاهُ الله عملَهُ.

وأمّا قوله: «إنّ النَبيّ صلى الله عليه وآله كان يقدّمُ عليّاً للدفع والذبّ».

فنعم، قدّمه يومَ خيبر على أبي بكر وعمرَ، بعد إن رجع أبو بكر منهزماً، براية رسول الله صلى الله عليه وآله فخطبَ عليه السلام وقال: «لأُعطِيَنَّ الرايَةَ غداً رَجُلا يُحِبُّهُ اللهُ ورسُولُهُ، ويُحِبُّ اللهَ ورسُولَهُ، كرّارٌ غيرُ فرّار»[2].

فتطاوَلَ لهُ الناسُ فأصبحُوا يتعرّضُون برسول الله صلى الله عليه وآله رجاءَ أنْ يُعْطِيَها أحَداً منهُم.

فأَخَذَ صلى الله عليه وآله الرايَةَ فهزَّها وقالَ: «مَنْ يَأخُذُها بِحَقّها؟».

---

(١) نهج البلاغة الكلام رقم ١٢٧: ص١٨٤.

(٢) الخصائص للنسائي: ٣٤-٤٦، الحديث ١١-٢٢.

فجاء فلانٌ، فقال: «أَمِطْ[١]».

ثمّ جاء آخر فقال: «أَمِطْ».

ثمّ قال: «والّذي كَرَّمَ وَجْهَ مُحمّد صلّى الله عليه لأُعْطِيَنَّها...»[٢].

ثمّ سَرَدَ الحديثَ.

قال عُمَرُ: فما أحببتُ الإمارةَ إلاّ يومئذ، فتطاولتُ لَها واستشرفتُ رجاءَ أن يدفعها إليَّ.

ثمّ قال ﷺ: «ادْعُوا لِيَ عَلِيّاً» وكان أَرْمَدَ، فأَعطاهُ الرايةَ و بَصَقَ في عينيه[٣] فلمْ يَشْكُ بعدَها رَمَداً. ومَضى بِها أبو الحسن، ففتحَ اللهُ على يديه، وقتلَ مَرْحَباً، وآبَ براية رسُول الله ﷺ مَنصُوراً لا مَهْزُوماً، وقاتِلا لا مقتُولا، وفالاً لا مفلُولا، ومَحْبوراً لا مغمُوماً[٤].

فانظر! أيُّ الرجلين أفضلُ؟ أَمَنْ رَجَعَ بِراية رسول الله ﷺ مكسورةً؟ أَمْ مَنْ رَجَعَ بِراية رسول الله ﷺ مَنْصوراً ؟

وقد قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ﵇: في هذا الموقف هذه الأبيات، أحببنا إيداعَها؛ لِحُسنها وبَرَاعَتِها، قال ﵇:

قد عُرِّفُوا طُرُقَ التقديمِ لَوْ عَرَفُوا ... لَكِنَّهُمْ جَهِلُوا والجَهْلُ ضَرّارُ

سارُوا بِرايَتِهِ فاسْتَرْجُعوا هَرَباً ... والخَيْلُ تَعْثَرُ والأبْطالُ فُرّارُ

---

(١) في الأولى: «امض» هُنا وفي ما يلي.

(٢) فضائل الصحابة: ج٢/ ٦١٧/ ح١٠٥٤، والعمدة لابن البطريق: ١٨٧-٢٠٥ ومن ح ٢١٦-٢٥٨.

(٣) مسند أحمد: ج٢/ ٣٨٤، وفضائل الصحابة: ج٢/ ٦٠٢/ ح١٠٣٠.

(٤) انظر: البروج في أسماء أَمِير المُؤْمِنِيْنَ ﵇ للمؤلّف: ٢٣٥ «فاتح خيبر» رقم ٢١٢.

حتّى إذا اشْتَدّ وَجْهُ الفَتْحِ واخْتَلَجَتْ ... خَـواطِرُ مِـن بَنِـي الـدُنيا وأَفْكـارُ
نـادَى أَبَـا حَسَـن مُـوْفِي مَواعِـدِهِ ... ضُحىً وقَدْ شَخَصَتْ فِي ذاكَ أَبْصارُ
فجـاءَ كاللّيْـثِ يَمشِـي خَلْـفَ قائِـدِهِ ... إذْ كـانَ فِـي عَيْنِـهِ ضُـرٌّ وإعْـوارُ
فمـجَّ فِيهـا بِرِيْـق طَعْمُـهُ عَسَـلٌ ... و رِيْحُـهُ المِسْكُ لَـمْ يَفْضُضْـهُ عَطّارُ
وقـالَ خُـذْها و صَـمِّمْ يـا أَبَـا حَسَـن ... فكـانَ فَـتْحٌ وبـاقِي النـاسِ صُـدّارُ[1]

وهذه القضية مشهورةٌ وفي كتب الصحاح مأثورةٌ[2] ونحنُ نُشيرُ إليها في الفصل الثالث بمشيّة الله سبحانه.

فانظرْ إلى كلام ابْن العَرَبِيّ وقوله: «كان يقدمه للدفع والذبّ» لم يزدْ على هذا، وأراد بذلك وضعَهُ؛ فكأنّما رَفَعَ بِيدِهِ إلى السماء.

و أمّا قوله: كان يُقدّمُ أبا بكر للصلاة[3].

فهذا إنْ سلّمناهْ ليس فيه دليلٌ على تفضيله على أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ، لأنّ رسول الله ﷺ ترك عليّاً والعبّاس معه يُمرِّضانهِ ويقومانِ بِمصالحِهِ، واختصّهما لنفسهِ، وقَرَنَ صلاتهما بِصلاته، وميّزهُما من غيرهما من المسلمين، ولم يؤم أبا بكر عليّاً، كما سيأتي بيانه.

ولّما قال ﷺ: «مُرُوا أبا بكر فليُصِلِّ بِالناس» قالت عائشة: إنّ أبا بكر رجلٌ أسيفٌ؛ لا يسمعُ الناسُ صوتَهُ من شدّة بُكائه في الصلاة، فهمتْ أنّه ﷺ إنّما

---

(١) محاسن الأزهار: ١٦٥.

(٢) صحيح البخاري: ج٤/٥٣ و ٦٠، و ج٥/١٨ و ١٣٤، صحيح مسلم: ج٥/١٩٥، و ج٧/١٢١، ومسند أحمد: ج٢/٣٨٤، فضائل الصحابة: ج٢/٦٠٢/ح١٠٣٠، وانظر العمدة لابن البطريق: ص١٧٨/ح١٩٥ و ص١٨٧/ح٢١٦.

(٣) عارضة الأحوذي: ج٩ / ١٤٦.

أَمَرَ أبا بكر لِيُصلّيَ بِالناس، لا لأنّهُ أفضلُهم، ولا لأنّهُ دَلَّ على خلافتهِ بِتقدِيمِهِ لِلصلاة؛ كما يذهب إلى ذلك بعض الفقهاء.

ولو فهمتْ عائشة ـ على وُفُور عقلها وشدّة ذكائها ومَحبّتها لِخلافة أبيها ـ أنّه قصدَ ذلك ما رَضِيَتْ أحَداً أن يكونَ أَحَقَّ بِهِ من أَبيها.

والمعلومُ أنّها راجَعَتْ الرسولﷺ في ذلك مِراراً حتّى قال: «أنتُنّ صواحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أبا بكر؛ فليُصَلِّ بِالناسِ» وعندَهُ عليٌّ والعبّاسُ لم يخرجا من عندهﷺ ولا قدّمَ أبا بكر عليهما، بلْ اتّخذَهما نَفْساً وأَخَاً، وهذا عَمّاً وأَبَاً، وكانَﷺ لا يأمَنُ أن تفيضَ نفسُه الشريفةُ في تلك الحال، فلم يأمُرْ أحدَهما بالصلاةِ في المسجد، لا إماماً، ولا مأمُوماً، بل وقفهما عنده.

ولّما رأىﷺ الخروج إلى المسجد ـ بعدَ تقدّم أبي بكر ـ خرجَ مُتّكياً عليهما، هذا عن يمينه وهذا عن يساره.

قالت عائشة: خرجَﷺ يتهادى بين رجلين: العبّاس وآخر معه، ولم تفصحْ بعليٍّ، وذلك لِما كان في قلبها عليه.

والرواياتُ بهذا مُتظاهرةٌ في كتب الصحاح[1] أعني أنّ رسول اللهﷺ خرجَ في مرضه يتهادى بين عليٍّ والعبّاس، حتّى أحسّ أبو بكر بخروج رسول اللهﷺ وتأخّر عن المحرابِ، على ما ذلك معروفٌ في مواضعه.

ولّما خرجَ رسول اللهﷺ والناسُ يُصلّون بِصلاة أبي بكر، فكانَ أبو بكر مُبلّغاً لصلاة رسول اللهﷺ على صفة المؤاذَنَةِ في الجوامع الكِبار، وكان ذلك يومَ الاثنين في صلاة الفجر، وقُبِضَ في ضُحى يومه رسولُ اللهﷺ.

---

(١) صحيح البخاري: ج١/١٧٥، ومسند أحمد: ج٦/٣٤/ح٣٢٦٨، والسيرة النبوية: ج٤/٢٩٨.

وصفةُ خُروجه ﷺ وهو يتهادى بين عليٍّ والعبّاس أمرٌ معلومٌ مشهورٌ، لا يمكن أحَدَاً دفعُهُ.

وإذا كانَ الأمرُ كذلك؛ فلا دليلَ في تقدّم أبي بكر للصلاة، لأنّ عليّاً ﷺ شغلَ بِما هو أعظمُ منها، وهو يُمرّضُ رسولَ الله ﷺ والوقوف في أمره، وكان شَرْعاً، كما فعل ﷺ يومَ خرجَ إلى بني قُرَيْظة، وقد قال ﷺ: «مَن كان يؤمِنُ بِالله واليوم الآخر فلا يصلّيَنَّ العصرَ إلاّ في بني قُرَيظة» فما صلاّها ﷺ إلاّ بعدَ ذهاب ثُلُثِ الليل وصلاّها أَداءً لا قَضاءً، لأنّ أمرَهُ ﷺ يقتضي أن يكونَ شرعاً نبويّاً[1].

ومثله في توقيفهِ لِعليّ ﷺ معهُ مُمرِّضاً لَهُ، وليَحْضَرُهُ إنْ فاضَتْ نفسُهُ الشريفةُ، أو ليخرجَ متّكياً عليهِ وعلى عمّه كلّ ذلك جائزٌ ممكنٌ أن يكونَ مراداً له ﷺ.

فحصلَ من هذا أنّ أبا بكر لم يقدّم على أَمِيرِ المُؤْمِنِيْنَ ﷺ في الصلاة، بل قدّمَهُ على من كان في المسجد من المسلمين، وإلاّ لزم أن يكونَ مقدّماً على رسول الله ﷺ ويكون بذلك أفضلَ منهُ، والمعلومُ خلافُ هذا.

وبعدُ؛ فكلُّ عاقل يعلمُ من شاهد الحال وقرائنهِ في تلك الساعة أنَّ رسولَ الله ﷺ لم يقصدْ بتقديم أبي بكر التفضيلَ لهُ على عليّ ﷺ والاختيارَ لهُ دونه، لوجهين:

أحدُهما: ما أشرنا إليه من توقيفهِ لهُ بِحضرتهِ، ونظمه لِصلاته بِصلاته، وبصفته فيها بِصفته.

الثاني: أنّ تقديمه أبا بكر، وخُرُوجه بعدَ ذلك كالعزلِ لهُ من ولاية الصلاة.

---

(۱) راجع البروج في أسماء أَمِير المُؤْمِنِيْنَ ﷺ للمؤلّف: ۱۳۸.

والتفضيلُ الحقيقيّ في انتزاع النبيّ ﷺ لِسورة (براءة) بأَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام بعدَ مسير أبي بكر بِها، وتوليته عليها، ومسيره المراحل المُتعدّدة رسولا بتبليغها، يعرفُ كلُّ مُنصف أنّه قصدَ يومَ انتزعَ منه براءةَ بِعَليٍّ عليه السلام تفضيلَه بذلك على أبي بكر؛ لأنّه أمرٌ ظاهرٌ، بخلاف هذا؛ فإنّه قد جعل ﷺ عليّاً معهُ اختصاصاً به، وتقريباً له، وحاجةً إليه.

وأقلُّ أحوال صلاة الجماعة السُنّة والاستحباب، على حسب الخلاف في ذلك، فلولا اختصاصُ عليّ عليه السلام بالوقوف مع رسول الله ﷺ لأَمَرَهُ بِالخروج معَ أبي بكر للصلاة خلفَهُ، إن لم يقدّمه عليه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[1] فلو استغنى ﷺ عن وُقُوف عليّ عليه السلام معه لأمرهُ بِالصلاة إمّا إماماً، وإمّا مأموماً، فدلنا تركُهُ معهُ، وعدمُ خرُوجهِ لِلصلاة معَ أبي بكر على ما ذكرناه، وحينئذ لا فضلَ لأبي بكر على عليّ عليه السلام بتولية الصلاة، وأمره بالتقدّم فيها.

فأمّا فضلُهُ بِذلك على سائر الناس؛ فصحيحٌ لأنّه خيرة العشرة من الصحابة البررة، بعد عليّ عليه السلام فاعرف ذلك.

وفي هذه المسألة كلامٌ طويلٌ، واعتراضاتٌ واقعةٌ من السيّد المرتضى استجادَها ابنُ أبي الحديد ـ رحمه الله تعالى ـ وقد أعرضتُ عن ذكرها لأنّه أوردها في بُطلان الاستدلال بصلاة أبي بكر على إمامته.

وابن العَرَبيّ لم يُوردها على الإمامة دليلا، وإنّما أوردها استدلالا منه على تفضيل أبي بكر على عليّ عليه السلام وقد بيّنا ما ينبغي ذكره في ذلك.

وأمّا قوله: «إنّ النبيّ ﷺ أمر بسدّ الأبواب كلّها إلاّ باب أبي بكر».

---

(١) طه: ١٣٢.

فالروايةُ الصحيحة عندَنا أنّ الرسولَ ﷺ أمَرَ بِسدّ الأبواب كلّها إلاّ بابَ عليّ عليه السلام وقد أوردها عليه السلام في حديث المُناشدة، وروايات العترة النبوية وأتباعها من الفرقة الزيديّة أنّ الأبواب كلّها سُدّت إلاّ بابُهُ عليه السلام[1].

ومن مُسند الإمام الحافظ أحمد ابن حنبل (رضي الله عنه) ـ في حديث سدّ الأبواب ـ: إنّ رسول الله ﷺ قال يوماً: «سُدُّوا هذه الأبواب إلاّ باب عليّ».

فتكلّمَ في ذلك أُناسٌ، قال: فقام رسول الله ﷺ فحمدَ الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «أمّا بعدُ، فإنّي أُمِرْتُ بِسدّ هذه الأبواب إلاّ باب عليّ عليه السلام فقال فيه قائلُكُم، واللهِ، ما سَدَدْتُ شيئاً ولا فتحتُهُ، ولكنّي أُمِرْتُ بِشيء فأتّبَعْتُهُ»[2]، ثمّ كَرَّرَهُ بِأسانيد ثلاثاً أو أربعاً، في بعضها زياداتٌ من أبي بكر وعمر والعبّاس، وكلّ شيء من ذلك دليلٌ على مزيّة الاختصاص، و وجوب الإقرار بالتقدّم؛ لأنّه لا ينبغي للأُمّة أنْ تُخرج من أدخلَهُ اللهُ ورسولُه ﷺ وميّزهُ على الكافّةِ من خُلاصة أصحابه.

ومن مناقب الفقيه ابن المغازليّ الشافعيّ الواسطيّ، رواهُ بإسناده قال: خرجَ رسولُ الله ﷺ من المسجد، فقال:

«إنّ اللهَ أوحى إلى نَبِيِّهِ مُوسى عليه السلام أنْ ابْنِ لِيَ مسجداً طاهِراً لا يَسكُنُهُ إلاّ مُوسى وهارون وابنا هارون، وأنّ الله أوحى إليَّ أن ابن لي مسجداً لا يسكنهُ إلاّ أنا وعليٌّ وأبناءُ عليّ»[3].

(١) مسند أحمد: ج١/ ١١٩/ ح٦٣-٦٦، والعمدة لابن البطريق: ٢٢٥-٢٣٤ والأحاديث ٢٨٠-٢٩٦، والرسالة النافعة للإمام المنصور في المطبوع من المجموع المنصوري: ج٢/ ٤٣٧.

(٢) مسند أحمد: ج٤/٣٦٩، صحيح الترمذي: ج٢/٣٠١، حلية الأولياء: ج٤/١٥٣، كفاية الطالب: ٢٠٤.

(٣) مناقب ابن المغازلي: ص٢٥٢/ ح٣٠١.

فقد رأيتَ المُشابهة بينَ عليّ وهارون وابنا هارون. وفي هذا الخبر دليلٌ على ما قُلنا من سدّ أبواب الصحابة، دون بابه.

وقد أفرد لهذا الحديث صاحب كفاية الطالب، وهو الفقيه الحافظ محمّد بن يوسف الكنجيّ رحمه الله تعالى باباً في كتابه لهذا الحديث، فقال: الباب الخمسون في تخصيص عليّ عليه السلام في فتح بابه عندَ سدّ أبوابِ سائرِ الصحابةِ[1] فأورد في ذلك كلاماً كثيراً بأسانيد ذكرها وبيّنها، لا يتّسع هذا الكتاب لذكر شيء منها.

وقد ذكر هذا الحديث الترمذيّ في جامعه، ورواه عن ابن عبّاس[2].

وأمّا قول ابن العَرَبيّ: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله اختصّ أبا بكر بالصُحبة وكان مُعَرَّضاً في ليالي الغار والطريق إلى ما كان عليّ عليه السلام مُعَرَّضاً له ليلةً واحدةً.

فأقول: أمّا صحبة الهجرة: فقد فاز بها أبو بكر لا كلام في ذلك، ولكن اختصّ عليّ عليه السلام بتفضيله بتبليغ ما كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله من الودايع بِمَكّة، وكان نفسُه لا تطيبُ بِغيره لِردّها على أهلها، واختارَ لها عليّاً دونَ الصحابة والقرابة، إذْ كانَ عندَه بِمنزلة نفسِه الشريفةِ، ولولا ذلك ما فارقَ رسول الله صلى الله عليه وآله في سفره ولا حضره؛ فإنّهُ عليه السلام لم يفارق النبيّ صلى الله عليه وآله إلاّ في مواطن ثلاثة، وفي بعضها قال صلى الله عليه وآله: «اللّهمّ لا تُمتني حتّى تُرِيَني عَليّاً»[3] وفي هذا غايةُ التفضيل لأمير المؤمنين، والحبّ الشديد له عليه السلام:

أحدُها: في سفره إلى المدينة مُهاجراً.

---

(١) كفاية الطالب: ٢٠٠.

(٢) صحيح الترمذي: ج٢/ ٣٠١.

(٣) صحيح الترمذي: ج٢/٣٠١، كفاية الطالب: ١٣٤، مناقب ابن المغازلي: ص١٢٢/ح١٦٠.

والثاني: في غزوة تبوك، وكلاهما بأمرهﷺ وثواب عليّ عليه السلام فيها كثواب مَن كان فيها معَ النَبيّﷺ وقته.

دليلُه أنّهُ عليه السلام ضرب لِعُثمان بن عفّان في غنائم بدر بمثل نصيب أهل بدر، لأنّهُ أقامَهُ بِالمدينة على تمريض ابنته رُقيّة رضي الله عنها، ومثله يوم الحُديبية، وقد بايع المسلمون رسول اللهﷺ وكان عُثمان بمكّة، فجعل يسارَهُ[1] لِعثمان حين غاب بمكّة عن أَمْرِهِ ﷺ.

فحصل ذلك أنّ وُقوف عليٍّ عليه السلام بمكّة حين هاجَرَ منها النَبيّﷺ كهجرتِهِ معهُ في القصد والثواب، لِعلّة الاشتراك في امتثال أمره النبويّ، والدُخُول تحت حكمه المصطفويّ.

والموطن الثالث: الّذي غاب فيه عن رسول اللهﷺ حين بعثه إلى اليمن مرّةً أميراً، ومرّةً قاضياً[2].

وأَمّا قول ابن العَرَبيّ: إنّ أبا بكر كان مُعَرَّضاً في ليالي الغار لمثل ما كان عليّ مُعَرَّضاً له ليلةً واحدةً.

فهذا من جملة بَهْتِهِ، وخروجه في الحقّ عن سَمْتِهِ: أنْ يجعل من نامَ على فراش رسول اللهﷺ قاصداً الفداءَ له، ووقايَتَهُ ومُنتظراً للقتل في حمايَةِ رسول اللهﷺ وكِفايَتِهِ؛ كمن سارَ مع رسول اللهﷺ وهو يقول عند قرائة آية: ﴿**لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا**﴾[3] وأيُّ حُزن أو خوف يُصيب أبا بكر أو يَلُمُّ بهِ بعد هذا

---

(١) في هامش الأولى: وقال ﷺ: «شمالي خير من يمين عثمان».

(٢) انظر حديث بعثه إلى اليمن أميراً: فضائل الصحابة: ج٣/ ٦٠٥/ ح١٠٣٥، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٧١، والاستيعاب: ج٣/ ١١٠٠.

(٣) التوبة: ٤٠.

القول، واللهُ يقول: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾[1].

وكيفَ يختلجُ قلبٌ بعدَ هذا القول، أو يرهق خوفٌ غِبَّ هذا الأمر؟

وعليٌّ عليه السلام بمكّة قد وَطّنَ نفسَه على الشهادة، وتوقّع زُهُوق الرُوح، وكمال السعادة.

ومَنْ قاسَ هذا بِليالي الغارِ، في أمن وقرار، وبُشرى صادعةِ الأنوار؛ فقد رَكِبَ مَتنَ العِناد، وبدّدَ بِمكابَرته في كلّ ناد!.

وأمّا ما ختَمَ بهِ كلامَه ابْن العَرَبيّ في التفضيل لأبي بكر بقوله:

فإذا نظرتَ إلى قلبهِ نظرتَهُ لَوذَعيّاً، وإنْ نظرتَ إلى قوله رأيتَهُ! أَحْوَذِيّاً، وإنْ نظرتَ إلى سيرته أَلْفَيتَهُ رَبّانيّاً، نسيجَ وحدِهِ، لا خَلَلَ في ما يُظهرُهُ من عنده.

فنقول:

أبو بكر ـ بحمد الله ـ فوق ما ذكره ابْن العَرَبيّ من الفضل والصلاح واللّوذعيّة والأحوذيّة وحسن السيرة وطيب السريرة!!؟؟ ونحنُ لا ننكرُ فضله، ولا ندفعُ ما رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيه.

ولكنْ؛ أمّا أنّهُ يفوقُ بذلكَ عليّاً عليه السلام كما يشيرُ كلامُ ابنِ العَرَبيّ، فغيرُ صحيح، بل هو منهُ افتراءٌ صريحٌ، وقد قدّمنا في ذلك الدلائل السابقة، وأوردنا ما هنالك الأقوال السابقة.

وإذْ قد نجزنا من الكلام على ابْن العَرَبيّ في ما رامَهُ من إشادته لقواعده المُنهارة، وفجّرنا من البيان في رَيّ النُفُوس أنهارَه، فجرى بِنا الانعطاف لتمام الكلام، وشفاء الأوام، بذكرِ ما وعدناهُ به من ذكر طُرَف من فضائل عليّ عليه السلام فنقول:

---

(١) النجم: ٣-٥.

وأمّا الفصلُ الثالثُ

في سيّد الوصيّين عليه سلام ربّ العالمين

وصحّة إمامته

فهذانِ رُكنانِ:

الركنُ الأوّلُ: في ذكر طرف من فضائله عليه السلام.

والثاني: في صحّة إمامته.

أمّا الركنُ الأوّلُ

في ذكر طرف من فضائله عليه السلام

فاعلم أنّ فضائله كرّم اللهُ وجهَهُ لا يُحيطُ بِها وصفُ الواصفين، ولا يستولي عليها رَصْفُ الراصفين، ولا يصلُ إليها علمُ العارفين؛ إذْ كانت، كما ورد مرفوعاً عن ابن عبّاس: لو أنَّ البحرَ مدادٌ، والغياضَ أقلامٌ، والإنسَ كتّابٌ، والجنَّ حُسّابٌ؛ ما أحْصَوا فضائلَ عَلِيّ بن أَبِي طالِب عليه السلام[1].

رواه الوالدُ المُرتضى بن المُفضّل في كتاب «البيان»[2].

ورواه الفقيه الفاضل محمّد بن يوسف الكنجي في كتابه «كفاية الطالب» بإسناده يرفعهُ إلى ابن عبّاس[3].

ورواه غيرُ واحد من علمائنا وساداتنا وأئمّتنا عليهم السلام وهو مرويّ من جهات كثيرة وطرق متعدّدة[4].

ورُوِّينا من طريق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه، عن أَمِير المُؤْمِنِيْنَ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّ اللهَ جعلَ لأخي عليٍّ فضائلَ لا تُحصى كثرةً، فمَنْ ذكرَ فضيلةً من فضائلِهِ مُقِرّاً بِها؛ غفرَ اللهُ لهُ ما تقدّمَ من ذَنْبِهِ،

---

(١) كفاية الطالب: ٢٥١-٢٥٢، محاسن الأزهار: ٦٤٩، وانظر البروج في أسماء أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام: ٢٤٤ للمؤلّف رحمه الله.

(٢) البروج في أسماء أَمِير المُؤْمِنِيْنَ: ٢٤٤.

(٣) كفاية الطالب: ٢٥١.

(٤) محاسن الأزهار: ٦٤٩.

ومَنْ كَتَبَ فضيلةً مِن فضائله؛ لم تَزَل الملائكةُ تستغفرُ لهُ ما بَقِيَ لِتلكَ الكتابةِ رَسْمٌ، ومَن استَمَعَ إلى فضيلة مِن فضائله؛ غَفَرَ اللهُ لهُ الذُّنوبَ الّتي كَسَبَها بِالاستماعِ، ومَن نَظَرَ إلى كتاب من فضائله غَفَرَ اللهُ لهُ الذُّنوبَ اكتَسَبَها بِالنَظَرِ»[١].

ثمّ قال: «النَظَرُ إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام عبادةٌ، وذِكْرُهُ عبادةٌ، فلا يقبلُ اللهُ إيمانَ عبد إلاّ بولايته، والبراءةِ من أعدائِهِ»[٢].

وفضائله عليه السلام لها طرقٌ كلّها صحيحةٌ، ممّا رواه المؤالِفُ والمُخالِفُ، وأجمعَ عليه الفرقُ والطوائفُ، وصنّفَ فِيها المعتزلةُ على انحرافهم، والزيديّةُ على إنصافهم، والإماميّة على غُلُوّهم واعتسافهم[٣] والسُنّةُ على تبايُنهم لاختلافهم.

وأنا أقتصرُ من الأحاديث النبويّة على اليسير:

فقد روى الإمامُ المنصور بالله عليه السلام في رسالته المسمّاة بـ«الرسالة النافعة» أنّ الأحاديث الّتي يختصّ بها عليٌّ عليه السلام من طرق الفقهاء ــ دون طرق أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم ـ ستمائة وخمسة وثمانون حديثاً[٤] قال عليه السلام:

من مسند ابن حنبل ماءةٌ وثمانية وسبعون حديثاً.

ومن صحيح البخاري تسعةٌ وثمانون حديثاً.

---

(١) كفاية الطالب: ٢٥٢.

(٢) كفاية الطالب: ٢٥٢، والعمدة لابن البطريق: ص٤٢٦/ح٦٤٠ و ص٤٢٧/ح٦٤١-٦٥٢.

(٣) أقول: نسبة الغُلُوّ والاعتساف إلى كُلّ الإماميّة، غير صحيح، فإنّ نسبة مثل هذا الغُلُوّ والاعتساف إلى غيرهم من الزيديّة والعامّة في أئمّتهم كثيرٌ إنْ لم يكن أكثر، ولكن كلّ هذا باطلٌ.

(٤) الرسالة النافعة للإمام المنصور بالله في المطبوع من المجموع المنصوري: ج٢/ ٣٩٦.

ومن صحيح مسلم أربعةٌ وثلاثون حديثاً.

ومن مناقب الفقيه المغازلي مائتا وخمسة وخمسون حديثاً.

ومن تفسير الثعلبيّ مائةٌ وخمسة أحاديث[1].

ومن الجمع بين الصحاح الستّة لرزين بن معاوية العبدري أحدٌ وأربعون حديثاً.

ومن كتاب الفردوس حديثٌ واحدٌ.

ومن رواية أبي نعيم المحدّث ممّا أخرجه من كتاب الاستيعاب حديثٌ واحدٌ.

ومن كتاب ابن مندة حديثٌ واحدٌ.

ومن كتاب الملاحم لأبي الحسن أحمد بن جعفر المنادي حديثٌ واحدٌ[2].

قال عليه السلام: فقد عيّنا لك مواضع هذه الأحاديث وكتبها لتطلبها فيها؛ فتعلم صدق الرواية عنها، إذْ هذه الكتب هي الّتي توجد في أيدي الأُمّة سبيلا إلى ربّها.

قال عليه السلام: ولَسنا نأتي على جميع الأحاديث، لأنّ ذلك لا يدخلُ تحت الإمكان في هذا المكان.

قال عليه السلام: وأمّا روايات الشيعة ـ على صحّة نقلها وقوّة أصلها ـ فقد أضربنا عنها في رسالتنا هذه؛ ليعمل العاقل بمقتضى عقله، ويسلّم الأمرَ لأهله، ويردّ الفرعَ إلى أصله... إلى كلام حذفناه، فانظر إلى ما اشتملتْ عليه كتب الفقهاء، ولو ذكرنا هذه الأحاديث الّتي ذكر مواضعها المنصور بالله عليه السلام[3] لكانتْ كُتُباً

---

(١) هذا السطر من الأولى.

(٢) الرسالة النافعة المطبوعة في المجموع المنصوري: ج٢/ ٣٩٧، وراجع كتاب العمدة لابن البطريق: ٥٢-٥٨.

(٣) الرسالة النافعة ضمن المجموع المنصوري: ج٢/ ٣٩٦ إلى ٤٤٧.

ومَنْ كَتَبَ فضيلةً مِن فضائله؛ لم تَزَل الملائكةُ تستغفرُ لهُ ما بَقِيَ لِتلكَ الكتابةِ رَسْمٌ، ومَن استَمَعَ إلى فضيلة مِن فضائله؛ غَفَرَ اللهُ لهُ الذُّنوبَ الَّتي كَسَبَها بِالاستماعِ، ومَن نَظَرَ إلى كتاب من فضائله غَفَرَ اللهُ لهُ الذُّنوبَ اكتَسَبَها بِالنَّظَرِ»[1].

ثمّ قال: «النَظَرُ إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام عبادةٌ، وذِكْرُهُ عبادةٌ، فلا يقبلُ اللهُ إيمانَ عبد إلاّ بولايته، والبراءةِ من أعدائِهِ»[2].

وفضائله عليه السلام لها طرقٌ كلّها صحيحةٌ، ممّا رواه المؤالِفُ والمُخالِفُ، وأجمعَ عليه الفرقُ والطوائفُ، وصنّفَ فِيها المعتزلةُ على انحرافهم، والزيديّةُ على إنصافهم، والإماميّة على غُلُوّهم واعتسافهم[3] والسُنّةُ على تبايُنهم لاختلافهم.

وأنا أقتصرُ من الأحاديث النبويّة على اليسير:

فقد روى الإمامُ المنصور بالله عليه السلام في رسالته المسمّاة بـ«الرسالة النافعة» أنّ الأحاديث الّتي يختصّ بها عليٌّ عليه السلام من طرق الفقهاء ـ دون طرق أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم ـ ستمائة وخمسة وثمانون حديثاً[4] قال عليه السلام:

من مسند ابن حنبل ماءةٌ وثمانية وسبعون حديثاً.

ومن صحيح البخاري تسعةٌ وثمانون حديثاً.

---

(١) كفاية الطالب: ٢٥٢.

(٢) كفاية الطالب: ٢٥٢، والعمدة لابن البطريق: ص٤٢٦/ح٦٤٠ و ص٤٢٧/ح٦٤١-٦٥٢.

(٣) أقول: نسبة الغُلُوّ والاعتساف إلى كُلّ الإماميّة، غير صحيح، فإنّ نسبة مثل هذا الغُلُوّ والاعتساف إلى غيرهم من الزيديّة والعامّة في أئمّتهم كثيرٌ إنْ لم يكن أكثر، ولكن كلّ هذا باطلٌ.

(٤) الرسالة النافعة للإمام المنصور بالله في المطبوع من المجموع المنصوري: ج٢/ ٣٩٦.

ومن صحيح مسلم أربعةٌ وثلاثون حديثاً.

ومن مناقب الفقيه المغازلي مائتا وخمسة وخمسون حديثاً.

ومن تفسير الثعلبيّ مائةٌ وخمسة أحاديث[١].

ومن الجمع بين الصحاح الستّة لرزين بن معاوية العبدري أحدٌ وأربعون حديثاً.

ومن كتاب الفردوس حديثٌ واحدٌ.

ومن رواية أبي نعيم المحدّث ممّا أخرجه من كتاب الاستيعاب حديثٌ واحدٌ.

ومن كتاب ابن مندة حديثٌ واحدٌ.

ومن كتاب الملاحم لأبي الحسن أحمد بن جعفر المنادي حديثٌ واحدٌ[٢].

قال عليه السلام: فقد عيّنا لك مواضع هذه الأحاديث وكتبها لتطلبها فيها؛ فتعلم صدق الرواية عنها، إذْ هذه الكتب هي الّتي توجد في أيدي الأُمّة سبيلا إلى ربّها.

قال عليه السلام: ولَسنا نأتي على جميع الأحاديث، لأنّ ذلك لا يدخلُ تحت الإمكان في هذا المكان.

قال عليه السلام: وأمّا روايات الشيعة ـ على صحّة نقلها وقوّة أصلها ـ فقد أضربنا عنها في رسالتنا هذه؛ ليعمل العاقل بمقتضى عقله، ويسلّم الأمرَ لأهله، ويردّ الفرعَ إلى أصله... إلى كلام حذفناه، فانظر إلى ما اشتملتْ عليه كتب الفقهاء، ولو ذكرنا هذه الأحاديث الّتي ذكر مواضعها المنصور بالله عليه السلام[٣] لكانتْ كُتُباً

---

(١) هذا السطر من الأولى.

(٢) الرسالة النافعة المطبوعة في المجموع المنصوري: ج٢/ ٣٩٧، وراجع كتاب العمدة لابن البطريق: ٥٢-٥٨.

(٣) الرسالة النافعة ضمن المجموع المنصوري: ج٢/ ٣٩٦ إلى ٤٤٧.

كثيرةً، فضلا عن الأحاديث الّتي يختصّ بروايتها أئمّة العترة النبويّة، وأتباعُها من علماء الزيديّة، فقد رَوَوا منها ما لا يأتي عليه العدّ، ولا يحصرُهُ الحَدّ، وفي ذلك كتبٌ مبسوطةٌ وتصانيفُ معروفةٌ.

والّذي نذكرُهُ هيهنا جملةٌ ممّا يرويه العلاّمة ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى، فمن ذلك ما رواه عند تعرّضه لشرح قوله عليه السلام:

«نحنُ الشِعارُ والأصحاب والخَزَنَةُ والأبواب، ولا تُؤتى البُيوتُ إلاّ من أبوابها، فمَنْ أتاها من غير أبوابها سُمّي سارِقاً»[1].

قال ابن أبي الحديد رحمهُ الله تعالى:

الشِعارُ: ما يلي الجسدَ من الثياب، فهو أقربُ من سائرها إليه، ومرادُهُ الاختصاصُ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والخَزَنَةُ والأبواب: يمكن أن يُريدَ به العلمَ وأبوابَ العلم، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابُها، فمَنْ أرادَ المدينةَ فَلْيأتِ البابَ».

وقوله فيه: «عليٌّ خازِنُ عِلمي». وقال تارةً أُخرى: «عيبةُ عِلمي».

ويُمكنُ أن يُريدَ به خزنةَ الجنّة، وأبوابَ الجنّة، أي لا يدخلُ الجنّةَ إلاّ من وافى بولايتنا، فقد جاء في حقّه الخبرُ الشايعُ المُستفيضُ: «إنّهُ قسيمُ الجنّةِ والنارِ».

وذكر أبو عبيد الهرويّ في (غريب الحديث): إنّ قوماً من أئمّة العربيّة فسّروهُ فقالُوا: لأنّهُ كان مُحبّهُ مِن أهلِ الجنّةِ، ومُبغضُهُ مِن أهل النار، كانَ بهذا الاعتبار قسيمَ الجنّة والنار.

قال أبو عبيد: وقال غيرُ هؤلاء: بل هُوَ قَسيمُها بنفسهِ في الحقيقة، يُدْخِلُ قَوماً إلى الجنّة، وقَوماً إلى النار.

---

(١) نهج البلاغة الخطبة رقم ١٥٤: ص٢١٥.

وهذا الّذي ذكره أبو عبيد أخيراً مُطابق للأخبار الواردةِ فيه، يقولُ للنار: «هذا إليَّ فدعيه، وهذا إليك فخذيه».

ثمّ ذكر: أنّ البيوتَ لا تؤتَى إلاّ من أبوابها. ثمّ قال: مَن أتاها مِن غيرِ البابِ سُمّيَ سارقاً.

وهذا حقّ ظاهراً وباطناً: فأمّا الظاهر، فمَن تَسَوّرَ البيوتَ من غير أبوابها؛ فهو السارق، وأمّا الباطن، فمَن طَلَبَ مِن غير أستاذ مُحقّق يأتيه من بابِه، فهوَ أشبهُ شيء بالسارقِ[١].

قال ابن أبي الحديد ﷺ: واعلمْ أنّ أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ ﷺ لو فَخَرَ بنفسه، و بالَغَ في تعديد مناقبه وفضائله بِفصاحتِهِ الّتي آتاهُ اللهُ إيّاها واختصّهُ بها، وساعَدَهُ على ذلك فُصَحاءُ العَرَبِ كُلّهم لم يَبْلُغوا إلى مَعْشارِ ما نَطَقَ بهِ الرسول ﷺ في أمره.

قال: ولَسْتُ أعني بذلك الأخبارَ العامّةَ الشايعةَ الّتي تَحْتَجّ بها الإماميّةُ على إمامته؛ كخبر الغدير، والمنزلة، وقصّة براءة، وخبر المُناجاة، وقصّة حُنَيْن، وخَيْبَر، وخبر الدار بمكّة في ابتداء الدعوة، ونحو ذلك من الأخبار الخاصّة رواها فيه أئمّةُ الحديث، الّتي لم يحصلْ منها أقلُّ القليل لغيره.

قال رحمه الله تعالى: وأنا أذكرُ من ذلك شيئاً يَسِيراً مِمّا رواهُ عُلماءُ الحديث الّذين لا يُتّهَمُون فيه، وكُلُّهم قائلون بِتفضيل غيرِهِ عليه، ورِوايتُهم فضائلَهُ تُوجب من سُكُون النفس ما لا يُوجبهُ من غيرهم[٢].

الخبرُ الأوّلُ:

«يا عليّ! إنّ اللهَ قد زَيّنكَ بِزينة لم يزيّن العباد بزينة أحبّ إليه منها وهي زينةُ الأبرارِ عندَ اللهِ تعالى، الزُهْدُ في

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩ / ١٦٥-١٦٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٦٦.

الدُنيا، جعلك لا تَرْزَأُ من الدُنيا شيئاً، ولا تَرْزَأُ الدُنيا منك شيئاً، ووَهَبَ لَكَ حُبَّ المساكين، فجعلك تَرْضَى بهم أتْباعاً ويَرْضَون بِكَ إماماً»[1].

رواه أبو نُعَيْم الحافظُ في كتابه المعروف بـ«حلية الأولياء» وزاد فيه أبو عبد الله أحمد ابن حنبل في «المسند»:

«وطُوبَى لمنْ أحبّكَ وصَدَقَ فيك، ووَيْلٌ لمنْ أبْغَضَكَ وكَذَبَ فيك»[2].

الخبر الثاني:

قال ﷺ لوفد ثقيف: «لَتُسْلِمُنّ أو لأبْعَثَنّ إليكم رَجُلا مِنّي - أو قال: عِدْلَ نَفْسي - فَلَيَضْرِبَنّ أعْناقَكم ولَيَسْبِيَنّ ذراريكم وليَأخُذَنّ أموالَكم».

قال عمر: فما تمَنّيتُ الإمارةَ إلاّ يومئذ، وجعلتُ أنصبُ له صدري رجاءَ أنْ يقولَ: «هُوَ هذا» (فالتفتَ فأخَذَ بيدِ عَليّ عليه السلام وقال: «هُوَ هذا»)[3] مرّتين.

رواه أحمد في «المسند»[4] ورواه في كتاب (فضائل عليّ عليه السلام) أنّه قال:

«لَتَنْتَهُنّ يا بني وليعة[5] أو لأبْعَثَنّ إليكم رَجُلا كَنَفْسي يُمْضي فِيكم أمْري، يَقتُلُ الْمُقاتِلةَ، ويَسْبي الذُريّةَ»؟

---

(١) حلية الأولياء: ج١/ ٧١، الاستيعاب: ج٣/ ٤٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/١٦٦.

(٢) مسند الإمام أحمد ابن حنبل.

(٣) ما بين القوسين من الأولى.

(٤) المسند لأحمد ابن حنبل: ج٢/ ٤٤٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٦٧.

(٥) بنو وليعة: حي في كنده.

قال أبو ذر: فما راعَني إلاّ بَرْدُ كفّ عُمَر في حُجْزَتي[1] من خَلْفي، يقولُ: مَنْ تَراهُ يعني؟.

فقلتُ: إنّهُ لا يَعْنيك، وإنّما يعني خاصِفَ النَعْلِ، فالتفتَ فرآهُ فقالَ: «هو هذا»[2].

الخبر الثالث:

«إنّ اللهَ عَهَدَ إليَّ في عليٍّ عَهْداً، فقلتُ: رَبِّ بَيّنْهُ لي؟

قال: اسْمَعْ، إنّ عليّاً رايَةُ الهُدى، وإمامُ أوليائي، ونُورُ مَن أطاعَني، وهُوَ الكلمةَ الّتي ألزمْتُها المُتقين، مَنْ أحبّهُ فقد أحبَّني، ومَنْ أطاعَهُ فقد أطاعَني، فَبَشِّرْهُ بذلك.

فقلتُ: قد بَشَّرْتُهُ يا رَبِّ، ثُمّ قال: فقال: أنا عبدُ الله وفي قبضَتِهِ، فإنْ يُعذّبني فبذُنُوبي (لم يظلمْ شيئاً)[3] وإنْ يُتِمَّ لي ما وَعَدَني؛ فهُوَ أولى، وقد دَعَوْتُ لهُ فقلتُ: اللّهمّ أحْيِ قلبَهُ، واجعلْ ربيعه الإيمان بكَ، قال: قد فعلتُ ذلك غيرَ أنّي مُختصّهُ بشيءٍ من البلاءِ لم اختَصّ بهِ أحَداً من أوْليائي، فقلتُ: ربِّ أخي وصاحِبي.

قال: إنّهُ سَبَقَ في عِلمي، إنّهُ مُبتلى ومُبتلى بِهِ»[4].

ذكره أبو نعيم الحافظ في «حلية الأولياء» عن أبي هريرة[5].

---

(١) الحجزة: موضع الإزار.

(٢) فضائل الصحابة: ج٢/ ٥٩٣، الخصائص للنسائي: ١٠٤ حديث٧١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٦٧.

(٣) ما بين القوسين ليس في الأولى.

(٤) شرح ابن أبي الحديد: ج٩/ ١٦٧.

(٥) في شرح النهج (عن أبي برزة الأسلمي) ولم نعثرعلى الحديث في حلية الأولياء.

[ثمّ رواه بإسناد آخر بلفظ آخر عن أنس بن مالك:

«إنّ ربّ العالمين][1] عهد في عليٍّ إليَّ عهداً، إنّه رايةُ الهُدى، ومَنارُ الإيمان، وإمامُ أوليائي، ونُورُ جميع مَن أطاعَني، إنَّ عَليّاً أميني غداً في القيامَةِ، وصاحبُ رايَتي، بِيَدِ عَليٍّ مَفاتيحُ خزائِنِ رَحمةِ ربّي».

الخبر الرابع:

«مَن أرادَ أنْ ينظرَ إلى نوح في عزمه، وإلى آدمَ في علمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في بطشه، وإلى عيسى في زهده؛ فلينظُرْ إلى عَليّ بن أبي طالِب».

رواه أحمد ابن حنبل في «المسند» ورواه أحمد البيهقي في صحيحه[2].

الخبر الخامس:

«مَن سرّهُ أنْ يحيا حياتي، ويموتَ مَماتي[3] ويتمسَّكَ بالقضيب من الياقوتةِ الّتي خلَقَها اللهُ تعالى بيدِه، ثُمّ قالَ لها: كُوني فكانَتْ؛ فليتمسّكْ بولاء عَليّ بن أبي طالِب».

ذكره أبو نُعيم الحافظ في كتاب حِلية الأولياء[4] ورواه أبو عبد الله ابن حنبل في المسند[5] وفي كتاب فضائل عَلِيّ بن أَبِي طالِب[6].

---

(١) ما بين المعقوفتين من شرح نهج البلاغة.

(٢) العمدة لابن البطريق: ص٤٠٣/ح٦٥٤، وشرح ابن أبي الحديد: ج٩/ ١٦٨.

(٣) في الثانية: ميتتي.

(٤) حلية الأولياء: ج١ / ٨٦.

(٥) مسند أحمد.

(٦) فضائل الصحابة: ج٢/ ٦٦٤/ ح١١٣٢.

الخبر السادس:

«والّذي نفسي بيدو لَولا أنْ تقولَ طوائفُ من أُمّتي فيكَ ما قالت النصارى في ابن مريم؛ لَقُلتُ اليومَ فيكَ مَقالا لا تَمُرُّ بِمَلأ من المسلمين إلاّ أخَذوا التُرابَ من تحتِ قَدَمَيك للبَرَكَة»[1].

ذكره أبو عبد الله أحمد ابن حنبل في المسند[2].

الخبر السابع:

خرجَ ﷺ على الحَجيجِ عَشيّةَ عَرَفة، فقالَ لهم:

«إنّ اللهَ قد بَاهَى بِكم الملائكةَ عَامّةً، وغَفَرَ لكم عامّةً، وباهَى بِعَليٍّ خاصّةً، وغفَرَ له خاصّةً، إنّي قائلٌ لكم قولا غيرَ مُحاب فيه لِقَرابَتي: إنّ السعيدَ كلُّ السعيد حقّ السعيد مَنْ أحبَّ عليّاً في حياتِهِ وبعدَ مَوتِهِ»[3].

رواه أبو عبد الله أحمد ابن حنبل في كتاب فضائل عليّ ﷺ وفي المسند أيضاً[4].

وحكاية لفظ أحمد (رضي الله عنه): «من أحبّ أن يتمسّك بالقضيب الأحمر الّذي غرسه الله في جنّة عدن بيمينه فليتمسّك بحبّ عَليّ بن أبي طالِب».

(١) كفاية الطالب: ٢٦٤-٢٦٥، ومحاسن الأزهار: ٦٤٩، وشرح ابن أبي الحديد: ج٩/١٦٨، ومجمع الزوائد: ج٩/ ١٧٨/ ح١٤٧٥٢.

(٢) مسند الإمام أحمد ابن حنبل.

(٣) فضائل الصحابة: ج٢/ ٦٥٨/ ح١١٢١، وشرح ابن أبي الحديد: ج٩/ ١٦٩، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ج٩/ ١٨٠/ ح١٤٧٥٨.

(٤) مسند الإمام أحمد ابن حنبل.

الخبر الثامن:

رواه أبو عبدالله أحمد ابن حنبل في الكتابين المذكورين:

«أنا أوّلُ مَن يُدعَى به يومَ القيامة، فأقُومُ عن يمين العَرْشِ في ظِلّه، ثمّ أُكسى حُلّةً، ثُمّ يُدعَى بالنَبيّين بعضهم على أثر بعض، فيقُومُون من يمين العَرْش ويُكْسَون حُللا، ثُمّ يُدعى بِعَلِيّ بن أبي طالِب لِقَرابَته مِنّي ومنزلته عندي، ويُدْفَع إليه لِوائي لِواء الحَمْدِ، آدم ومن دُونه تحتَ ذلك اللّواءِ».

ثُمّ قالَ لعلي: «فتسيرُ به حتّى تقفَ بيني وبين إبراهيم الخليل، ثُمّ تكسى حُلّة، ويُنادي مُناد من العَرْش: نِعْمَ العبدُ أبوك إبراهيم! ونِعْمَ الأخُ أخُوك عليٌّ، ابْشِرْ فإنّك تُدعى إذا دُعيتُ، وتُكسى إذا كُسيتُ، وتُحيّى إذا حُيّيتُ»[1].

الخبر التاسع:

«يا أنس، اسكب لي وَضُوءً».

ثمّ قام فصلّى ركعتين، ثمّ قال: «أوّلُ مَن يدخَلَ عليك من هذا الباب: إمامُ المُتقين، وسيّدُ المُسلمين، ويعسوبُ الدين، وخاتمُ الوَصيّين، وقائدُ الغُرّ المُحجّلين».

قال أنسٌ: فقلتُ: اللهمّ اجعلهُ رجُلا من الأنصار، وكتمتُ دعوتي، فجاء عليٌّ.

---

(١) فضائل الصحابة: ١٧٩/ ح٢٥٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٦٩، ومحاسن الأزهار: ٢٧٤، وتاريخ دمشق: ج٤١/ ٣٢، وفي مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ج٩/ ١٨٥/ ح١٤٧٧٤ قريب منه وفي بعض نصوصه: وتُحبى إذا حُبيتُ.

فقال ﷺ: «من جاء يا أنس؟».

فقلتُ: عليٌّ، فقام إليه مستبشراً، فاعتنقه، ثمّ جعل يمسح عرقَ وجههِ بِعرقِ وجههِ، فقالَ عليٌّ: يا رسول الله، لقد رأيتُ منك اليومَ تصنعُ بي شيئاً ما صنعتَهُ بي قبلُ؟!

قال: «وما يمنعُني وأنتَ تُؤدّي عنّي، وتُسمعُهم صوتي، وتُبيّنُ لهم ما اختلفوا فيه بعدي».

رواه أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء[1].

الخبر العاشر:

«ادعوا لي سيّدَ العربِ عليّاً»، فقالت عائشة: ألستَ سيّدَ العرب؟ فقال: «أنا سيّدُ وُلدِ آدم، وعليٌّ سيّد العرب».

فلمّا جاء أرسلَ إلى الأنصار فأتَوهُ، فقال لهم: «يا معشرَ الأنصار، ألا أدلُّكُم على ما إنْ تمسّكتُم بِهِ لَنْ تضِلُّوا أبَداً».

قالوا: بلى، يا رسول الله.

قال: «هذا عليٌّ، فأحِبُّوهُ بِحُبّي، وأكْرِمُوهُ بِكرامتي، فإنّ جبرائيل أمَرَني بِالّذي قلتُ لكُم عن اللهِ عزّ وجلّ»[2].

الخبر الحادي عشر:

«مرحباً بسيّد المؤمنين، وإمام المتّقين»،

فقيل لعليّ ﷺ: كيف شُكرُك؟ فقال: «أحمدُ الله على ما آتاني، وأسألُهُ الشكرَ على ما أولاني، وأنْ يزيدَني مّما أعطاني».

---

(١) حلية الأولياء: ج١/ ٦٣، شرح ابن أبي الحديد: ج٩/ ١٦٩.

(٢) حلية الأولياء: ج١/ ٦٣، شرح ابن أبي الحديد: ج٩/ ١٧٠.

ذكره صاحب الحلية(١).

الخبر الثاني عشر:

«مَن سرّهُ أنْ يَحيا حياتي، ويموتَ مَماتي، ويسكنَ جنّةَ عَدْن غرسها ربّي؛ فليوالِ عليّاً من بعدي، وليوالِ وَليّهُ، وليَقتدِ بالأئمّة من بعدي، فإنّهم عترتي، خُلِقُوا من طينتي، ورُزِقُوا فَهْماً وعِلْماً، فويلٌ للمُكذّبين بفَضلهم من أُمّتي! القاطِعِين منهم حَبْلي لا أنالَهم اللهُ شفاعتي».

ذكره صاحب الحلية أيضاً(٢).

الخبر الثالث عشر:

بعثَ رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في سريّة وبعث عليّاً عليه السلام في سريّة أُخرى، وكلاهما إلى اليَمَن، وقال: «إنْ اجتمعتُما فعليٌّ على الناس، وإن افترقتُما فكُلّ واحد منكُما على جُندِهِ».

فاجتمعَا، وأغَارَا، وسبَيَا، وأخَذا أمْوالا، وقَتَلا ناساً، وأخَذَ عليٌّ جاريةً فاختصّها لنفسِهِ، فقال خالدٌ لأربعة من المسلمين، منهم بُريدة الأسْلَمي: اسبقوا إلى رسول الله ﷺ فاذكروا له كذا، واذكروا له كذا. لأُمور عدّدها على عليّ عليه السلام فسبقُوا إليه فجاء أحدهم من جانبه، فقال: إنّ

---

(١) حلية الأولياء: ج١/ ٦٩، شرح ابن أبي الحديد: ج٩/ ١٧٠.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ج٩/ ١٣٧/ ح١٤٦١٣٩، وشرح ابن أبي الحديد: ج٩/ ١٧٠، وفي المصدر: «فيهم صلتي» بدل «منهم حبلي».

علياً فعل كذا، فأعرض عنه، فجاء الآخر من الجانب الآخر، فقال: إنّ علياً فعل كذا، فأعرض عنه، فجاء بُريدة الأسْلميّ، فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا، فأخَذَ جاريةً لنفسه، فغضب ﷺ حتّى احمرَّ وَجْهَه وقال:

«دَعُوا لي عَلِيّاً»! يُكرِّرُها، «إنّ عَلِيّاً مِنّي وأنا مِنْ عَلِيٍّ، وإنّ حَظّهُ في الخُمْسِ أكثرَ ممّا أخَذَ، وهُو وَليُّ كُلّ مُؤمن من بعدي».

رواه أبو عبدالله أحمد في المسند غير مرّة[1]. ورواه في كتاب فضائل علي، ورواه أكثر المحدّثين.

الخبر الرابع عشر:

«كنتُ أنا و عَلِيٌّ نُوراً بين يَدَيِ الله عزّوجلّ قبلَ أن يخلقَ آدم بأربعة عشر ألف عام، فلَمّا خلقَ آدم قَسَّمَ ذلك النُور فيه وجعله جُزأين، فجزءٌ أنا، وجزءٌ عليٌّ».

رواه أحمد في المسند وفي كتاب فضائل عليٍّ عليه السلام[2].

وذكره صاحب كتاب الفردوس، وزاد فيه:

«ثمّ انتقلنا حتّى صِرْنا في عبد المطّلب، فكان لي النبوّةُ ولعليٍّ الوصيّةُ»[3].

---

(١) المسند لابن حنبل: ج٥/ ٣٥٦، فضائل الصحابة: ج٣/ ٦٠٥/ ح١٠٣٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٧١.

(٢) فضائل الصحابة: ج٢/ ٦٦٢/ ح١١٣٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٧١.

(٣) الفردوس: ج٢/ ٣٠٥، و ج٣ / ٣٣٢.

الخبر الخامس عشر:

«النظرُ إلى وجهك ـ يا عليُّ ـ عبادةٌ، أنتَ سيّدٌ في الدُنيا، وسيّدٌ في الآخرة، مَن أحَبّكَ أحَبّني وحَبيبي حبيبُ الله، وعَدوُّك عَدُوّي وعَدُوّي عَدَوُّ الله، الوَيلُ لِمَنْ أبْغَضَكَ، الوَيلُ لِمَنْ أبغضك»[1]:

رواه أحمد في المسند قال: وكان ابن عبّاس يفسّرهُ ويقولُ: إنّ من ينظرُ إليه يقول: سبحانَ الله! ما أعلمَ هذا الفتى! سبحانَ الله ما أشجعَ هذا الفتى! سبحانَ الله ما أفصحَ هذا الفتى!

الخبر السادس عشر:

لّما كانت ليلةُ بدر، قال رسول الله ﷺ: «مَن يَستقي لَنا ماءً؟»، فأحجمَ الناسُ، فقام عليٌّ فاحتضنَ قِربةً، ثُمّ أتى بئراً بعيدة القَعْر مُظلمةً، فانحدرَ فيها، فأوحى اللهُ إلى جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ: أنْ تأهّبوا لِنَصرِ مُحمّد وأخيه وحزبِهِ، فَهَبَطُوا من السماء، لهم لغطٌ يَذْعَرُ مَن يسمعُهُ، فلمّا حاذَوا البئرَ سَلّمُوا عليه من عندِ آخرهم إكراماً له وإجلالاً.

رواه أحمد في كتاب فضائل عليّ ﷺ وزاد فيه في طريق أُخرى، عن أنس بن مالك:

«لتؤتَيَنَّ ـ يا عليُّ، يومَ القيامة ـ بناقة من نُوق الجنّة، فتركبُها ورُكْبَتُك معَ رُكبتي، وفَخذُك معَ فخذي، حتّى تدخُلَ الجنّةَ»...الحديث[2].

---

(١) فضائل الصحابة: ج٢/٦٤٢/ح١٠٩٢، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ج٩/١٥٧/ح١٤٦٩٤.

(٢) فضائل الصحابة: ج٢/ ٦١٣/ ح١٠٤٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٧٢.

الخبر السابع عشر:

خطبَ صلى الله عليه وآله الناسَ يومَ جمعة فقال: «أيّها الناسُ قَدّموا قُريشاً ولا تقدموها، وتعلّموا منها ولا تُعلّمُوها، قوّةُ رجل من قريش تعدلُ قوّةَ رجلين من غيرهم، وأمانةُ رجل من قريش تعدلُ أمانةَ رجلين من غيرهم، أيّها الناس أوصيكم بِحُبّ ذِي قُرباها، أخِي وابن عمّي عَلِيّ بن أبِي طالِب، لا يُحِبّه إلاّ مؤمنٌ، ولا يبغضه إلاّ منافقٌ، مَن أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني عذّبهُ اللهُ بالنار».

رواه أحمد (رضي الله عنه)في كتاب فضائل عليّ عليه السلام[1].

الخبر الثامن عشر:

«الصدّيقونَ ثلاثةٌ: حبيبُ النجّارُ الّذي جاء من أقصى المدينة يسعى، ومؤمنُ آل فرعون الّذي كان يكتُمُ إيمانه، وعَلِيّ بن أبِي طالِب وهو أفضلُهم».

رواه أحمد في كتاب فضائل علي عليه السلام[2].

الخبر التاسع عشر:

«أعطيتُ في عليٍّ خَمساً، هُنّ أحبُّ إليَّ من الدُنيا وما فيها: أمّا واحدةٌ: فهو تجاهي بين يدي الله عزّ وجلّ حتّى يفرغَ من حساب الخلائق.

---

(١) فضائل الصحابة: ج٢/ ٦٦٢/ ح١٠٦٦، شرح ابن أبي الحديد: ج٩/ ١٧٣.

(٢) فضائل الصحابة: ج٢/ ٦٢٧/ ح١٠٧٢، شرح ابن أبي الحديد: ج٩/ ١٧٢.

وأمّا الثانيةُ: فلواءُ الحمد بيده، آدمُ، ومن ولد تحته.

وأمّا الثالثة: فواقفٌ على شفير[1] حوضي، يَسْقي من عرف من أُمّتي.

وأمّا الرابعة: فساترُ عورتي، ومسلّمي إلى ربّي.

وأمّا الخامسة: فإنّي لستُ أخشى عليه أن يعودَ كافراً بعد إيمان، ولا زانياً بعد إحصان».

رواه أحمد في كتاب الفضائل[2].

الخبر العشرون:

كانتْ لجماعة من الصحابة أبوابٌ شارعةٌ في مسجد الرسول ﷺ [فقال عليه الصلاة والسلام يوماً: «سُدُّوا كلّ باب في المسجد إلاّ بابَ عليٍّ».

فسُدّت، فقال في ذلك قومٌ، حتّى بلغَ رسول الله ﷺ فقامَ فيهم][3] فقال: «إنّ قوماً قالُوا في سدّ الأبواب، وتركي بابَ عليٍّ، إنّي ما سددتُ ولا فتحتُ، ولكنّي أُمرتُ بأمر فاتّبعتُهُ».

رواه أحمد في المسند مراراً وفي كتاب الفضائل[4].

---

(١) في المصدر: «العقر» وهو: مؤخر الحوض حيث يقف الإبل. «النهاية: ج٣/ ٢٧».

(٢) فضائل الصحابة: ج٢/ ٦٦١/ ح١٢٧، شرح ابن أبي الحديد: ج٩/ ١٧٣.

(٣) ما بين المعقوفتين من المصدر ولا يتمّ المعنى إلاّ به.

(٤) مسند الإمام أحمد ابن حنبل: ج١/١٧٥، و ج٤/٣٦٩، فضائل الصحابة: ج٢/٥٨١/ ح٩٨٥، كنز العمّال: ج١١/ ح ٣٢٨٧ و٣٣٠٤، مجمع الزوائد: ج٩/ ٣٧/ ح١٤٦٧١ أبواب مناقب علي عليه السلام.

الخبر الحادي والعشرون:

دعا ﷺ علياً في غزاةِ الطائف، فانتجاهُ وأطالَ نجواهُ حتّى كَرِهَ قومٌ من الصحابة ذلك، فقال قائلٌ منهم: لقد أطال اليوم نجوى ابن عمِّهِ، فبلغهُ عليه الصلاة والسلام ذلك فجمعَ منهم قوماً، ثمّ قال: «إنّ قائلا قال: لقد أطالَ اليومَ نجوى ابن عمّه، أمَا إنّي ما انتجيتُهُ، ولكن الله انتجاه».

رواه أحمد في المسند[1].

الخبر الثاني والعشرون:

«أخصمُك[2] يا عليُّ بِالنبوّة، فلا نُبُوّةَ بعدي، وتخصمُ الناسَ بِسَبع؛ لا يحاجُّك فيها أحدٌ من قريش:

أنتَ أوّلهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومُهم بأمر الله، وأقسمُهم بِالسويّة، وأعدلُهم في الرعيّةِ، وأبصرُهم بِالقضيّة، وأعظمُهم عندَ الله مزيّةً».

رواه أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء[3].

الخبر الثالث والعشرون:

قالت فاطمة: إنّك زوّجتني فقيراً لا مالَ له، فقال عليه السلام: «زوّجتكِ أقدمَهم سِلماً، وأعظمَهم حِلماً، وأكثرَهم

---

(١) صحيح الترمذي: ج٥/ باب ٨٩/ ح٣٨١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٩/ ١٧٣.

(٢) أي: أغلبك.

(٣) حلية الأولياء: ج١/ ٦٥-٦٦، كنز العمّال: ح٣٢٩٣٤، شرح ابن أبي الحديد: ج٩/ ١٧٣.

عِلماً! ألا تعلمين أنّ الله اطّلعَ إلى الأرض اطّلاعةً، فاختارَ منها أباكِ، ثمّ اطّلعَ إليها ثانيةً فاختار منها بعلَكِ»!.

رواه أحمد في المسند[1].

الخبر الرابع والعشرون:

لّما أنزلَ: ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[2] بعد انصرافه ﷺ من غزاة حُنين، جعلَ يُكثر من «سبحان الله، أستغفر الله» ثمّ قال: «يا عليُّ إنّه قد جاءَ ما وُعِدْتُ به، جاءَ الفتحُ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وإنّه ليس أحدٌ أحقّ منك بمقامي، لِقِدَمِكَ في الإسلام، وقُربك مِنّي، وصِهرِك، وعندك سيّدةُ نِساء العالَمين، وقبلَ ذلك ما كانَ من بَلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن، فأنا حريصٌ على أن أراعيَ ذلك لولدهِ».

رواه أبو إسحاق الثعلبي في تفسير القرآن[3].

قال ابن أبي الحديد رحمه الله:

واعلم إنّما ذكرنا هذه الأخبار[4] هيهنا، لأنّ كثيراً من المُنحرفينَ عنه عليه السلام إذا مرّوا على كلامه في (نهج البلاغة) وغيره، المتضمّن للتحدّث بنعمة الله عليه،

---

(١) مسند أحمد: ج٥/٢٦/ح١٢٧، كنز العمّال: ح١٤٦٦٩، شرح ابن أبي الحديد: ج٩/١٧٤.

(٢) النصر: ١.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي: ج١٠ / ٣٢٢ بتفاوت.

(٤) شرح ابن أبي الحديد: ج٩/ ١٦٦-١٧٤.

من اختصاص الرسول ﷺ له، وتمييزه إيّاهُ عن غيره، يَنْسِبُونه فيه إلى التِيهِ والزَهْوِ والفَخْرِ، ولقد سبقهم بذلك قومٌ من الصحابة:

قيل لعُمَرِ: وَلِّ عليّاً إمارةَ الجيش والحرب.

فقال: هو أزْهى من ذلك!.

وقال زيد بن ثابت: ما رأينا أزهى من عليٍّ وأُسامة[1].

قال ابن أبي الحديد:

فأردنا إيراد هذه الأخبارَ هيهنا عند تفسير قوله ﷺ: «نحنُ الشعارُ والأصحابُ، ونحنُ الخزنةُ والأبوابُ»[2]: أنْ ننبّه على عِظَمِ منزلته عند الرسول ﷺ وأنّ مَن قيلَ في حقّهِ ما قيلَ؛ لو عَرَجَ في الهواء، ورقى إلى السماء، وفَخَرَ على الملائكة والأنبياء، تَعُظّماً وتَبَجُّحاً؛ لم يكن مَلُوماً، بل كانَ بذلك جديراً، فكيفَ وهو ﷺ لم يسلكْ قطُّ مسلكَ التعظيم والتكبّر في شيء من أقواله وأفعاله، وكانَ أَلْطَفَ البشر خُلُقاً، وأكرمَهم طَبْعاً، وأشدّهُم تَواضُعاً، وأكثرَهم احتمالا، وأحسنَهم بُشراً، وأطلقَهم وَجْهاً، حتّى نَسَبَهُ من نَسَبَهُ إلى الدعابَةِ والمزاحِ، وهُما خُلُقان يُنافيان التكبُّرُ والاستطالة.

وإنّما كان يذكُرُ أحياناً ما كان يذكُرُهُ من هذا النوع، نفثةَ مَصْدورٌ، وشكوى مكروب، وتنفّسَ مهموم.

ولا يقصدُ به إذا ذكرهُ إلاّ شكرَ النعمة، وتنبيهَ الغافِلِ على ما خصّه الله بهِ من الفضيلة، فإنّ ذلك من باب الأمر بالمعروف، والنهي عن المُنكر الّذي هو تقديم

(١) شرح ابن أبي الحديد: ج٩/ ١٧٤.

(٢) نهج البلاغة الخطبة رقم ١٥٤: ص٢١٥.

غيره عليه في الفضل، فقد نهى الله سبحانه عن ذلك فقال: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1].

قلتُ: هذا ما ذكره ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى[2] وهو يُصحح خلافة المشايخ، ويذهب إلى تفضيل عليّ عليه السلام وجواز إمامة المفضول.

فانظرْ إلى حسن اعتقاده، وإلى ما رواه أئمّة الحديث، مع قولهم بإمامة المشايخ، لأنّهم يذهبُون إلى إمامة المفضول.

وحُجّتنا عليهم هذه الأخبارُ وغيرُها في تفضيله عليه السلام وأنّه أولى بمكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) يونس: ٣٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ج٩/ ١٧٤-١٧٥.

فصلٌ في ذكر سبق الإمام ﷺ إلى الإسلام

اعلم أنّ ابْن العَرَبِيّ جعل مراتب الفضل ومنازل التفضيل سبعاً، وسردها كما سردناها ونقضنا ما بناهُ فيها، ونحن نزيد ذلك تأكيداً بذكر ما ورد لعليّ ﷺ من الفضائل القاضية بأرفع المنازل، ونذكر ما وصفه به ابن عبد البرّ صاحب الاستيعاب، وهو الإمامُ الحافظُ الثقةُ، المرجوعُ إلى روايته والموثوقُ بعدالته وصدق حكايته.

وقد اخترنا كلامه على كلام غيره من نَقَلَة السير والأخبار؛ لأنّه حجّةٌ عند أئمّة الحديث، وهو الحَكَمُ في ما بيننا وبين من سَلَكَ مسلك ابن العَرَبِيّ.

قال رحمه الله تعالى: عن سلمان وأبي ذرّ والمقداد وجابر وأبي سعيد الخدْريّ وزيد بن أرقم: أنّ عَلِيّ بن أَبِي طالِب ﷺ أوّلُ مَن أسلم، وفضّله هؤلاء على غيره[1].

وقال ابن إسحاق: أوّلُ مَن آمنَ بالله ورسوله محمّد ﷺ من الرجال: عَلِيّ بن أَبِي طالِب. وهو قول ابن شهاب، إلاّ أنّه قال: من الرجال بعد خديجة وهو قول الجميع في خديجة[2].

وروى بإسناده عن ابن عبّاس قال: لعليٍّ أربع خصال ليستْ لأحد غيرِه، هو أوّلُ عربيّ وعجميّ صلّى مع رسول الله ﷺ وهو الّذي كان لواؤُهُ معهُ في كلّ زحف، وهو الّذي صبرَ معه يوم فرَّ عنه غيرُهُ، وهو الّذي غسّلهُ وأدخلَهُ قبرَهُ[3].

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩٠، شرح ابن أبي الحديد: ج٤/ ١١٦.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣ / ١٠٩٠، شرح ابن أبي الحديد: ج٤ / ١١٦.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩٠.

وعن سلمان الفارسيّ أنّه قال: أوّلُ هذه الأُمّة وُروداً على نبيّهاﷺ الحوضَ، أوّلُها إسلاماً عَلِيُّ بن أَبِي طالِب[١].

وقد رُوِيَ هذا الحديث مرفوعاً عن سلمان، عن النَبيّﷺ أنّه قال: «أوّل هذه الأمّة وُروداً عليَّ الحوضَ أوّلُها إسلاماً عليُّ بن أبي طالب»[٢].

قال ابن عبد البَرّ: ورفعهُ أولى، لأنّ مثله لا يُدْرَكُ بِالرأي[٣].

ورُوِي عن سلمان الفارسيّ قال: قال رسول اللهﷺ: «أوّلُكم وُرُوداً عليَّ الحوضَ أوّلُكم إسلاماً عَلِيُّ بن أَبِي طالِب»[٤].

ورُوِيَ مُسنداً إلى ابن عبّاس أنّ النَبيّﷺ قال لعليٍّ: «أنتَ وليُّ كلّ مؤمن بعدي»[٥].

وبه عن ابن عبّاس قال: أوّلُ مَن صَلّى معَ النَبيّﷺ بعد خديجة عليُّ بن أبي طالبعليه السلام[٦].

وعن ابن عبّاس: كان عليٌّ أوّلَ مَن آمَنَ بِالله من الناس بعد خديجة[٧].

قال ابن عبد البَرّ ـ وقد ذكر إسناده ـ: هذا إسنادٌ لا مطعنَ فيه لأحد لِصحّتهِ وثِقةِ نَقَلَتِهِ.

قال ابن شهاب وعبدُ الله بن محمّد بن عقيل، وقتادة، وابن إسحاق: أوّلُ

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩٠.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩١.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩١.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩١.

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩١.

(٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩١.

(٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩١.

مَن أسلمَ من الرجال عليٌّ، واتّفقوا على أنّ خديجة أوّلُ من آمن بالله ورسوله وصدّقه في ما جاء به ثُمّ عليٌّ بعدَها[١].

ورُوِيَ عن ابن أبي رافع مثل ذلك.

وسُئِلَ محمّدُ بن كعب القرظيّ: عن أوّل من أسلم: عليٌّ عليه السلام أو أبو بكر؟ قال: سبحانَ الله! عليٌّ أوّلُهما إسلاماً، وإنّما شبّهَ على الناس لأنّ عليّاً أخفى إسلامَهُ مِن أبي طالب، وأسلمَ أبو بكر وأظهر إسلامه، ولا شكّ عندنا أنّ عليّاً أوّلُهما إسلاماً[٢].

ورُوِيَ عن قتادة عن الحسن قال: أسلمَ عليٌّ ـ وهو أوّلُ مَن أسلمَ ـ وهو ابن خمس عشرة سنةً، أو ستّ عشرة سنة[٣].

قال ابن إسحاق: أوّلُ ذَكَر آمَنَ بِالله ورسوله عَلِيُّ بن أَبِي طالِب، وهو ابن عشر سنين»[٤].

قال أبو عمر ابن عبد البَرّ (رضي الله عنه): أسلمَ عليٌّ عليه السلام وهو ابن ثلاث عشرةَ سنة، وقيل: ابنُ اثنتي عشرة سنة، وقيل: ابنُ خمس عشرةَ، وقيل: ابن ستّ عشرة، وقيل: ابن عشر[٥].

ورُوِيَ عن نافع عن ابن عمر قال: أسلمَ عليٌّ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وتُوُفّيَ وهوابنُ ثلاث وستّين سنة[٦].

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩٢.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩٢.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩٣.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩٣.

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩٣.

(٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩٤.

قال ابن عبد البرّ: هذا أصحّ ما قيل في ذلك[١].

ورُوِيَ عن حبّة بن جُوين، قال: سمعتُ عليّاً ﷺ يقول: «لقدْ عبدتُ الله سبحانه قبلَ أنْ يعبُدَهُ أحَدٌ من هذهِ الأُمّةِ خمسَ سنين»[٢].

ورُوِيَ عن حبّة العُرَنيّ: قال: سمعتُ عليّاً يقول: «أنا أوّلُ مَن صلّى مع رسول الله ﷺ»[٣].

وقال سالم بن أبي الجعد: قلتُ لابن الحنفيّة: أبو بكر كان أوّلهم إسلاماً؟ قال: لا[٤].

وروى مسلمُ المُلاَئيّ عن أنس بن مالك: استُنْبِىءَ النبيّ ﷺ يومَ الاثنين، وصلّى عليٌّ يوم الثلاثاء[٥].

ورَوَى زيدُ بن أرقم: أوّلُ مَن آمَنَ بالله بعدَ رسول الله ﷺ عليُّ بن أبي طالب[٦].

ورُوِيَ حديثُ زيد بن أرقم من وجوه كثيرة[٧].

ورُوِي مسنداً عن عفيف الكنديّ، قال: كنتُ رَجُلا تاجراً فقدمتُ الحجّ، فأتيتُ العبّاس بن عبد المطّلب لأبْتاعَ منهُ بعضَ التجارة، وكان امرأً تاجِراً، فوالله، إنّي لَعِندَهُ بمنى إذْ خرج رجلٌ من خَبْءٍ[٨] قريب منه، فنظرَ إلى

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩٥.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩٥.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩٥.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩٥.

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩٥.

(٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩٥.

(٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١٠٩٥.

(٨) الخبء: كلّ شيء غائب مستور. «النهاية لابن الأثير: ج٢/ ٣».

الشمس، فلمّا رآها قد مالَتْ قامَ يُصلّي، ثمّ خَرَجَتْ امرأةٌ من ذلك الخَبْءِ الّذي خرجَ منه ذلك الرجلُ، فقامتْ خلفَهُ تُصلّي، ثمّ خَرَجَ غلامٌ حين راهَقَ الحُلمَ من ذلك الخَبْءِ فقامَ مَعهما يُصلّي، فقلتُ: مَن هذا يا عبّاس؟

فقال: هذا محمّدُ بن عبد الله بن عبد المُطّلب ابن أخي.

فقلتُ: مَن هذه المرأةُ؟

فقال: هذه امرأتُهُ خديجةُ بنتُ خُويلد.

قلتُ: من هذا الفتى؟

قال: عليٌّ بن أبي طالب ابن عمّه.

قلتُ: ما هذا الّذي يصنع؟

قال: يُصلّي، وهو يزعمُ أنّه نبيٌّ، ولم يتبعْهُ على أمرِهِ إلاّ زوجتُهُ وابنُ عمّه هذا الغلامُ، وهو يزعمُ أنّهُ سيفتحُ كُنُوزَ كِسرى وقيصَر.

وكان عفيفٌ يقول: وقد أسلمَ بعدَ ذلك، وحسُنَ إسلامُهُ، لو كان اللهُ رزقني الإسلامَ يومَئِذ فأكون ثانياً مع علي"[1].

وفي رواية أُخرى عن عفيف الكِنديّ، قال: كنتُ امرأً تاجراً فقدمنا الحجّ، فأتيتُ العبّاس بن عبد المطّلب، فواللهِ إنّي لعندَهُ يوماً إذْ خرجَ رجلٌ من خِباء قريب منه، فنظرَ إلى الشمس، فلمّا رأى الشمسَ مالَتْ، قام يُصلّي، ثمّ خرجتْ امرأةٌ من ذلك الخِباء الّذي خرجَ منهُ ذلك الرجلُ، فقامتْ خلفَهُ تُصلّي، فقلتُ للعبّاس: ما هذا يا أبا الفضل؟

قال: هذا محمّدُ بن عبد الله بن عبد المطّلب ابن أخي.

فقلتُ: من هذه المرأةُ؟

(١) الاستيعاب: ج٣/ ١٠٩٦.

قال: خديجةُ بنت خويلد زوجتُهُ، ثمّ خرجَ غلامٌ حين راهَقَ الحُلم من ذلك الخِباءِ فقام يُصلّي معهُ، فقلتُ: من هذا الفتى؟

قال: عَلِيٌّ بن أَبي طالِب ابن عمّه.

قلتُ: فما هذا الّذي يصنعُ؟

قال: يُصلّي ويزعمُ أنّهُ نبيٌّ، ولم يتبعْه على أمرِهِ إلاّ امرأتُهُ وابن عمّه هذا الفتى، وهو يزعمُ أنّه ستفتحُ عليه كنوزُ كسرى وقيصر.

قال: وكان عفيفٌ يقول ـ وقد أسلم بعد ذلك، فحسن إسلامه ـ: لو كانَ اللهُ رزقني الإسلام يومئذ؛ كنتُ ثانياً مع عَلِيّ بن أَبي طالِب[1].

وفي رواية أُخرى ذكرها ابن عبد البَرّ كلّها في الاستيعاب عن عفيف قال: جئتُ في الجاهليّة إلى مكّة، فنزلتُ على العبّاس بن عبد المطّلب، فبينا أنا عندَه وأنا أنظرُ إلى الكعبة وقد حلّقت الشمسُ وارتفعتْ، إذْ جاء شابٌّ حتّى دَنا من الكعبة، فرفعَ رأسَهُ فانتصبَ قائِماً مُستقبلها، إذْ جاء غلامٌ حتّى قامَ عن يمينهِ، ثمّ لم يلبثْ إلاّ يسيراً حتّى جاءتْ امرأةٌ فقامتْ من خلفهما، ثمّ ركَعَ الشابُّ فركَعَ الغلامُ وركعت المرأةُ، ثمّ رفع الشابُّ رأسه فرفع الغلامُ رأسه ورفعت المرأةُ، ثمّ خَرَّ الشابُّ ساجداً وخَرَّ الغلامُ وخرّت المرأةُ.

فقال العبّاس: تدري من هذا؟

قلتُ: لا؟!

قال: هذا محمّدُ بن عبد الله بن عبد المطّلب ابن أخي، وهذا عَلِيُّ بن أَبي طالِب، وهذه خديجةُ بنتُ خُويلد زوجتُهُ، إنّ ابن أخي هذا حدّثنا أنّ ربّهُ

---

(١) الاستيعاب: ج٣/ ١٢٤٢.

ربُّ السماواتِ والأرض أَمَرَهُ بهذا الدين الّذي هو عليه، ولا ـ والله ـ ما أعلمُ على وجه الأرضِ أحَداً على هذا الدين غيرَ هؤلاء الثلاثة.

قال عفيفٌ: فتمنّيتُ أن أكونَ رابعَهم[1].

وقال عليٌّ عليه السلام: «صلّيتُ معَ رسول الله صلى الله عليه وآله كذا وكذا، لا يُصلّي معهُ غيري إلاّ خديجةُ»[2].

---

(١) الاستيعاب: ج٣/ ١٢٤٣.

(٢) الاستيعاب: ج٣/ ١٠٩٦.

فضائلُ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام برواية ابن عبد البَرّ

قال ابن عبد البَرّ: وأجمعوا أنّهُ صلّى إلى القبلتين، وهاجَرَ، وشهدَ بَدراً والحُديبية، والمَشاهدَ كلّها، وأنّه أبلى بِبَدر وبأحد والخندقِ وخيبر بلاءً عظيماً، وأنّهُ أغْنى في تلك المشاهد، وقامَ فيها المقامَ الكريمَ، وكان لواءُ رسول الله صلى الله عليه وآله بِيَدهِ في مواطنَ كثيرة، وكان يومَ بدر بِيَدِهِ على اختلاف في ذلك[1].

وروي عن ابن عبّاس قال: دَفَعَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله الرايةَ يومَ بدر إلى عليٍّ عليه السلام وهو ابن عشرين سنةً.

ذكره السرّاج في تاريخه.

ولم يتخلّفْ عن مشهد شهدهُ رسول الله صلى الله عليه وآله مُنذُ قدمَ المدينةَ إلاّ تَبُوك، فإنّهُ خلّفهُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله على المدينة وعلى عياله بعدَهُ في غزوة تَبُوك، وقال له: «أنتَ مِنّي بِمَنزلةِ هارُون من مُوسى إلاّ أنّهُ لا نبيَّ بَعدي»[2].

ورَوى قولَه صلى الله عليه وآله لِعَلِيٍّ: «أنتَ مِنّي بِمَنزلةِ هارُون من مُوسى» جماعةٌ من

(١) الاستيعاب: ج٣/ ١٠٩٦-١٠٩٧.

(٢) الاستيعاب: ج٣/ ١٠٩٧. وانظر: تاريخ دمشق: ج١/ ٣٠٧ و ٤٢٨، محاسن الأزهار: ٤٢٤، كفاية الطالب: ٢٨١-٢٨٧، وأنظر البروج للمؤلّف: ٢٦٧، والحديث متواترٌ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وقد عدّه جمع ممّن أورد الأحاديث المتواترة في المتواترات، وانظر لقط اللآلي المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي: ٣٣ الحديث الخامس، قال رواه من الصحابة عشرة. ويجد الباحث الحديث مرويّاً عن أكثر من عشرين صحابياً في ما جاء في الحديث رقم ٣٣٦ وما بعده من ترجمة أَمير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام من تاريخ دمشق: ج١/ ٣٠٧ بتحقيق المحمودي.

الصحابة، وهو من أثبَتِ الآثارِ وأصَحِّها، رواهُ عن النَبيّ ﷺ سعدُ بن أبي وقّاص، وطُرُقُ حديثِ سعد فيها كثيرةٌ جدّاً، وقد ذكرها ابن أبي خيثمة وغيرُه، ورواه ابنُ عبّاس، وأبو سعيد الخُدْري، وأُمُّ سلمة، وأسماء بنت عُمَيْس، وجابر بن عبد الله، وجماعةٌ يطول ذكرهم[١].

هذا كلام ابن عبد البَرّ، ثُمّ أخذ يذكر طرقاً من طرق هذا الحديث ويفصلها.

وروى عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: «أنتَ أخي وصاحِبي»[٢].

---

(١) الاستيعاب: ج٣/ ١٠٩٧.

أقول: ذكر أبو الفيض؛ محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي صاحب «تاج العروس» في كتابه «لقط اللآلي المتناثرة في الأحاديث المتواترة» الحديث الخامس: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى». رواه من الصحابة عشرة: ١ـ أبو سعيد الخدري ٢ـ أسماء بنت عميس ٣ـ أُمّ سلمة ٤ـ ابن عبّاس ٥ـ حبشي بن جنادة ٦ـ ابن عمر ٧ـ عليٌّ ٨ـ جابر بن سمرة ٩ـ البراء بن عازب ١٠ـ زيد بن أرقم. فالأوّل والثاني أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والباقون أخرجه الطبراني في معجمه.

وأورده السيوطي في «الأزهار المتناثرة» عن عشرة أنفس، وأورده الكتاني في نظم المتناثر، كتاب المناقب، وقال: ورد أيضاً من حديث مالك بن الحويرث، وسعد بن أبي وقّاص، وعمر ابن الخطّاب. وقد تتبع ابن عساكر طرقه فبلغ عدد الصحابة فيه نيفاً وعشرين، وفي شرح الرسالة للشيخ جسوس قال: هذا حديث متواتر جاء عن نيف وعشرين صحابياً، واستوعبها ابن عساكر في نحو عشرين ورقة. وأنظر الحديث في صحيح البخاري «كتاب فضائل أصحاب النَبيّ ﷺ»، وصحيح مسلم «كتاب فضائل الصحابة» حديث ٣٠: ٣٣، وسنن الترمذي «كتاب المناقب»، وسنن ابن ماجة «المقدّمة»، وطبقات ابن سعد: ج٣/١٤، ومسند زيد بن علي: ح٩٧٢: ٩٧٤، ومسند الطيالسي: ح٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٣، ومسند الإمام أحمد ابن حنبل: ج١/ ١٧٠ و١٧٣-١٧٩ و١٨٢ و١٨٤ و١٨٥ و٣٣٠، و ج٣/ ٣٢ و٤٣٨ و٤٨٣، و ج٤/ ١٦٤-١٦٥، و ج٥/ ٢٠٤، و ج٦/ ٣٦٩ و ٤٣٨.

(٢) الاستيعاب: ج٣/ ١٠٩٨.

ولَمّا احتُضِرَ عُمَر وجعلها شُورى بين عليٍّ، وعثمان، وطلحة، والزُبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، فقال لهم عليٌّ عليه السلام: «أنشدكم الله، هلْ فيكم أحَدٌ آخَى رسولُ الله صلى الله عليه وآله بينهُ وبينهُ، إذْ آخَى بينَ المُسلمين، غيري»!.

قالوا: اللهمّ لا نعلمه[١].

قال ابن عبد البَرّ ورُوِّينا من وجوه عن عليٍّ عليه السلام أنّه كان يقول: «أنا عبد الله وأخو رسول الله، لا يقولُها أحَدٌ غيري إلاّ كذّاب»[٢].

قال أبو عمر: آخَى رسول الله صلى الله عليه وآله بين المهاجرين بمكّة، ثمّ آخَى بين المهاجرين والأنصار بالمدينة، وقال في كلّ واحدة منهما لعليٍّ: «أنتَ أخِي في الدُنيا والآخرة»[٣] وآخَى بينهُ وبين نفسه، وكذلك قال هذا القول وما أشبهه في عليٍّ (رضي الله عنه).

وكان معه على حِراء حينَ تَحَرَّكَ، فقال له: أثبتْ حِراء! فما عليك إلاّ نبيّ أو صدّيق أو شهيد[٤].

وكان عليه يومئذ العشرةُ المشهودُ لهم بالجنّة.

وزوّجه رسول الله صلى الله عليه وآله في سنة ثلاث[٥] من الهجرة ابنتَهُ فاطمةَ عليها السلام سيّدة نساء أهل الجنّة إلاّ ما كان من بنت عمران، وقال لها: «زَوَّجتُكِ سيّداً في الدُنيا والآخرة، وأنّهُ لأوّلُ أصحابي إسلاماً وأكثرُهم علماً وأعظمُهم حِلماً»[٦].

---

(١) الاستيعاب: ج٣/ ١٠٩٨.

(٢) الاستيعاب: ج٣/ ١٠٩٨.

(٣) الاستيعاب: ج٣/ ١٠٩٩.

(٤) الاستيعاب: ج٣/ ١٠٩٨-١٠٩٩.

(٥) في المصدر: اثنتين.

(٦) الاستيعاب: ج٣/ ١٠٩٩.

قالت أسماءُ بنت عميس: فرمقتُ رسول اللهﷺ حين اجتمعا جعلَ يدعو لهما، لا يشركهما في دعائه أحَدٌ، ودعا له كما دعا لها[1].

وروى بريدةُ، وأبو هريرة، وجابر، والبراءُ بن عازب، وزيد بن أرقم، كلّ واحد منهم عن النَبيّﷺ أنّه قال يوم غدير خُمّ: «مَنْ كُنْتُ مَولاهُ؛ فعَلِيٌّ مَولاهُ»[2].

---

(١) الاستيعاب: ج٣/ ١٠٩٩.

(٢) الاستيعاب: ج٣/ ١٠٩٩ وفيه زيادة: «.. اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه»، وبعضهم لا يزيد على «من كنت مولاه فعلي مولاه».

وأورد الزبيدي ـ صاحب «تاج العروس»ـ في كتابه «لقط اللآلي المتناثرة في الأحاديث المتواترة» في الحديث الحادي والستين «من كنت مولاه فعلي مولاه»: رواه من الصحابة واحد وعشرون نفساً:

١ـ زيد بن أرقم ٢ـ عَلِيّ بن أَبِي طالِب ٣ـ أبو أيّوب الأنصاري ٤ـ عمر بن الخطاب ٥ـ ذو مر ٦ـأبو هريرة ٧ـ طلحة ٨ـ عمّار ٩ـ ابن عبّاس ١٠ـ بريرة ١١ـ ابن عمر ١٢ـ مالك بن الحويرث ١٣ـحبشي بن جنادة ١٤ـ جرير ١٥ـ سعد بن أبي وقّاص ١٦ـ أبو سعيد الخدري ١٧ـ أنس بن مالك ١٨ـ جندع الأنصاري ١٩ـ قيس بن ثابت ٢٠ـ حبيب بن بديل بن ورقاء ٢١ـ يعلى بن مرّة ٢٢ـ يزيد بن شراحيل الأنصاري ـ رضي الله عنهم ـ.

فالأوّل: أخرجه الترمذي في سننه، والاثنان بعد: أخرجه أحمد في المسند، والستّة بعدهما: أخرجه البزّار، والسبعة بعدهم: أخرجه الطبراني، والسابع عشر: أخرجه أبو نعيم، والباقون: أخرجه ابن عقدة في كتاب «الموالاة». وأخرج ابن عساكر في التاريخ عن عمر بن عبد العزيز قال: حدّثني عدّة أنّهم سمعوا رسول اللهﷺ يقول ذلك. وذكر محمّد عبدالقادر عطا المحقّق: أورده السيوطي في الأزهار المتناثرة عن ثمانية عشر نفساً. وأورده الكتاني في نظم المتناثر كتاب المناقب وقال: ورد أيضاً من حديث البراء بن عازب وأبي الطفيل وحذيفة بن أسيد الغفاري وجابر. وفي رواية لأحمد أنّه سمعه من النَبيّﷺ ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعلي لما نوزع أيّام خلافته.

وممّن صرح بتواتره أيضاً النهاوندي في السير نقلا عن السيوطي، وشارح المواهب اللدنية وفي الصفوة للمناوي قال: الحافظ ابن حجر: حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» أخرجه الترمذي والنسائي وهو كثير الطرق جدّاً، وقد استوعبها ابن عقدة في مؤلف مفرد، وأكثر أسانيدها صحيح أو حسن. وأنظر الحديث في مسند أحمد ابن حنبل: ج١/ ٨٤ و١١٨ و١١٩ و١٠٢ و٣٣٠، و ج٤/٢٨١ و٣٦٨ و٣٧٠، و ج٥/ ٣٤٧ و٣٥٠ و٣٥٨ و٣٦١ و٣٦٦ و٣٧٠ و٤١٩.

وروى سعدُ بن أبي وقّاص، وأبو هريرة، وسهل بن سعد، وبريدة الأسلمي، وأبو سعيد الخدريّ، وعبد الله بن عمر، وعمران بن الحصين، وعبد الرحمن، وسلمة بن الأكوع؛ كلّهم بمعنىً واحد، عن النبيّ ﷺ أنّه قال يوم خيبر: «لأُعطِيَنّ الرايةَ غداً رَجُلا يُحبّ اللهَ ورسولَهُ، ويُحبُّهُ اللهُ ورسولُهُ، ليسَ بِفَرّار يفتحُ اللهُ على يديه» ثمّ دعا بعليٍّ وهو أرمدُ، فتفلَ في عينيه وأعطاهُ الرايةَ، ففتحَ اللهُ عليه[١].

وقال ابن عبد البَرّ: وهي كلُّها آثارٌ ثابتةٌ.

وبعثهُ رسولُ الله ﷺ إلى اليَمَنِ - وهو شابٌّ - ليقضيَ بينَهم، فقال: يا رسولَ الله إنّي لا أدري ما القضاءُ! فضربَ رسولُ الله ﷺ بيدهِ صدرَهُ، وقال: «اللّهمّ اهْدِ قلبَهُ وسدِّدْ لسانَهُ».

قال عليٌّ: فواللهِ ما شَكَكْتُ بعدَها في قضاء بينَ اثنين[٢].

ولمّا نزلتْ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣] دعا رسولُ الله ﷺ فاطمةَ وعليّاً وحسناً وحُسيناً [ﷺ] في بيتِ أُمّ سلمة، وقال: «اللّهمّ إنّ هؤلاء أهلُ بيتي فأذْهِبْ عنهم الرِجْسَ وطهّرهم تَطهيراً»[٤].

---

(١) الاستيعاب: ج٣/ ١٠٩٩-١١٠٠.

(٢) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٠.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) الاستيعاب: ج٣/١١٠٠، وانظر صحيح مسلم: ج٤/١٨٨٣، صحيح ابن حبّان: ج١٥/٤٣٢-٤٣٣، فضائل الصحابة لأحمد: ج٢/٥٧٧ و٥٨٧ و٦٠٢ و٦٣٢ و٦٩٩، السنن الكبرى للبيهقي: ج٢/١٤٩-١٥٢، الاستيعاب: ج٣/٣٧، والصواعق المحرقة: ٨٥، تحفة الأحوذي: ج١٠/٢٨٩ و٣٧٢، الكنى للبخاري: ٢٥، كفاية الطالب: ١٣ و٦٠ و٢٢٧ و٢٣٣، شرح ابن أبي الحديد: ج٤/١١. والحديث هذا دليل على عصمتهم ﷺ وطهارتهم، وأنّهم أهل بيت النبيّ ﷺ خاصة دون غيرهم من الأقرباء والنساء، فراجع الكتب المفصلة في هذا الباب والمصادر هذه.

وروتْ طائفة من الصحابة أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ: «لا يُحِبُّك إلاّ مُؤمنٌ، ولا يُبغضُك إلاّ مُنافقٌ»[١].

وكان عليٌّ ﷺ يقول: «والله، إنّهُ لعهدُ النبيّ الأُمّيّ أنّهُ لا يُحِبُّني إلاّ مؤمنٌ، ولا يُبْغِضُني إلاّ مُنافقٌ»[٢].

وقال له رسول الله ﷺ: «يا عليُّ، ألا أُعلّمُك كلمات إذا قلتَهُنّ غَفَرَ اللهُ لك، مع أنّهُ مغفورٌ لَكَ» قال: بَلى، قال: «قُلْ: لا إلهَ إلاّ اللهُ الحكيمُ العليمُ، لا إله إلاّ اللهُ العليُّ العظيمُ، لا إله إلاّ اللهُ ربُّ السماواتِ وربُّ العرشِ الكريم»[٣].

وقال له رسول الله ﷺ: «يهلكُ فيك رَجلان: مُحِبٌّ مُفْرطٌ وكَذّابٌ مُفْتَرٍ»[٤].

وقال له: «تفترقُ فيك أُمّتي كما افترقَتْ بنُو إسرائيل في عِيسى»[٥].

وقال ﷺ: «مَن أحَبَّ عليّاً فقد أحَبَّني، ومَن أبْغَضَ عَليّاً فقد أبْغَضَني، ومَن آذَى عليّاً فقد آذاني، ومَن آذاني فقد آذَى اللهَ»[٦].

---

(١) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٠.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣/ ١١٠٠، الخصائص للنسائي: ص١٤٤/ح١٠٢، السنن الكبرى: ج٦/ ٥٣٤/ ح١١٧٤٩ باب علامة الإيمان، كفاية الطالب: ٦٨.

(٣) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠١، خصائص النسائي: ص٥٥/ ح٢٥-٢٦.

(٤) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠١، خصائص النسائي: ص٥٥/ ح٢٥-٢٦.

(٥) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠١.

(٦) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠١، مجمع الزوائد: ج٩/ ١٣٢، مستدرك الصحيحين: ج٣/ ١٣٠، المناقب للخوارزمي: ٣٠، منتخب كنز العمّال: ج٥/ ٣٠، تذكرة الخواص: ٢٨، لسان الميزان: ج٢/ ١٠٩.

وروى ابن عبد البرّ عن جماعة، أنّه: قيلَ لأبي بكر وعليّ يوم بدر، مع أحدكما جبرئيل ومع الآخر ميكائيل[١].

قال ابن عبد البَرّ: وقد روي أنّ جبرئيل وميكائيل مع عليّ، والأوّل أصحّ[٢]. هذا كلامه.

قلت: بل الأصحّ القول الأخير، لأنّ عليّاً عليه السلام هو الّذي لاقَى الحربَ والعدوَّ يومَ بدر بنفسه، وأبو بكر مُستظلّ في العريش مع رسول الله صلى الله عليه وآله وجبرئيل وميكائيل عليهما السلام إنّما أنزلهما الله مَدَداً في الحرب، وأولى بهما مَن اصطلى بِنارِها وانغمسَ في غِمارها، وهو عليٌّ عليه السلام دون أبي بكر.

قال ابن عبد البَرّ: ورُوِيَ عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أنا مدينةُ العلم وعليٌّ بابُها، فمن أرادَ العلمَ؛ فليأتِ مِن بابِها»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله في أصحابه: «أقضاهُم عليُّ بن أبي طالب»[٤].

وقال عمر بن الخطّاب: عليٌّ أقضانا، وأُبيّ أقرؤُنا[٥].

وكان عمرُ يتعوّذُ من معضلة ليسَ فيها أبو الحسن[٦].

---

(١) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠١.

(٢) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠١.

(٣) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٢، وأنظر المناقب للخوارزمي: ٤٠، المستدرك على الصحيحين: ج٣/١٣٧/ح٤٦٣٧ و٤٦٣٨، تاريخ دمشق: ج٤٢/٣٧٩: ٨٩٧٨، الصراط المستقيم: ج٢/١٩.

(٤) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٢.

(٥) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٢.

(٦) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٣، وأنظر فضائل الصحابة: ج٢/ ٦٤٧/ ح١١٠٠، والمناقب للخوارزمي: ٥١، أنساب الأشراف: ج٢/ ٣٥١، المناقب لابن شهراشوب: ج٢/ ٣٩، كفاية الطالب: ٢١٧ و٢٢٦ و٢٢٧ والثابت: ليس لها... .

وقال في المجنونة الّتي أمر عمر بِرَجْمِها، وفي الّتي وضعتْ لستّة أشهر، فأراد عمر رَجْمَهما، فقال عليه السلام: إنّ الله يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[1] وقال له: «إنّ الله رفع القلم عن المجنون»... الحديث.

وكان عمر يقول: «لولا عليٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ»[2].

وقد روي مثل هذه القضيّة لعثمان مع ابن عبّاس والله أعلم[3].

وروى ابن عبد البَرّ عن عبد الله ـ أحسبه ابن مسعود ـ قال: كنّا نتحدّث أن أقضى أهل المدينة عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِب[4].

وعن سعيد بن المسيب قال: ما كان أحدٌ من الناس يقول: «سَلُونِي» غير عَلِيّ بن أَبِي طالِب عليه السلام[5].

وعن عبد الملك ابن أبي سليمان، قال: قلتُ لعطاء: أكان في أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أحدٌ أعلم من علي ؟ قال: لا والله ما أعلمه[6].

وعن عائشة، قالت: من أفتاكم بصوم عاشورا ؟ قالوا: علي، قالت: أما إنّه أعلم الناس بِالسُنّة[7].

وروى بإسناده أوصله إلى ابن عبّاس قال: لقد أُعطِيَ عليٌّ تسعةَ أعشار العلم، وأيمُ اللهِ، لقد شارككُم في العُشر العاشر[8].

---

(١) الأحقاف: ١٥.

(٢) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٣.

(٣) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٣.

(٤) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٣.

(٥) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٣.

(٦) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٤.

(٧) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٤.

(٨) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٤.

وعن عبد الله ـ أحسبه ابن مسعود ـ قال: أعلمُ أهل المدينة بالفرائض عَلِيٌّ بن أَبِي طالِب[١].

وعن المُغيرة: ليس أحدٌ منهم أقوى قولا في الفرائض من عليٍّ، وكان مُغيرة صاحب فرائض[٢].

وروى عن زِرّ بن حُبَيْش قال: جلس رجلان يتغدّيان، مع أحدهما خمسةُ أرغفة، ومع الآخر ثلاثةُ أرغفة، فلمّا وَضَعا الغداء بينَهما مَرَّ بهما رجلٌ فسلّم، فقالا: اجلس للغداء، فجلس وأكل معهما، واستوفَوا في أكلهم الأرغفةَ الثمانيةَ، فقامَ الرجلُ وطرح إليهما ثمانية دراهم وقال: خذا هذا عوضاً عمّا أكلتُ لكُما، ونِلتُهُ من طعامِكما.

فتنازَعا، وقال صاحبُ الخمسة الأرغفة: لي خمسةُ دراهم ولك ثلاثٌ.

فقال صاحبُ الأرغفة الثلاثة: لا أرضى إلاّ أن تكونَ الدراهمُ بينَنا نِصفين.

وارتفعا إلى أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام عَلِيّ بن أَبِي طالِب فقصّا عليه القصّةَ، فقال لصاحب الثلاثة: «قد عَرَضَ عليك صاحبُك ما عَرَضَ، وخبزُهُ أكثرُ من خبزِك، فارْضَ بالثلاثة».

فقال: لا والله لا رضيتُ منه إلاّ بِمُرّ الحقّ.

فقال عليه السلام: «ليس لك من مُرّ الحقّ إلاّ درهمٌ واحدٌ، وله سبعةٌ»!

فقال الرجل: سُبحان الله يا أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ، هو يعرض عليَّ ثلاثة فلم أرْضَ، وأشرتَ عليَّ بأخذها فلم أرْضَ، وتقول لي الآن: إنّه لا يجبُ لي في مُرّ الحقّ إلاّ درهمٌ واحدٌ!

---

(١) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٤.

(٢) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٥.

فقال عليه السلام: «عرضَ عليك صاحبُك أنْ تأخُذَ الثلاثةَ صُلحاً، فقلتَ: لا أرضى إلاّ بِمُرّ الحقّ، ولا يجبُ لك في مرّ الحقّ إلاّ واحدٌ».

فقال الرجل: فعرّفني بالوجه في مُرِّ الحقّ حتّى أقبلَه.

فقال عليٌّ (رضي الله عنه): «أليسَ الثمانيةُ الأرغفةُ أربعةً وعشرين ثُلُثاً أكلتموها وأنتم ثلاثةُ أنفس، ولا يعلمُ الأكثرُ منكُم أكلا، ولا الأقلُّ، فتحملون[1] في أكلكم على السواء»،

قال: بلى.

قال: «فأكلتَ أنتَ ثمانيةَ أثلاث، وإنّما لَكَ تسعةُ أثلاث، وأكل صاحبُك ثمانيةَ أثلاث، وله خمسةَ عَشَرَ ثُلثاً، أكلَ منها ثمانية، ويبقى له سبعةٌ [أكلها الرجل] وأكلَ لك واحداً من تسعة؛ فلكَ واحدٌ بواحِدِك، وله سبعةٌ[2]».

فقال الرجل: رضيتُ الآن[3].

وأقول: هذه المسألة لو غَلْغَلَ الفكر، وأنعم النظر في مبانيها الدهر المُتطاول؛ ما اهتدى إلى ما أفتى به عليٌّ عليه السلام في أوّل خاطر، وأقرب نظر، وأيسر فكر، والأحوذيُّ اليوم مَنْ فهمها بعد التفهيم، وعلمها عند التعليم، **﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**[4].

وروى عن أذينة بن سلمة قال: أتيتُ عمر بن الخطّاب أسألُهُ[5] فقال: ايت عليّاً فاسأله، ثمّ قال: ما أجدُ لك إلاّ ما قال عليٌّ[6].

---

(١) المصدر: فتجعلون.

(٢) المصدر زيادة: بسبعته.

(٣) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٥-١١٠٦.

(٤) الحديد: ٢١، الجمعة: ٤.

(٥) المصدر زيادة: أسأله من أين اعتمر؟.

(٦) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٦.

وعن عائشة مثله، وقد سألَها شُريح بن هاني: عن المسح على الخُفّين؟ فقالت: ايتَ عليّاً فاسأله[1].

وروى عن أبي الطفيل قال: شهدتُ عليّاً يخطبُ وهو يقول:

«سَلُوني، فواللهِ لا تسألُوني عن شيء إلاّ أخبرتُكُم، واسألُوني عن كتاب الله، فواللهِ ما من آية إلاّ وأنا أعلمُ أبليل نزلتْ أم بِنهار، أم في سهل أم في جبل»[2].

وقال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص: قلتُ لعبد الله بن عيّاش ابن أبي ربيعة: يا عَمُّ، لِمَ كان صَفْوُ الناس إلى عليٍّ؟ فقال: يابنَ أخي، إنّ عليّاًعليه السلام كان لهُ ما شئتَ من ضرس قاطع في العلم، وكان له البسطةُ في العشيرة، والقدمُ في الإسلام، والصهرُ لرسول الله صلى الله عليه وآله والفقهُ والسُنّةُ، والنجدةُ في الحرب، والجودُ في الماعون.

قلتُ: ما أحسنَ الانصاف هذا الّذي وصف به ابن أبي ربيعة أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام ثناءٌ كلّه حقٌّ، وكلامٌ له صدقٌ، وقد جمعتْ هذه الكلمات ذكرها ابن أبي ربيعة أوصافَ الثناء، وشملتْ على قِصَر ألفاظها كلّ معنىً.

وروى ابن عبد البَرّ في كتابه: أنّ مُعاوية قال لِضِرارِ الصُّدائيّ: صِفْ لي عليّاً، قال: اعْفُني، قال: لَتَصِفنّهُ!.

قال: إذا لابُدّ من وَصْفِهِ؛ فكانَ ـ والله ـ بعيدَ المَدى، شديدَ القِوى، يقول فَصْلا، ويحكمُ عَدْلا، ينفجرُ العلمُ من جوانبهِ، وتنطقُ الحكمةُ من نواحيهِ، يستوحِشُ من الدُنيا وزَهرتها، ويأنَسُ بالليل ووحشتِهِ، وكانَ غَزيرَ العَبْرةِ،

---

(١) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٧.

(٢) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٧.

طويلَ الفكرةِ، ويُعجبُهُ من اللباس ما قَصُرَ، ومن الطعام ما خشنَ، كان فِينا كأحَدِنا، يُجيبنا إذا سألناهُ، ويُنبِئُنا إذا استنْبأناهُ، ونحنُ واللهِ ـ مع تقريبهِ إيّانا وقُربهِ مِنّا ـ لا نكادُ نكلّمُهُ هَيْبَةً لهُ، يُعظّمُ أهلَ الدين، ويُقرّبُ المَساكينَ، لا يَطمعُ القَويُّ في باطِلِهِ، ولا ييْأسُ الضعيفُ من عدلِهِ، وأشهدُ لقدْ رأيتُهُ في بعض مواقفه، وقد أرخى الليلُ سُدولِهُ، وغارَتْ نُجومُهُ، قابِضاً على لِحيتهِ، يَتمَلْمَلُ تَملمُلَ السليمِ، ويَبكي بُكاءَ الحزينِ، ويقول:

«يا دُنْيا غُرّي غيري، أَلِي تعرّضتِ أم إليَّ تَشوّفتِ؟

هَيْهاتَ هَيْهاتَ! قد بايَنْتُكِ ثلاثاً لا رَجعةَ فِيها؛ فعُمْرُكِ قَصيرٌ، وخَطَرُكِ قليلٌ.

آه من قِلّةِ الزادِ، و بُعْدِ السَفَرِ، ووَحْشَةِ الطريقِ».

قال: فبكى معاويةُ وقال: رحم اللهِ أبا الحسن، كان والله كذلكَ.

فكيفَ حُزْنُكَ عليهِ؟ يا ضِرارُ؟.

قال: حُزْنَ مَنْ ذُبِحَ واحِدُها في حِجْرِها[1].

وكان مُعاويةُ يكتبُ في ما ينزلُ به من الحوادث ليُسألَ له عليٌّ ﷺ عن ذلك، فلمّا بلغه قتلُهُ قال: ذَهَبَ الفِقهُ والعلمُ بموتِ ابن أبي طالب.

فقال له أخوه عُتبةُ: لا يَسْمَعُ مِنك هذا أهلُ الشام، فقال: دَعْني عَنْك[2].

وروى أبو سعيد الخدريّ وغيره، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «تمرُقُ مارقةٌ في حين اختلاف من المسلمين يقتلَها أولَى الطائفتينِ بالحقّ»[3].

---

(١) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٧-١١٠٨.

(٢) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٨.

(٣) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٨.

وقال طاوُس: قيلَ لابن عبّاس: أخبرنا عن أصحاب رسول الله ﷺ.

أخبرنا عن أبي بكر؟

قال: كان ـ والله ـ خيراً كلّه مع حِدّة كانتْ فيه.

قلنا: فعمر؟

قال: كان ـ والله ـ كيّساً حذِراً كالطير الحذر الّذي قد نصب له الفَخُّ[1] فهوَ يراهُ، ويخشى أن يقعَ فيه، مع العُنْفِ في شدّةِ السياقِ.

قلنا: فعُثمان؟

قال: كان ـ والله ـ صَوّاماً قَوّاماً من رجل غلبته رقدتُهُ.

قُلنا: فعليٌّ؟

قال: كان ـ والله ـ قد مُلِيءَ عِلماً وحِلماً من رجلٌ غرّتهُ سابقتُهُ وقرابَتُهُ[2].

وروى عن حنطب، قال: قال رسول الله ﷺ ـ لوفد ثقيف إذْ جاؤُوهُ ـ: «لَتُسْلِمَنّ ـ أوْ لأبْعَثَنّ رَجُلا مِنّي ـ أو قال: مثلَ نفسي فليضْرِبَنّ أعْناقَكُمْ ولَيَسْبِيَنّ ذَرارِيَكُم، ولَيَأْخُذَنّ أمْوالَكُمْ».

قال عمر: فوالله، ما تمنّيتُ الإمارةَ إلاّ يومئذ، وجعلتُ أنصبُ صدري رجاءَ أن يقولَ: «هو هذا» قال: فالتفتَ إلى عليٍّ، فأخذ بيده ثُمّ قال: «هُوَ هَذا، هُوَ هَذا»[3].

وروى عن جابر، قال: ما كُنّا نعرفُ المُنافقين إلاّ ببُغْضِ عَلِيّ بن أَبي طالِب[4].

---

(١) في المصدر: «الشرك» بدل «الفخ».

(٢) الاستيعاب: ج٣/ ١١٠٩.

(٣) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٠.

(٤) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٠.

وسُئِلَ الحسنُ بن أبي الحسن البصريُّ عن عَلِيّ بن أَبِي طالِب عليه السلام؟

فقال: كان عليٌّ ـ والله ـ سهماً صائباً من مرامى الله على عدوِّهِ، وربّانيَّ هذه الأُمّة، وذا فضلِها، وذا سابقتِها، وذا قرابَتِها من رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن بالنومة[1] عن أمر الله، ولا بالملومة في دين اللهِ، ولا بِالسَرُوقة لِمال الله، أُعْطِي القرآن عزائمَهُ؛ ففازَ منهُ بِرياض مونقة، ذلكَ عليُّ بن أبي طالب، يا لُكَعُ[2].

ومن سيرته كانَ إذا قدمَ عليه مالٌ لم يَبْقَ منهُ شيءٌ إلاّ قسّمَهُ، ولا يتركُ في بيتِ المالِ منهُ إلاّ ما يعجُزُ عن قسمتهِ في يومِهِ ذلكَ، ويقول: «يا دُنْيا غُرّي غَيْري» ولم يكُنْ يَستأثرُ الفيءَ بشيء حميماً ولا قريباً.

ولا يخصّ بِالولايات إلاّ أهلَ الدياناتِ والأماناتِ، وإذا بلغه عن أحدهم خيانةٌ كتب إليه: ﴿قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ﴾[3] ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[4] «إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظْ بِما في يدكَ من عملنا حتّى نبعثَ إليك من يتسلّمهُ منك».

---

(١) النومة ـ بالتحريك ـ: الخامل الذكر الّذي لا يؤبه له، وقيل النُّومة ـ بالتحريك ـ: الكثير النوم، وأمّا الخامل الّذي لا يؤبه له فهو بالتسكين. وقيل لعليٍّ عليه السلام: ما النومة؟ قال: «الذي يسكت في الفتنة فلا يبدو منه شيء». النهاية لابن الأثير: ج٥/ ١٣١.

(٢) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٠.

(٣) الأعراف: ٨٥.

(٤) هود: ٨٥-٨٦.

ثمّ يرفع رأسه إلى السماء، فيقول: «اللهمّ إنّك تعلمُ أنّي لمْ آمرْهُم بِظُلم خلقِكَ، ولا بِتَركِ حَقّكَ»[١].

وخُطَبُهُ ومواعِظُهُ ووصاياهُ لِعُمّالهِ كثيرةٌ مشهورةٌ، لم أرَ التعرّضَ لِذكرها، لِئلاّ يطولَ الكتابُ، وهيَ حِسانٌ كُلّها[٢].

هذا كلامُ ابن عبد البَرّ.

قال رحمه الله تعالى: وثبت عن الحسن بن عليّ ﷺ أنّه قال: «لم يتركْ أبي إلاّ ثمانيَ مِائة درهم ـ أو سبعمِائة درهم ـ فضلتْ من عَطائه، كان يُعِدُّها لخادم يشتريها لأهله».

وأمّا تقشُّفُهُ في لِباسِهِ ومطعَمِهِ؛ فأشهرُ من هذا كلّه، والتوفيقُ بالله والعصمةُ[٣].

وروى بإسناده عن عبد الله بن أبي الهذيل، قال: رأيتُ عليّاً خرج وعليه قميصٌ غليظٌ دارسٌ[٤] إذا مَدَّ كُمَّ قميصه بَلَغَ الظفر[٥] وإذا أرسله صارَ إلى نصف الساعِدِ[٦].

وروى عن أبجر بن جُرْمُوز، عن أبيه، قال: رأيتُ عَلِيّ بن أَبِي طالِب (رضي الله عنه) يخرجُ من مسجد الكوفة وعليه قَطَرِيّتان[٧] مؤتزراً بواحدة

---

(١) الاستيعاب: ج٣/ ١١١١.

(٢) الاستيعاب: ج٣/ ١١١١.

(٣) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٢.

(٤) في الأولى: (مراري) بدل: دارس.

(٥) في الأولى: إلى الظهر.

(٦) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٢، وفي المصدر: «مرادي» بدل «قميص غليظ دارس».

(٧) قطريتان: ضرب من البرود فيه حمرة، ولها أعلام فيها بعض الخشونة، وقيل: هي حلل جياد تحمل من قبل البحرين، وقال الأزهري: في أعراض البحرين قرية يقال لها: قطر، وأحسب الثياب القطرية نسبت إليها، فكسروا القاف للنسبة وخفّفوا، انظر مادة: قطر. «النهاية لابن الأثير: ج٤/ ٨٠».

ومُرتدياً بالأخرى، وإزارُهُ إلى نصفِ ساقِهُ، وهو يطوفُ بالأسواق ومعه دِرّةٌ، يأمُرُهُم بِتَقوى الله وصدقِ الحديث، وحسن البيع، والوَفاء بِالكيلِ والميزان[1].

وروى عن مجمع التيميّ: أنّ عليّاً عليه السلام قسّمَ ما في بيتِ المال بينَ المسلمين، ثمّ أَمَرَ بِهِ فَكُنِسَ، ثمّ صلّى فيه رجاءَ أن يشهدَ له يومَ القِيامَةِ[2].

وروى عن عاصم بن كُلَيْب، عن أبيه، قال: قَدِمَ على عَلِيٌّ ابن أَبي طالِب عليه السلام مالٌ من أصبهان، فقسّمهُ بِسبعةِ أسباع، فوجد فيه رغيفاً، فقسّمهُ سبعَ كِسَر، وجعل على كلّ جزء كسرةً، ثمّ أقرعَ بينَهم: أيّهم يُعطى أوّلا.

وأخبارُهُ عليه السلام في مثل هذا من سيرته لا يُحيطُ بِها كتابٌ[3].

عن أبي عمرو ابن العلاء، عن أبيه، عن جدّه قال: سمعتُ عَلِيّ بن أَبِي طالِب، يقول: «ما أصبتُ من فيئِكم إلاّ هذهِ القارُورَة، أهداها إليَّ الدِهقانُ» ثُمّ نزل إلى بيت المال، ففرّق كلّ ما فيه، ثمّ جعل يقول:

أفلـحَ مـن كـانَ لـهُ قَوْصَـرّه ... يأكُـلُ مِنهـا كُـلّ يـوم مَـرّه[4]

وروى عن عنترة الشيبانيّ، قال: كان عليٌّ يأخذ في الجزيةِ والخراجِ ـ من أهل كُلّ صناعة ـ من صناعتهِ، وعمل يدِهِ، حتّى يأخذ من أهل الإبر، والمسالّ، والخيوط، والحبال، ثمّ يقسّمه بين الناس، ولا يدعُ في بيت المال مالا يبيتُ فيه حتّى يقسّمه، إلاّ أن يغلبَهُ شغلٌ، فيُصبحُ إليه، وكان ينادي: **«يا دُنْيا لا تغرّيني، غُرّيْ غَيْرِي»**.

---

(١) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٢.

(٢) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٢.

(٣) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٣.

(٤) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٣.

وكان يقول:

هــذا جنــايَ وخِيــارُهُ فِيْــهْ إذْ كُــلُّ جــان يَــدُهُ إلى فِيْــهْ[١]

وروى عن أبي حيّان التيميّ، عن أبيه، قال: سمعتُ عَلِيّ ابن أَبِي طالِب على المنبر، يقول: «مَنْ يَشْتَرِي مِنّي سَيْفِي هَذا؟ فَلَوْ كانَ عِندي ثَمَنُ إزار ما بِعْتُهُ» فقال رجلٌ: أنا أُسْلِفُكَ ثَمَنَ إزار.

وكان بيده الدُنيا كُلّها إلاّ ما كان من الشام[٢].

وروى عن حُذيفة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنْ ولّوا عليّاً فَهادِياً مَهْدِيّاً»[٣].

وروى عن ابن كعب بن عُجرة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «عليٌّ مُخْشَوْشِنٌ في ذاتِ الله تعالى»[٤].

وروى عن عطاء، قال: رأيتُ على عليٍّ قميصَ كَرابيس[٥] غير غَسِيل[٦].

وروى عن ابن أبي الهذيل، قال: رأيتُ على عليٍّ عليه السلام قميصاً رازيّاً، إذا أرخى كُمَّهُ بَلَغَ أَطرافَ أَصابِعِهِ، وإذا أطلقهُ صارَ إلى الرُسْغ[٧].

قال ابن عبد البَرّ رحمه الله تعالى: وفضائله عليه السلام لا يُحيطُ بها كتابٌ، وقد أكثر الناسُ من جمعها، فرايتُ الاختصارَ منها على النُكتِ الّتي تحسُنُ المُذاكرةُ

---

(١) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٤.

(٢) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٤.

(٣) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٤.

(٤) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٤.

(٥) كرابيس: جمع كرباس وهو القطن، انظر مادة كربس. «النهاية لابن الأثير: ج٤/ ١٦١».

(٦) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٥.

(٧) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٥.

بِها، وتدُلُّ على ما سواها من أخلاقه وأحواله وسيرته[(١)].

وروى عن أبي قيس الأوْديّ، قال: أدركتُ الناسَ وهم ثلاث طبقات: أهلُ دين يُحبّون عليّاً، وأهلُ دنيا يُحبّون معاوية، وخوارجٌ[(٢)].

وقال أحمد ابن حنبل، وإسماعيل بن إسحاق القاضي: لمْ يُرْوَ في فضائل أحَد من الصحابة، بِالأسانيد الحِسانِ، ما رُوِيَ في فضائل عَلِيّ بن أَبِي طالِب.

وكذلك قال أحمد بن شعيب بن علي النَسَويّ رحمه الله تعالى[(٣)].

ورد عن الطبريّ يرفعه بإسناده عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، قيل: لسهل بن سعيد: إنّ أمير المدينة يريد أن يبعث إليك لتسبّ عليّاً عند المنبر، قال: أقول ماذا؟

قال: تقول أبا تراب!، فقال: والله ما سمّاهُ بذلك إلاّ رسولُ الله ﷺ.

قال: قلتُ: كيفَ ذاك يا أبا العبّاس؟

قال: دخل عليٌّ على فاطمة، ثمّ خرجَ من عندها، فاضطجَعَ في صحن المَسجد، فدخلَ رسولُ الله ﷺ على فاطمة فقال: «أينَ ابنُ عمّك؟».

قالتْ: هو ذاك مضطجعٌ في المسجد، قال: فجاءَهُ رسولُ الله ﷺ وقد سَقَطَ رداؤُهُ عن ظهرِهِ، وخلصَ الترابُ إلى ظهرِهِ، فجعلَ يمسحُ التُراب عن ظهره، ويقول: «اجلسْ أبا تُراب»[(٤)] واللهِ ما سمّاهُ إلاّ رسولُ الله ﷺ ما كان اسمٌ أحبَّ إليه منهُ[(٥)].

---

(١) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٥.

(٢) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٥.

(٣) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٥.

(٤) صحيح البخاري: ج١٤/ ٢٤٣ كتاب بدء الخلق باب مناقب عَلِيّ بن أَبِي طالِب.

(٥) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٨.

وروى عن عامر بن عبد الله بن الزبير: أنّه سَمِعَ ابْناً لهُ ينتقِصُ عليّاً، فقال: يا بُنيَّ، إيّاك والعودةَ إلى ذلك، فإنّ بَنِي مَرْوان شَتَمُوهُ سِتّين سنةً، فلم يزدْهُ اللهُ بذلك إلاّ رفعةً، وإنّ الدينَ لم يَبْنِ شيئاً فهَدَمَتْهُ الدُنيا، وإنّ الدُنيا لم تَبْنِ شيئاً إلاّ عادَتْ على ما بَنَتْ فهَدَمَتْهُ[1].

وروى عن ابن عبّاس: بينا أنا أمْشي مَعَ عمر يَوماً إذْ تَنَفّسَ نَفَساً ظَنَنْتُ أنّهُ قد قُضبت أظلاعه، فقلت: سبحان الله! واللهِ ما أخرجَ هذا منكَ يا أَميرَ المُؤْمِنِيْنَ إلاّ أمرٌ عظيمٌ.

قال: وَيْحك يابنَ عبّاس! ما أدري ما أصنعُ بِأُمّة محمّد ﷺ.

فقلت: ولِمَ؟ وأنتَ بِحمد الله قادِرٌ على أن تَضَعَ ذلكَ مَكانَ الثقةِ؟

قال: إنّي أراكَ تقول: إنّ صاحِبَكَ أولى الناسِ بِها ـ يعني عليّاً عليه السلام ـ.

قلتُ: أجلْ، واللهِ إنّي لأقولُ ذلكَ في سابِقَتِه وعِلمهِ وقَرابَتِهِ وصهْرِهِ.

قال: إنّهُ كما ذكرتَ، ولكنّهُ كثيرُ الدعابَةِ[2].

قلتُ: هذا حيفٌ ظاهِرٌ من عُمَر! وما أرادَ بِهذهِ الدعابَة؟

وهلْ تجدُ الدعابةُ إلى أَمِير المُؤمِنِيْنَ طريقاً!؟

وأينَ موضعها منهُ، أو كيف يتّصفُ بها مَنْ قال لِعَمْرو بن العاص:

«عجباً لابن النابغة، يزعَمُ لأهل الشام أنَّ فيَّ دعابةً، وأنّي امرؤٌ تلعابةٌ أُعافِسُ وأُمارِسُ.

لقد قال باطِلا ونَطَقَ آثِماً، أما ـ والله ـ ليمنعُني من اللعِبِ ذِكْرُ الموتِ، وإنّهُ ليمنعُهُ من قول الحقّ نِسيانُ الآخِرَةِ»[3].

---

(١) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٨.

(٢) الاستيعاب: ج٣/ ١١١٩.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٨٤: ص١١٥.

فكيف يجوزُ لِعُمَر وصفُ أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام بالدعابَةِ، وقد حكم عليٌّ واصِفَهُ بِها بِالإِثم وقول الباطل؟ فيجبُ أن يتّصفَ عمرُ بِذلك؛ لأنّهُ أوّلُ مَنْ أطلقها عليهِ[1].

قال ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى: كان عُمَرُ يقولُ في عليٍّ عليه السلام: إنّ فيه دعابة. وعنه أخذها عَمْرُو بنُ العاص!.

ومَنْ نظرَ في أحوال أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام وما كان عليه من العبادة والجدّ فيها، والاشتغال بأنواعها من الصلاة والصيام والجهاد والعلم والبكاء من خشية الله، كما وصفه ضِرارٌ الصدائي؛ فأين موضعُ الدعابة من أحواله؟ فكيف يتطرّقُ إلى شيء من أقواله؟ وأحوالُهُ بِالعبادة مشهورةٌ وأقوالهُ بِالحكمةِ مأثورةٌ[2].

وهذه جملةٌ ممّا ذكرهُ ابن عبد البَرّ في كتاب (الاستيعاب) من فضل عليٍّ عليه السلام.

ومن نظرَ بعين الإنصاف؛ كفاهُ القليلُ، ومن ركِبَ متنَ الاعتساف؛ لم ينتفِعْ بالتطويل.

---

(١) وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٢١-٢٢٣. و ما نقله ابن أبي الحديد، عن الجوهريّ بسنده عن الزهريّ عن مالك بن أوس بن الحدثان. والحديث ورد بطوله في صحيح مسلم: ج٥/١٥١-١٥٣) ولكن فيه وصف عمر لأبي بكر وكذا وصف نفسه، في الموضعين: بما نصّه « فرأيتُماهُ كاذِباً آثِماً غادِراً خائِناً» و« رأيتُماني كاذِباً آثِماً غادِراً خائِناً»!!!.

وأورد البخاري الحديث في الصحيح في ثلاثة مواضع في: ج٩/ ١٢٢، وفيه: «تزعمان أن أبا بكر كذا» وفي: ج٤/ ٧٩ و ج٨/ ١٨٥، وفي هذين الموضعين حذف العبارات المذكورة كلّها!!!.

هذا مع أنّ السند المذكور في صحيح مسلم وفي المواضع المذكورة في صحيح البخاريّ هو واحدٌ ينتهي إلى الزُهريّ ابن شهاب، عن مالك بن أوس بن الحدثان في حديثه. فلاحظ.

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ج١/ ٢٥.

العودُ إلى نقض كلام ابن العَرَبيّ

واعلمْ أنّ المَنازل الّتي ذكرها ابْن العَرَبيّ في تفضيل أبي بكر: هيَ بأنْ تكونَ دلائلَ على تفضيل عَلِيّ بن أَبِي طالِب عليه السلام على أبي بكر أولى من العكس، لأنّ كلّ منزلة منها لعليٍّ عليه السلام فيها اليدُ البيضاءُ، والقَدَحُ المُعلّى، وما لو ذكرناه مفصّلا لاستأنفنا كتاباً مكمّلا.

وقد أشرنا إلى ما ذكره الإمامُ المنصورُ بالله عليه السلام من الأخبار الواردة في كتب الفقهاء[1] دونَ ما اختصّ به العترةُ الأطهارُ وأتباعُهم الشيعةُ الأبرارُ، وفي ذلك كتبٌ مستقلّةٌ بِذواتها، وتصانيفُ مجرّدةٌ لمُودَعاتها، وإنّما أردنا الإشارةَ إلى فضل الإمام الشهيد، وهي كافية **﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾**[2].

فهذا ما أوردناه من الكلام في الركن الأوّل.

---

(١) راجع الرسالة النافعة للإمام المنصور بالله ضمن المجموع المنصوري: ج٢/ ٣٩٨-٤٤٧.

(٢) ق: ٣٧.

وأمّا الركن الثاني
وهو في الدليل على إمامته عليه السلام

فَلَنا ـ على صحّتها، وثُبوتها، واستقرارها فيه، وقوّتها ـ أدلّةٌ كثيرةٌ، وبراهينُ وفيرةٌ، وقد ذكرها أئمّتنا عليهم السلام وفصّلها علماؤُنا السادةُ الأعلامُ، و أُشيرُ هيهنا إلى الآية والخبر:

وأمّا الآية: فقولُهُ تعالى: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[1].

والكلامُ من هذه الآية يقعُ في موضعين:

الأوّلُ: أنّ المرادَ بها أَمِيرُ المُؤْمِنِيْنَ دون غيره.

والثاني: أنّ ذلك هو معنى الإمامة.

---

(١) المائدة: ٥٥.

أمّا الموضع الأوّل
وهو أنّه عليه السلام هو المرادُ بالآية دون غيره

فالأصلُ في ذلك إجماعُ أهل النقل والتفسير، إلاّ مَن لايعتدّ به: أنّها نزلت في أمِير المُؤْمِنِيْنَ، ونحنُ نذكر في أصل نُزُولها، وسببه ما ذكره الفُقهاء، دون ما ذكره علماؤنا.

فمن الجمع بين الصحاح الستّة لرزين بن معاوية العبدريّ، في تفسير سورة المائدة. ومن صحيح النسائيّ: عن ابن سلام قال: أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلنا: إنّ قومَنا حادّونا لمّا صدّقنا اللهَ ورسولَه [وأقسمُوا أن لايكلّمونا.

فأنزل اللهُ تعالى][1] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

ثمّ أذّن بلالٌ لصلاة الظهر، فقام الناسُ يُصلّون، فمن ساجد وراكع، وإذ سائلٌ يسأل، فأعطاهُ عليٌّ خاتَمَهُ هُوَ راكِعٌ.

فأخبر السائلُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ علينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم الآية عقيبَ حِكايتهم له إعطاء عليّ عليه السلام السائلَ بأنّ عليّاً عليه السلام هو الوليُّ للمؤمنين[2].

وهذه حالٌ انضافتْ إلى قرينة مقال.

ومن كتاب مناقب الفقيه ابن المغازليّ، بإسناده في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من النسخة، وقد نبه على ذلك في هامشه بقوله: «هنا نقص سطر».

(٢) انظر العمدة لابن البطريق: ص١٦٩/ ح١٧١.

﴿رَاكِعُونَ﴾ ما رفعناه إليه، ورفعه بإسناده إلى عبد الله بن عبّاس (رضي الله عنه) قال: نزلتْ في عليٍّ عليه السلام[١].

وبالإسناد من طريق أُخرى من كتابه، رفعه إلى محمّد بن الحسن، عن أبيه، عن جدّه، في قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** قال: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾** عليُّ بن أبي طالب[٢].

وفي كتابه، بإسناده رفعه إلى أبي عيسى، رفعه إلى ابن عبّاس، قال: مَرّ سائلٌ برسول الله صلى الله عليه وآله وفي يده خاتَمٌ، قال: **«مَن أعطاكَ هذا الخاتَمَ؟»**، قال: ذاك الراكعُ، وكان عليٌّ يُصلّي.

فقال النَبيّ صلى الله عليه وآله: **«الحمدُ لله الّذي جعلَها فيَّ وفي أهل بيتي: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[٣]»**[٤] وتلا هذه الآية.

وهذا تصريحٌ بما تقدّم من الإشارة إلى معنى الوليّ، وأنّ المراد به عليٌّ دون غيره.

وكان نقش خاتَمِه عليه السلام الّذي تصدّق به: «سبحانَ مَنْ فَخْري بأنّي لَهُ عبدٌ»[٥].

وفي تفسير الثعلبيّ، وهو عمدة تفاسير الفقهاء، ورفعه إلى أبي حكيم عُتبة، والسدّيّ، وغالب، وعبد الله: إنّما عنى بقوله سبحانه: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾** عَلِيَّ بنَ أَبِي طالِب عليه السلام لأنّه مرّ به سائلٌ وهو راكع في المسجد فأعطاهُ خاتَمَهُ[٦].

---

(١) مناقب ابن المغازلي: ص٣١١/ ح٣٥٤.

(٢) مناقب ابن المغازلي: ص٣١٢/ ح٣٥٥.

(٣) المائدة: ٥٥.

(٤) مناقب ابن المغازلي: ص٣١٢/ ح٣٥٦.

(٥) مناقب ابن المغازلي: ص٣١٣.

(٦) الكشف والبيان للثعلبي: ج٤/ ٨٠ وتلاحظ الأسماء.

وبإسناده رفعه إلى عبد الله بن عبّاس قال: بينا عبد الله بن عبّاس (رضي الله عنه)جالسٌ على شفير زمزم يقول: قال رسول الله ﷺ إذْ أقبل رجلٌ مُعْتَمٌّ بعمامة، فجعل ابن عبّاس (رضي الله عنه) لايقول «قال رسول الله ﷺ» إلاّ وقال الرجل: «قال رسول الله ﷺ» فقال له ابن عبّاس: سألتُكَ بالله مَن أنْتَ؟ قال: فكشفَ عن وجهه وقال: يا أيّها الناسَ مَن عَرَفَني فقد عَرَفَني، ومَن لم يَعْرِفْني فأنا جُندب بن جُنادة البدريّ، أبو ذرّ الغُفاريّ: سمعتُ رسول الله ﷺ بهاتَيْنِ وإلاّ فصُمّتا، ورأيْتُهُ بِهاتَيْنِ، وإلاّ فعَمِيَتا يقولُ: «عليٌّ قائدُ البَرَرَةِ، وقاتلُ الكَفَرَةِ، منصورٌ مَن نَصَرَهُ، مَخْذُولٌ مَن خَذَلَهُ، أما إنّي صَلّيتُ مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيّام صلاةَ الظُهر، فسأل سائلٌ في المسجد فلمْ يُعْطَ شيئاً ـ وفي رواية: فلم يُعْطِهِ أحَدٌ ـ فرفعَ يَدَهُ إلى السماء، وقال: اللّهمّ اشْهَدْ أنّي سألتُ في مسجدِ رسولِ الله ﷺ فلم يُعْطِني أحَدٌ شيئاً.

وكان عليٌّ عليه السلام راكعاً، فأوْمَأ بِخِنْصِرهِ اليُمْنى، وكان يَتَخَتَّمُ فيها، فأقبلَ السائلُ حتّى أَخَذَ الخاتَمَ من خِنْصِره، وذلك بعينِ رسول الله ﷺ، فلمّا فَرَغَ من صلاتهِ رَفَعَ رأسَهُ إلى السماءِ وقالَ: «اللّهمّ إنّ مُوسى سألَكَ فـ﴿**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾[1] فأنزَلْتَ عليه: ﴿**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ**﴾[2] «اللّهمّ وأنا محمّدٌ نبيُّك وصفيُّك، اللّهمّ فاشرَحْ لِي صَدْرِي، ويَسِّرْ لي أمْري، واجْعَلْ لي وَزِيراً من أَهْلِي، عَلِيّاً، اُشدُدْ به ظَهْرِي».

---

(١) طه: ٢٥-٣٢.

(٢) القصص: ٣٥.

قال أبو ذرّ: فما استَتَمَّ رسولُ اللهﷺ الكلمةَ حتّى نَزَلَ جبريلُ عليه السلام من عندالله تعالى، فقال: يا مُحمّدُ اقرأ، قال: وما أقرأُ؟

قال: اقرَأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥][1].

فهذهِ نُبذةٌ من الأخبار المُتّفقِ عليها، وتركنا رواية أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم رضي الله عنهم، مع اتّساع نِطاقِها، وثُبوت مَساقِها، لِوُجودِها في كتب أئمّتنا وعلمائِنا، وثبوتها في تصانيف أهلنا وآبائنا.

(١) الكشف والبيان للثعلبي: ج٤/ ٨٠-٨١، محاسن الأزهار: ٣٠٢-٣٠٣.

وأمّا الموضعُ الثاني:
وهو أنّ ذلك يفيدُ معنى الإمامة

فلأنّ السابقَ إلى الأفهام من معنى لفظة **«وَلِيّ»** أنّهُ المالكُ للتصرّفُ، كما يُقال: «هذا وليُّ المرأة» و «وليّ اليتيم» للذي يملكُ التصرّف عليهما، فلمّا كان اللهُ تعالى مالكاً للتصرّف في عبادهِ، وكذلك الرسول ﷺ وَجَبَ ذلكَ لِعَليّ عليه السلام بِمُقتضى هذه الآية الشريفة، فثبتَ بِذلك إمامَتُهُ عليه السلام.

خبر نزول آية الولاية في غدير خُمّ

وإذا فرغنا ممّا يتعلّق بالآية؛ فلنذكر الخبر وما يتعلّق بمعناه، كلّ ذلك من كتب الفقهاء:

فمن مسند ابن حنبل[1] رفعه إلى البراء بن عازب، قال: كنّا مع

---

(١) ذكر الزبيدي ـ مؤلّف تاج العروس ـ في كتاب «لقط اللآلي المتناثرة في الأحاديث المتواترة» ح٦١: «من كنت مولاه فعلي مولاه»: رواه من الصحابة واحد وعشرون نفساً:
١ـ زيد بن أرقم ٢ـ عَلِيّ بن أَبي طالِب ٣ـ أبو أيّوب الأنصاري ٤ـ عمر بن الخطاب ٥ـ ذو مر ٦ـ أبو هريرة ٧ـ طلحة ٨ـ عمارة ٩ـ ابن عبّاس ١٠ـ بريرة ١١ـ ابن عمر ١٢ـ مالك بن الحويرث ١٣ـ حبشي بن جنادة ١٤ـ جرير ١٥ـ سعد بن أبي وقّاص ١٦ـ أبو سعيد الخدري ١٧ـ أنس بن مالك ١٨ـ جندع الأنصاري ١٩ـ قيس بن ثابت ٢٠ـ حبيب بن بديل بن ورقاء ٢١ـ يعلى بن مرّة ٢٢ـ يزيد بن شراحبيل الأنصاري ـ رضي الله عنهم ـ.
فالأوّل: أخرجه الترمذي في سننه، والاثنان بعده: أخرجه أحمد في المسند، والستّة بعدهما: أخرجه البزّار، والسبعة بعدهم: أخرجه الطبراني، والسابع عشر: أخرجه أبو نعيم، والباقون: أخرجه ابن عقدة في كتاب «الموالاة». وأخرج ابن عساكر في التاريخ عن عمر بن عبد العزيز قال: حدّثني عدّة أنّهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول ذلك: ٢٠٥ـ٢٠٦. وأضاف المحقّق للكتاب محمّد عبدالقادر عطا قوله: أورده السيوطي في الأزهار المتناثرة عن ثمانية عشر نفساً، وأورده الكتاني في نظم المتناثر كتاب المناقب، وقال: ورد أيضاً من حديث البراء بن عازب وأبي الطفيل وحذيفة بن أسيد الغفاري وجابر. وفي رواية لأحمد أنّه سمعه من النّبيّ ﷺ ثلاثون صحابياً، وشهدوا به لعلي لما نوزع أيّام خلافته. ومن صرح بتواتره أيضاً المناوي في التيسير نقلا عن السيوطي، وشارح المواهب اللدنية وفي الصفوة للمناوي قال: الحافظ ابن حجر: حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» أخرجه الترمذي والنسائي وهو كثير الطرق جدّاً، وقد استوعبها ابن عقدة في مؤلف مفرد، وأكثر أسانيدها صحيح أو حسن. وأنظر الحديث في مسند أحمد ابن حنبل: ج١/ ٨٤ و١١٨ و١١٩ و١٠٢ و٣٣٠، و ج٤/ ٢٨١ و٣٦٨ و٣٧٠، و ج٥/ ٣٤٧ و٣٥٠ و٣٥٨ و٣٦١ و٣٦٦ و٣٧٠ و٤١٩. هامش الكتاب: ٢٠٥.

رسـول الله ﷺ في سـفر، فنزلنـا بغـدير خُـمٍّ، ونُـودي فِينـا: «الصـلاةُ جامعـةٌ» وكُسِحَ لرسول الله ﷺ تحتَ شَجَرَتين، فصلّى الظُهرَ وأَخَذَ بِيَدِ عليٍّ عليه السلام فقال:

«اللّهمّ مَنْ كُنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ، اللّهمّ وَالِ مَن والاهُ وعادِ مَن عاداهُ، وانْصُرْ مَن نَصَرَهُ واخذُلْ مَن خَذَلَهُ».

فلقيهُ عمرُ فقال: هَنِيئاً لكَ يابنَ أَبي طالِب، أصبحتَ مَولى كلِّ مُؤمِن ومُؤمنة[1].

وفي مسنده بإسناده، عن ميمون بن عبد الله، قال: قال زيدُ بن أرقم ـ وأنا أسمع ـ: نَزَلنا معَ رسول الله ﷺ بواد يُقالُ له: وادي خُمٍّ، فأَمَرَ بِالصلاة فَصلاّها، قال: فخَطَبَنا وظُلّلَ رسولُ الله ﷺ بِثَوب على شَجَرَة من الشمس.

فقال النَبيّ عليه السلام: «أَوَلَستُم تَعْلَمون؟ أَوَلَسْتُم تَشْهَدُون: أَنّي أَوْلى بِكُلّ مؤمن ومؤمِنَة من نفسه؟»

قالوا: بلى.

قال: «فَمَنْ كُنْتُ مولاهُ فَعَلِيٌّ مولاهُ، اللّهمّ والِ مَن والاهُ، وعادِ مَن عاداهُ»[2].

ومنه، يرفعه، إلى أبي الطفيل، قال: جَمَعَ عليٌّ عليه السلام الناسُ بالرحبة، ثمّ قال: «أنشدُ اللهَ كُلّ امرِئ مُسْلِم سَمِعَ رسول الله ﷺ يقولُ ـ يومَ غدير خُمٍّ ـ ما سَمِعَ؛ لَمَا قَامَ».

---

(١) مسند الإمام أحمد ابن حنبل: ج٤/٢٨١، فضائل الصحابة: ج٢/٥٩٦/ ح١٠١٦، كفاية الطالب: ٥٨.

(٢) مسند الإمام أحمد ابن حنبل: ج٤/ ٣٦٨، فضائل الصحابة: ج٢/ ٥٩٢/ ح١٠١٧.

فقامَ ثلاثُونَ رَجُلا من الناس ـ وقال أبو نُعَيم: فقامَ أُناسٌ كثيرٌ ـ يَشهدون حينَ أَخَذَ بِيَدِهِ، فقالَ لِلناس: «أَتَعلَمُون أَنّي أَوْلَى بِالمؤمِنِينَ مِن أَنْفسِهِم؟»، قالوا: نَعَم، يا رسول الله.

قال: «مَن كُنتُ مَولاهُ فَعَلِيٌّ مَولاهُ، اللّهمّ والِ مَن والاهُ، وعادِ مَن عاداهُ»[1].

وبإسناده يرفعه إلى زيد بن أرقم، عن النبيّ ﷺ قال: «مَن كُنتُ مَولاهُ فَعَلِيٌّ مَولاهُ»[2].

ومثله بغير زيادة، رفعه إلى زاذان، عن أبي عمرو[3].

ومثله بِطريق غير الأُولى، رفعه إلى زيد بن أرقم، قريباً منه[4] رفعه، بإسناد يرفعه إلى أبي إسحاق، قال: سمعتُ عمر... الحديث، وزاد فيه: أنّ رسول الله ﷺ قال: «اللّهمّ والِ مَن والاهُ، وعادِ مَن عاداهُ، وانْصُرْ مَن نَصَرَهُ، واخْذُلْ مَن خَذَلَهُ، حُبَّ مَن أَحَبَّهُ، وابغضْ مَن أَبْغَضَهُ»[5].

وبإسناده إلى البراء بن عازب، قال: أَقْبَلْنا مَعَ النَبيّ ﷺ في حجّة الوداع، حتّى كُنّا بِغَدير خُمٍّ، فَنُودِيَ فِينا «الصلاة جامعة» وكُسِحَ لِرسول الله ﷺ بينَ شَجَرَتَين، فأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ ﷺ وقال: «أَلَسْتُ أَوْلى بِالمُؤمِنِين مِن أَنْفُسِهِم؟».

قالوا: بلى، يا رسول الله.

قال: «أَلَسْتُ أَوْلى بِكُلّ مُؤمِن ومُؤمِنَة من نَفْسِهِ؟».

قالوا: بَلى، يا رسول الله.

---

(١) مسند الإمام أحمد ابن حنبل: ج٤/ ٣٧٠، فضائل الصحابة: ج٢/ ٦٨٢/ ح١١٦٧.

(٢) مسند الإمام أحمد ابن حنبل: ج٤/ ٣٦٨ و٣٧٠.

(٣) مسند الإمام أحمد ابن حنبل: ج١/ ٨٤.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج١/ ١١٨.

(٥) مسند الإمام أحمد ابن حنبل: ج١/ ١١٨.

قال: «هذا مَوْلى مَن أَنَا مَولاهُ، اللّهمّ وَالِ مَن وَالاهُ، وعادِ مَن عاداهُ».

فلَقِيَهُ عُمَرُ، فقال: هَنِيئاً لَكَ يابنَ أَبِي طالِب، أَصْبَحْتَ وأَمْسَيْتَ مَولى كُلّ مُؤمِن ومُؤْمِنة[1].

وبالإسناد رفعه إلى ابن أبي ليلى الكِنْديّ: أنّهُ حدّثهُ، قال: سمعتُ زيدَ بن أرقم، يقولُ ـ ونحنُ نتنظرُ جنازةً ـ فسألَهُ رجلٌ من القوم؛ فقال: أبا عامر! أَسَمِعْتَ رسول الله ﷺ يقولُ لِعَلِيٍّ عليه السلام: «مَن كُنتُ مَولاهُ فَعَلِيٌّ مَولاهُ؟

قال: نَعَمْ، قال أبو ليلى: فقلتُ لِزيد بن أرقم: «قالَها؟!».

قال: نَعَمْ ـ أربع مرّات ـ[2].

وبإسناده إلى بريدة الأسلميّ: غزوتُ مَعَ عليّ عليه السلام إلى أرض اليمن؛ فرأيتُ منه جفوةً، فلمّا قدمتُ على رسول الله ﷺ ذكرتُ عليّاً فنقصتُهُ، فرأيتُ وجه رسول الله ﷺ يتغيّرُ، فقال: «يا بريدة! ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».

قلتُ: بلى، يا رسول الله.

قال: «فمن كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ»[3].

ومثله بإسناده: حدّثنا ابن أبي بريدة[4].

ومن تفسير الثعلبيّ، بإسناده، في تفسير قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾**[5] فلمّا نزلتْ هذه الآية؛ أخذ رسول الله ﷺ بيد عليّ عليه السلام وقال: «مَن كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ»[6].

---

(١) مسند الإمام أحمد ابن حنبل: ج٤/ ٢٨١.

(٢) مسند الإمام أحمد ابن حنبل: ج٥/ ٣٧٠.

(٣) مسند الإمام أحمد ابن حنبل: ج٥/ ٣٤٧.

(٤) مسند الإمام أحمد ابن حنبل: ج٥/ ٣٥٠.

(٥) المائدة: ٦٧.

(٦) الكشف والبيان للثعلبي: ج٤/ ٩٢، مسند أحمد: ج١/ ٨٤.

وبإسناده، يرفعه إلى البراء بن عازب، قال: لمّا أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في حَجّة الوداع بِغَدير خُمٍّ، فنادى إلى الصلاة جامعةً، وكُسِحَ للنبيّ صلى الله عليه وآله تحتَ شجرتين؛ فأخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: «ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».

قالوا: بلى، يا رسول الله.

قال: «أوَلستُ أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟».

قالوا: بلى!.

قال: «هذا مولى مَن أنا مولاهُ، اللّهمّ والِ مَن والاهُ، وعادِ مَن عاداهُ».

فلقيه عمرُ فقال: هَنيئاً لك ـ يا ابن أبي طالب ـ أصبحتَ مولى لكلّ مؤمن ومؤمنة[1].

ومثله، رفعه إلى ابن عبّاس، بلفظ يقربُ من الأوّل[2].

ومن تفسير الثعلبيّ ـ أيضاً ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**﴾[3] بإسناده قال: سُئِلَ سُفيان بن عيينة، عن قول الله عزّوجلّ: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**﴾ في مَن نزلتْ؟.

قال: سألتَني عن مسألة ما سألَني بها أحدٌ قبلَك.

حدّثني جعفرُ بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام قال: لمّا كان رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خُمٍّ، نادى الناس، فاجتمعوا فأخَذَ بيد عليّ صلّى الله عليهما، فقال: «من كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه»، فشاعَ ذلك وطارَ في البلاد، فبلغ ذلك الحارثَ بن النعمان الفهريّ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله على ناقة له حتّى أتى الأبطح، فنزلَ عن ناقتهِ، فأناخها

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي: ج٤/ ٩٢.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي: ج٤/ ٩٢، مسند أحمد: ج٥/ ٣٧٠.

(٣) المعارج: ١.

وعَقَلها، ثُمّ أتى النَبيّ ﷺ وهو في ملأ من أصحابه، فقال: (يا محمّدُ! أمرتَنا عن الله أنْ نشهدَ أنْ لا إله إلاّ اللهُ، وأنّك رسول الله؛ فقبلناه منك)[1] وأمرتَنا أنْ نصلّيَ خَمساً فقبلناهُ منك، وأمرتَنا أن نصومَ شَهراً فقبلناهُ منك، وأمْرتَنا أنْ نحجّ البيتَ فقبلناهْ منك، ثُمّ لم ترضَ بهذا حتّى رفعتَ بضبعَيْ ابن عمّك ففضّلتَهُ علينا وقلت: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» وهذا شيءٌ منك، أم من الله؟.

فقال رسول الله ﷺ: «واللهِ الّذي لا إلهَ إلاّ هو، إنّه أمرٌ من الله».

فولّى الحارث بن النعمان يريد راحلته، وهو يقول: اللّهمّ إنْ كان ما يقوله محمّدٌ حقّاً، فأمْطِرْ علينا حجارةً من السماء، أو ائْتِنا بعذاب أليم، فما وَصَلَ إليها حتّى رماهُ الله بِحَجَر، فسقطَ على هامَتِهِ، وخَرَجَ من دُبرهِ فقتَلَهُ، وأنزلَ الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾[2].

وهذا كما ترى يدلُّ على أنّ خبرَ الغدير وقعَ في الوُرُود والصُدُور؛ ليكون جمعاً بين الأخبار وتصديقاً للآثار، وهذا هو الواجب فيها عند أهل العلم.

ومن الجمع بين الصحاح في فضائل عليّ ﵇ ذكره رَزِينُ العبدريّ، بإسناده من صحيح أبي داوُد السَجِستانيّ، وهو كتاب السُنَن[3] ومن صحيح الترمذيّ، قال عن أبي سرحة، وزيد بن أرقم: أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَن كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ»[4].

---

(١) مابين القوسين ليس في الأولى.

(٢) الكشف والبيان: ج١٠/ ٣٥، مسند أحمد: ج١/ ٨٤، و ج٥/ ٣٤٧، تفسير القرطبي: ج١٨/ ٢٧٩.

(٣) السنن الكبرى للنسائي: ج٥/ ٤٥.

(٤) صحيح الترمذي: ج٥/ ٦٣٣ المكتبة الإسلامية مصر ١٣٥٧هـ، السنن الكبرى للنسائي: ج٥/ ٤٥-٤٦، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٥/ ٢٢٨-٢٢٩ مادة «ولا»، والعمدة لابن البطريق: ص١٤٩/ ح١٤٨.

ومن (مناقب) الفقيه أبي الحسن؛ عليّ ابن المغازليّ الواسطيّ الشافعيّ، بإسناده رفعه إلى الوليد بن صالح، عن ابن امرأةِ زيد بن أرقم، قال: أقبل النَبيّ صلى الله عليه وآله من مكّة في حجّة الوداع، حتّى نزل بِغَدير الجُحْفة، ما بين مكّة والمدينة، فأمر بالدوحاتِ[1] فقُمَّ ما تحتَهُنّ مِن شَوْكٍ، ثُمَّ نادى: الصلاة جامعة! فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّى بنا الظُهر، ثُمَّ انصرفَ إلينا وقال:

«الحمدُ لله، نحمدُهُ ونستعينُهُ، ونُؤمِنُ به ونتوكّلُ عليه، ونعوذُ بِالله من شُرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا الّذي لا هاديَ لِمَن أضَلّ ولا مُضِلّ لِمَن هَدى، وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

أمّا بعدُ، أيُّها الناسُ؛ فإنّه لم يكنْ لِنَبيٍّ من العُمر إلاّ نصفَ ما عُمِّرَ مَن قبلَه، وإنّ عيسى بن مريم لَبِثَ في قومه أربعين سنةً، وإنّي قد أسرعتُ في العشرين، ألا، وإنّي يُوشكُ أنْ أُفارقكم، ألا، وإنّي مسؤولٌ، وأنتم مسؤُولُون، فهل بلّغتكم! فماذا أنتم قائلون؟».

فقام من كلّ ناحية من القوم مجيبٌ يقولون: نشهدُ أنّك عبدُ الله، ورسولُه، قد بلّغتَ رسالتَه وجاهدتَ في سبيله، وصدَعتَ بأمره، وعبدتَه حتّى أتاك اليقين، جزاك الله عنّا خيرَ ما جزى نبيّاً عن اُمّته! فقال:

«ألستُم تشهدُون أنْ لا إله إلاّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأنّ محمّداً عبدُه ورسولُه؟ وأنّ الجنّةَ حقٌّ، والنارَ حقٌّ، وتُؤمنون بالكتاب كلّه؟».

---

(١) الدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة، وقمّ الشيء قمّاً كنسه. «لسان العرب».

قالوا: بلى، قال: **«أشهدُ أنّكم قد صَدَقْتُم وصدّقتُموني، ألا، وإنّي فَرَطُكم وأنتُم تَبَعي، يُوشك أنْ تَرِدُوا عليَّ الحوضَ، فأسألُكم حين تلقَوْني عن ثِقْلَيَّ، كيفَ خَلَفْتُمُوني فيهما؟»**.

قال: فأُعيل علينا، ما ندري ما الثَقَلان؟ حتّى قامَ رجلٌ من المهاجرين، فقال: بأبي وأُمّي أنتَ يا نبيَّ الله، ما الثقلان؟

قالﷺ: **«الأكبرُ مِنهما كتابُ الله، سببٌ طَرَفُهُ بِيد الله تعالى، وطَرَفٌ بأيديكم، فتمسّكوا بهِ، ولا تَزِلُّوا، ولا تَضِلُّوا.**

والأصغرُ مِنهما عِتْرَتي، مَن استقبلَ قِبْلتي وأجابَ دَعْوتي؛ فلا تَقْتُلُوهُم، ولا تقْهَرُوهُم ولا تقصرُوا عنهم.

فإنّي قد سألتُ لَهما اللطيفَ الخبيرَ؛ فأعطاني.

ناصِرُهُما لِيَ ناصِرٌ، وخاذِلُهما لِيَ خاذِلٌ، ووَلِيُّهُما لِيَ وَلِيٌّ، وعَدُوُّهُما لِيَ عَدُوٌّ.

ألا، فإنّها لم تهلكْ أُمّةٌ قبلَكم حتّى تدينَ بِأهوائِها، وتظاهِرَ على نُبُوّتِها، وتقتلَ مَن قامَ بِالقِسْطِ مَنها».

ثمّ أخذ بِيَدِ عَلِيّ بن أَبي طالِب عليه السلام فرفَعها، وقال:

«من كُنتُ[١] **وَلِيَّهُ فهذا وَلِيُّهُ، اللّهمّ والِ مَن والاهُ، وعادِ مَن عاداهُ»**[٢] قالَها ثلاثاً، آخر الخطبة.

---

(١) في المصدر إضافة: من كنت مولاه فهذا مولاه و... .

(٢) مناقب ابن المغازلي: ١٦-١٨، العمدة لابن البطريق: ص١٥٠/ح١٥٠.

وهذا أكملُ خبر في هذا الباب ؛ لأنّ تفصيلَهُ قد وَرَدَ في الصحاح ما يختصّ بأهل البيت مُفرداً ، وما يختصّ بحديث ولاية عليٍّ عليه السلام وحدَه أيضاً ، وسببُ ذلك إنّ الشرح لمّا طال روى كلّ إنسان ما حفظ ، وبعضُ الروايات أَتَمُّ من بعض.

وفيه بإسناده مثله ، إلاّ أنّه ذكر فضل صيام ثامن عشر من ذي الحجّة ، وقفه على أبي هريرة : «مَن صامَهُ كتبَ اللهُ لهُ صيامَ سِتّين شهراً»[1].

والتقديرُ[2] إذا وَقَفَ على الصحابيّ ؛ حمل على التوقيف من النَبيّ صلى الله عليه وآله.

وهذا دليلٌ على عِظَمِ خَطَرِ هذا اليومِ ؛ لِحُسن موقعه في الإسلام ، بدلالة اتّباع الكتابِ والعترةِ ، وتقريرِ ولايةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام على الأُمّة.

وفيه زيادة قول عمر : بَخ بخ لَكَ يابنَ أبي طالب ، أصبحتَ مولايَ ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة ، قال : فأنزل الله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[3].

وفيه مثله ، بإسناده رفعه إلى جابر بن عبد الله ، بزيادة في أوّله : أنّ الناس لمّا نزلوا بغدير خُمٍّ ، فتنحّوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله فأَمَرَ عَليّاً فجمَعَهُم ، فلمّا اجتمعوا قام فيهم ، وهو متوسّدٌ يَدَ علِيٍّ عليه السلام فحمدَ اللهَ وأثنى عليه ، ثمّ قال :

«أيُّها الناسُ! إنّي قد كرِهْتُ تخلّفَكم عنّي حتّى خُيِّلَ لي أنّه ليس شجرةٌ أبغضَ إليكم من شجرة تليني».

---

(١) مناقب ابن المغازلي : ١٩ ، العمدة لابن البطريق : ص١٥٢/ ح١٥١.

(٢) يقول الجلاليّ : الأمور الواردة في لسان الشارع لو احتوت على تقدير ما ، وعيّن فيها مقدار محدّدٌ من الثواب وغيره ، زماناً ، أو مورداً ، ونحو ذلك ؛ فلا بُدّ من من حمله على كون الراوي قد سمعه من المعصوم عليه السلام من حيث لا طريق إلى معرفة ذلك سوى المعصوم بالوحي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أو الإلهام أو أيّ طريق آخر بالنسبة إلى سائر المعصومين عليهم السلام. (وكتب السيّدُ).

(٣) مناقب ابن المغازلي : ١٩ ، العمدة لابن البطريق : ١٥٣ ، والآية من سورة المائدة : ٣.

ثُمّ قال: «لكنَّ عَلِيّ بن أَبِي طالِب أَنْزَلَهُ اللهُ مِنّي بمنزلتي منهُ، فَرَضِيَ اللهُ عنهُ كَما أنا عنهُ راض، فإنّه لا يختارُ على قُربي ومَحَبّتي شيئاً».

ثمّ رفع (يديه وقال: «مَن كُنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ، اللّهمّ والِ مَن والاهُ وعادِ مَن عاداهُ»)[1].

قال: فابتدر الناسُ إلى رسول الله ﷺ يبكُون ويَتَضَرَّعُون، ويقولون: يا رسول الله ما تنحّينا عنكَ إلاّ كراهةَ أنْ نثقلَ عليك، فنعوذُ بِالله مِن سَخَطِ رسول الله ﷺ فرِضَيَ رسول الله ﷺ عنهم[2].

ومثله رفعه إلى اثني عشر رجلا من أصحاب النبيّ ﷺ منهم العشرة[3] ومتنُ الحديث فيها ومعناه واحدٌ، وفيها زياداتٌ نافعةٌ في أوّل الحديث وآخره، وسلك فيه اثنا عشر طريقاً بعضُها يؤدّي إلى غير ما أدّى إليه صاحبه من أسماء الرجال المتّصلين بالنّبيّ ﷺ[4].

وقد ذكر محمّد بن جرير الطبريّ صاحب تاريخ «خبر الغدير» وطرقه سبعة وخمسين[5] طريقاً، وأفردَ له كتاباً سمّاه «كتاب الولاية»[6].

---

(١) ما بين القوسين في المصدر.

(٢) مناقب ابن المغازلي: ٢٥-٢٦، العمدة لابن البطريق: ص١٥٣/ ح١٥٣.

(٣) مناقب ابن المغازلي: ٢٥-٢٦.

(٤) المناقب لابن المغازلي: ١٩-٢٦، والعمدة لابن البطريق: ١٥٤-١٥٧ أحاديث ١٥٦-١٦٧.

(٥) في الأولى: خمسة وسبعين طريقاً.

(٦) كتاب الولاية للطبريّ مفقود، ولا يوجد منه إلاّ أحاديث منتشرة في كتب التراث. انظر كتاب العمدة لابن البطريق: ١٥٧.

وذكر أبو العبّاس، أحمد بن يحيى بن محمّد بن سعيد بن عقدة خبر «يوم الغدير» وأفردَ له كتاباً وطرقه من مِائة وخمس طرق، ولا شكّ في بلوغه حدّ التواتُر، وبلوغ العلم به، ولم نعلمْ خلافاً لمن يُعتدُّ بِهِ من الأُمّة[1] وهم فيه بين محتجٍّ به ومتأوّل له إلاّ من يَرْتَكِبُ طريقةَ البَهْتِ والمُكابرة.

ولم نذكر في هذا الخبر من طريق أهل البيت ﷺ وشيعتهم العلماء الكرام كلمةً واحدةً؛ وإن كانت طرقُ رواياتِهم صحيحةً متينةً، وعُراها وثيقةً متينةً؛ لأنّا أردنا كشفَ الحال في ظُهُور خبر الغدير وبلوغه الحدّ الّذي لم يبلغه خبرٌ من الأخبار النبويّة[2].

---

(١) العمدة لابن البطريق: ١٥٧.

(٢) أقول: بلغ خبر الغدير حدّ التواتر، بل كما ذكره الإمام المنصور بالله ﷺ في كتاب الشافي قد زاد على حدّ التواتر فقال: بلغت طرقه إلى مِائة وخمس طرق، وهذا ما لم يتّفق لغيره من الأحاديث الصحيحة. كتاب الشافي: ج١/ ١٧٧.

في دلالة كلمة (مَوْلى)

وإذْ قد فرغنا من الكلام في متن الخبر وطُرُقه؛ فلْنَتَكَلّمْ في بيان معنى لفظة (مَوْلى) في اللّغة العربيّة:

اعلم أنّ أكثر ما قيل ووُجِدَ في لفظ «مولى» أنّها تحتملُ عشر معانٍ:

أوّلُها ـ وهو الأصلُ والعمادُ الّذي ترجع إليه المعاني ـ ثمّ اعلم أنّ أهل اللغة ومصنّفي العربيّة قد نصّوا على أنّ لفظة «مولى» تفيدُ «الأولى» وفسّروا ذلك في كتبهم، من كتاب الله تعالى، ومن أشعار العرب.

فأمّا من الكتاب العزيز؛ فإنّ أبا عبيدة مُعمّر بن المُثنّى ـ وهو المُقدّم في علم العربية، غير مطعون عليه في معرفتها ـ ذكر في كتابه المُتضمّن تفسير غريب القرآن؛ المعروف بـ«المَجاز» في سورة الحديد، في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[١] يريد جلّ اسمه: هي أولى بكم.

واستشهدَ بقول لَبيد[٢]:

بعــدتْ كــلا الفَــرْجَيْنِ يَحْسَــبُ أنّــهُ ... مــولَى المَخافَــةِ خَلْفَهــا وأمامَهــا[٣]

معناهُ: أولى بِالمخافةِ أم أمامها.

ويقول الأخْطَلُ في عبد الملك بن مروان:

---

(١) الحديد: ١٥.

(٢) ديوان العامري (لبيد): ٩١. من موسوعة الشعر العربيّ، وفيه: فغدت كلا.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج٢/ ٢٥٤.

فما وجدتْ فيها قُرَيْشٌ لأمرِها أَعفَّ وأوْفى من أبيكَ وأمجدا
وأوْرى بزَنْدَيْهِ ولو كانَ غيرُهُ غَداةَ اختلافِ الناسِ أَكْدَى وأَصْلَدا
فأصبحتَ مَولاها من الناس كُلِّهِمْ وأحْرَى قُرَيْش أنْ تُهابَ وتُحْمَدا[1]

فخاطَبَهُ بِلفظةُ «مولَى» وهو عندَ نفسهِ خليفةٌ مُطاعُ الأمرِ من حيثُ اختصّ بِالمعنى الّذي احتمله.

وليس أبو عبيدة متّهماً بِالتقصير بِعلمِ العربيّة، ولا مظنوناً بِهِ الميلُ إلى أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام لأنّهُ لو عَلِمَ أنّ الحقَّ في غير هذا المعنى لَقَالَهُ.

وقال الفرّاءُ في كتابه كتاب «معانِي القُرآن» في ذكر تفسير هذه الآية: إنّ الوليَّ والمولَى ـ في لُغة العرب ـ واحِدٌ[2].

وقال محمّد بن أبي القاسم الأنباريّ، في كتابه المعروف بـ«المُشْكِلُ في القُرآن» في ذكر أقسام المولَى: إنّ المولى الوليّ، والمولى الأَوْلَى بِالشيء، واستشهدَ على ذلك بِالآية المُقدّم ذكرُها. وبيت لَبيد، وأنشدَ لِغيرِهِ:

كانُوا مواليَ حَقٍّ يطلُبُون بِهِ فأدْرَكُوهُ وما مَلُّوا ولا لغبُوا[3]

وقد روي في قراءة عبد الله بن مسعود: (إنّما مولاكم الله ورسوله) مكان قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾[4].

---

(١) ديوان الأخطل: ٨٥. من موسوعة الشعر العربيّ، وفيه «أكبى» بدل: أكدى.

(٢) معاني القرآن للفراء: ج٣/ ١٣٢.

أقول: لم يذكر محقّقه هذا المعنى، بل ذكر في معناهُ «أي: هي أولى بكم» وكذلك لم يتعرّض لمعنى الولاية في سورة المائدة الآية ٥٥، ولا ذكر الآية إطلاقاً!! فلماذا هذا التحريف؟

(٣) ديوان الأخطل: ١٨. من موسوعة الشعر العربيّ.

(٤) المائدة: ٥٥.

وفي الحديث: «أيّما امرأة تزوّجتْ بغير إذْنِ مَولاها فَنِكاحُها باطِلٌ»[١].

والمعلومُ من ذلك أنّ المراد بِمَولاها: وَلِيُّها، والّذي إليه أمرُها، وهوأولى الناسِ بها.

والأخْطَلُ: أَحَدَ شُعراء العَرَبِ، ومن لا يُطْعَنُ عليه في معرفة اللّغة العربيّة، ولا مَيْلَ لَهُ إلى مذهب الإسلام، بل هو من المُبَرَّزين في علم اللُّغة، وقد حكى عن أبي العبّاس المُبَرَّد: أنّهُ قال: «الوَلِيُّ» هو الأحَقُّ والأوْلى، ومثلُهُ «المَوْلَى»[٢].

والثاني: من أقسام لفظة «مولى» هو مالِكُ الرِقّ، قال الله تعالى: ﴿**ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ**﴾[٣] ﴿**وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ**﴾[٤] يريد مالِكه.

والثالث: المُعْتَقُ.

والرابع: المُعْتِقُ.

والخامس: ابنُ العَمِّ، قال الله تعالى: ﴿**وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي**﴾[٥] أي بَنِي العَمّ، ومنه قولُ الشاعر:

مَهْلا بَنِي عَمِّنا مَهْلا مَوالِيْنا ... لا تَنْبِشُوا بَيْنَنَا مَا كانَ مَدْفُونَا[٦]

---

(١) مجمع الزوائد: ج٤/ ٥٢٥/ ح٧٥١٢ وهو قريب منه.

(٢) انظر كتاب العمدة لابن البطريق: ١٥٧-١٥٨.

(٣) النحل: ٧٥.

(٤) النحل: ٧٦.

(٥) مريم: ٥.

(٦) ديوان اللّهَبيّ ٣٠. من موسوعة الشعر العربيّ، والشاعر هو الفضل بن العبّاس (ت: ٩٥هـ) المعروف بالأخضر اللهبيّ، وهو منسوب إلى أبي لَهَب.

والسادس: الناصِرُ، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] يريد ناصِرُهُ، وقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[2] يريد ناصِرُهُم.

والسابع: المُتَوَلِّي لِتَضمُّنِ الجَريرةِ، وتحويزه من الميراث.

والثامن: الحَلِيفُ، قال الشاعر:

مَــوَالِي حَلِيــف لا مَــوَالِي قَرَابَــة ... [ولَكِــن قَطِيْنــاً يَسْــأَلُونَ الأَتَاوِيَــا[3]]

والتاسع: الجارُ.

والعاشر: الإمامُ السَّيِّدُ المُطاعُ.

وهذه الأقسامُ التسعةُ ـ بعدَ الأوْلَى ـ إذا تأمّلَ المُتأمّلُ المَعْنى فيها؛ وَجَدَهُ راجِعاً إلى المعنى الأوّل ومأخُوذٌ منه:

لأنّ مالكَ الرِقّ: لّما كانَ أولى بِتدبير عبده من غيره، كان مولاه دون غيره.

والمُعتِق: لّما كانَ أولى بِميراث مُعتَقِهِ من غيره كان بذلك مولاه.

والمُعتَق: لّما كانَ أولى بِمعتِقه في تحمّل جريرته، وألصق به ممّن اعتقه غيره، كان مولاه أيضاً لذلك.

وأنّ ابن العَمّ: لّما كانَ أولى بِالميراث ممّن بَعُدَ من نسبهِ، وأولى بِنُصرة ابن عمّه من الأجنبيّ؛ كان مولاه، لأجل ذلك.

والناصِرُ: لّما اختصّ بِالنُصرة، فصارَ بها أولى، كان لأجل ذلك مولى.

---

(١) التحريم: ٤.

(٢) محمّد: ١١.

(٣) ديوان النابغة الجعديّ: ١٣٦. من موسوعة الشعر العربيّ.

والمُتولّي لِتضمُّنِ الجريرة: لّما ألزمَ نفسه ما يلزمَ المعتق؛ كانَ بِذلك أولى ممّن لم يقبل الوِلاء، فصارَ بِه أولى بِميراثه، فكان لذلك مولى.

والحليف: لاحقٌ في معناه بِالمتولّي، فلهذا السبب كان مولى.

والجارُ: لّما كانَ أولى بِنصرةِ جارَهُ ممّن بَعُدَ عن دارهِ، وأولى بِالشُفعة في عقارِه فلذلك صار مولى.

والإمامُ المُطاعُ: لّما كانَ لهُ طاعةُ الرعيّة، وتدبيرهم وملك التصرّف عليهم بِما يماثِلُ الواجب بِمِلك الرِقّ، كانَ لذلك مولى.

فصارَ جميعُ هذه المعاني ـ كما ترى ـ يرجعُ إلى المعنى الوجه الأوّل هو «الأولى»، ويكشفُ عن صحّة معناه.

إن قيل: فإذا ثبتَ أنّ لفظةَ «مولى» قد تستعملُ مكان «الأولى» و أنّها أحَدُ مُحتملاتها، فما الدليلُ على أنّ النبيّ ﷺ أرادَ بِها يومَ الغدير «الأولى» دُونَ أنْ يكونَ أرادَ بِها أَحَدَ بَقِيّة الأقْسام؟؟.

قُلنا: المُقدّمة الّتي قدّمها ﷺ وجعلها توطئةً، دالّةٌ على المُراد، وهي قوله ﷺ: «أَلَسْتُ أَولى بِكُمْ من أَنْفُسِكُمْ؟»[1] ثُمَّ عطفَ عليها بِلَفْظِ الجمع يَحْتَمِلُها ويحتملُ غيرها؛ فعرفنا أنّه أرادَ بِما عطف عليها ما هُو معطوفٌ عليه، ولا يجوزُ أن يَردَ من الحكيم تقريرٌ بلفظ مقصور على معنىً مخصوص، ثمّ يعطفُ عليه بلفظ يحتمله ويحتمل غيرَهُ، إلاّ ومرادُهُ المخصوصُ الّذي ذكرهُ وقرّرهُ، دُون ما عداهُ.

يوضّحُ ذلك، ويزيده بياناً: أنّهُ لو قال: «ألستُم تعرفُون داريَ الّتي في موضع كذا» ثمّ وَصَفَها وذكَرَ حُدودها؟ فإذا قالوا: «بلى» قال: «فاشهدوا أنّ داري

---

(١) مسند الإمام أحمد ابن حنبل: ج٥/ ٣٧٠، الكشف والبيان للثعلبي: ج٤/ ٩٢.

وقفٌ على المساكين» وكانت له دورٌ كثيرةٌ؛ لم يَجُزْ أنْ يحمل قوله في الدار التي وقفها، إلاّ أنّها الدار الّتي وصفها، ومن قبلُ قرّرها وعرّفها.

وكذلك لو قال مثل ذلك في عبد من عبيده، وقال: «اشهدوا أنّ عبدي حرٌّ» وقد تقدّمتْ منه له صفاتٌ وعلاماتٌ، وله عبيدٌ غيره؛ حَمَلْنا قوله: «إنّ عبدي حرٌّ» على العبد الموصوف المعروف دون غيره.

فإذا ثبتَ ما ذكرناهُ، وثبتَ أنّ مرادَ النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله: «مَن كُنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ» معناه: مَن كُنتُ أولى بِهِ فعليٌّ أولى بِهِ، ولم يجزْ أنْ يُصرفَ إلى غيرِهِ من سائر أقسام لفظة «مولى» وما يحتمله؛ فوجَبَ أنّ عليّاً عليه السلام أولى بِالناس من أنفسهم بما ثَبَتَ أنّه مولاهم، وأثْبَتَ اللهُ تعالى لَهُ أنّهُ أولى بهم من أنفسهم.

فَثَبَتَ أنّهُ الأولى بلفظ الكتاب العزيز إلى لفظ غيره، فثبتَ لِعليٍّ ما ثَبَتَ لهُ في هذا المعنى من غير عدول إلى معنىً سواه.

ويزيدُهُ بياناً: أنّا نتصفّحُ جميعَ ما تحتمله لفظةُ «مولى» من الأقسام الّتي يعبّرُ بِها عنها، وينظرُ ما يصحُّ أن يكون مختصّاً بالنَبيّ صلى الله عليه وآله منها، وما لا يصحُّ اختصاصُهُ بِهِ، وما يجوزُ أن يُوجبه لغيره، ومالا يجوزُ أن يُوجبه لهُ في تلك الحال، ومعَ اعتبارها لا يُوجدُ فيها لأمير المؤمنين عليه السلام غيرُ «الأولى، والإمامُ، والسيّدُ المُطاعُ» لا جميع الوجوه المُحتملة.

فتبيّن لكَ أنّه لا يجوزُ أن يكونَ مرادُهُ صلى الله عليه وآله سوى ما ذكرنا.

فنقول، وبالله التوفيق:

أمّا «المالك، والمعتِق، والمعتَق، والحليف، والجار، وضامن الخَطأ»: فلا يصحّ شيءٌ منها، ولا فائدةَ في الاستعارة بِإبطالِ أن يُراد أحدُها؛ لظهور ذلك وجلائه.

ولم يبق إلاّ «الناصر، وابن العمّ» ولا يجوز أن يكونا مراده، أو أحدهما، لأنّ ذلك معلومٌ ضرورةً، فلا يجوزُ أنّ رسول الله ﷺ يجمعُ الناس في مثل ذلك المقام العظيم الكبير، ويوقفهم على الرمضاء والحرّ الشديد، ثُمّ يُعْلِمهم ما هُم بِهِ عالِمُون، ويُخْبِرهم بِما هُم له متيقّنون.

وإذا لم يصحّ أنْ يكونَ مرادُهُ ما تقدّم؛ كان مرادُهُ ما بَقِيَ منها؛ ممّا هو واجبٌ له على العباد، ويصحّ أنْ يُوجبه لِمَنْ أرادَ، فلمْ يبقَ ـ كما ترى ـ غيرُ قسمين: وهما «الأولى» و «السيّدُ المُطاعُ».

ولأنّ عُمَرَ قد صرّحَ بذلك، وعَلِمَ معنى التفضيل، ومزيّة الاختصاص بما قدّمنا ذكره، ولأنّ الخبرَ في الصحاحِ قد وردتْ منه قطعةٌ تُفيدُ معنى الولاية والتصرّف لأهل البيتﷺ باتّباعهم و وُجوب طاعتهم، وأنّه لا نجاةَ إلاّ بالتمسّك بهم[1].

وعليٌّﷺ سيّدُ أهل البيت ورأسُهم، فما جاء فيهم من ذكر جميل فلَهُ صَفْوُهُ.

وقد قدّمنا خطبتهﷺ بغدير خُمٍّ، حيث قال: «وإنّي تارِكٌ فيكم الثَّقَلَيْنِ» حتّى قال: «فَخُذُوا بِكتابِ اللهِ واسْتَمْسِكُوا بِهِ» حتّى قال: «وأهل بَيْتِي، أُذكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»[2].

فأوصى بكتاب الله دفعةً واحدةً، وبأهل بيته ثلاثاً، تأكيداً للحقّ، وإيجاباً لامتثال الأمر. وعليٌّﷺ رأسُهُم وأصْلُهُم، والإجماعُ منعقدٌ على أنّه لا أمْرَ لأحَد منهم مع إمْرة الآخَرِ.

---

(١) صحيح مسلم: ج٧/ ١٢٣ باب فضائل علي ﷺ.

(٢) موسوعة أطراف الحديث النبوي: ج٣/ ٦٤٣، صحيح الترمذي: ج٥/٦٦٣، صحيح مسلم: ج٧/١٢٢.

ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «حَبْلان مَمْدُودان لَنْ يفترِقا حتّى يَرِدا عَلَيَّ الحَوْضَ»[١].

ثمّ نعى صلى الله عليه وآله وسلم نفسَهُ إليهم، فكان الخَبَرُ وصيّتَهُ في آخِرِ العُمْرِ، لا يصحُّ نَسخُها ويجبُ امتثالُها.

فرحمَ اللهُ مَن نَظَرَ بِعَيْنِ فِكْرِهِ، واستضاءَ بِنُورِ عقلِهِ، واهتدى مِنهاجَ ربِّهِ، وقامَ بِالقِسْطِ في حقّ أهل بَيْتِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

---

(١) العمدة لابن البطريق: ١٦٤.

(٢) راجع كتاب عمدة عيون صحاح الأخبار للحافظ ابن البطريق: ١٥٧-١٦٥ فإنّه أفاد تمام الإفادة.

الآثارُ النَبَوِيّةُ على صِحّةِ الإمامَة

وإذا قد فرغنا من الكلام على صحّة إمامته(ع) وإنّا نذكر ما تيسّر من الآثار النبويّة على وجه الاختصار؛ معرّاةً عن التعليل، وترتيب وجه الدليل بما ذكره الإمام المنصور بالله(ع) قال:

ومن (الجمع بين الصحاح الستّة) لرَزِين، في الجزء الثالث من أجزاء ثلاثة في ثلثه الأخير، في باب مناقب أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ عَلِيّ بن أَبِي طالِب(ع) ومن (صحيح أبي داوُد، وهو (كتاب السنن)[1] و (صحيح الترمذيّ) بالإسناد إلى زيد بن أرقم: أنّ رسول الله (ص) قال: **«مَن كُنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ»**[2].

ومن (صحيح مسلم) في الجزء الرابع منه من أجزاء ستّة في آخر الكراسة الثانية من أوّله، بإسناده إلى يزيد بن حيّان، قال: انطلقتُ ـ أنا، وحصينُ بن سبرة، وعمر بن مسلم ـ إلى زيد بن أرقم، فلمّا جلَسنا إليه، قال [له] حصين: لقد رأيتَ ـ يا زيد خيراً كثيراً، رأيتَ رسول الله (ص) وسمعتَ حديثَهُ، وغَزَوْتَ معهُ، وصَلَّيْتَ خلفَه، لقد أُوتيتَ يا زيد خيراً، حدّثنا ما سمعتَ من رسول الله(ص).

قال: يابن أخي، والله، لقد كبرتْ سنّي، أو قَدُمَ عَهدي، ونسيتُ بعض كنتُ أَعِي من رسول الله (ص) فما حدّثتُكم فاقبَلُوهُ، وما لا، فلا

---

(١) لم نجده في مطبوعة سنن أبي داود، ولعلّه نقله عن سنن ابن ماجة فقد ذكره في المقدّمة: ج١ في الباب ١١ في فضل علي (ع) ح١٢١ عن سعد بن أبي وقّاص.

(٢) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي: ج٥/ ٦٣٢/ ح٣٧١٣/ باب٢٠ مناقب علي (رضي الله عنه)، وانظر الرسالة النافعة ضمن المجموع المنصوري: ج٢/ ٤١٩.

تكلّفونيه، ثمّ قال: قامَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فينا خطيباً بماء يُدعى خُمّاً، بين مكّة والمدينة، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه، و وعظَ وذكّرَ، ثمّ قال:

«أمّا بعدُ، أيّها الناسُ، فإنّما أنا بَشَرٌ يُوشكُ أنْ يأتِيَني رسولُ ربّي فأجيبُ، وإنّي تاركٌ فيكمُ الثقلين، أوّلُهما كتابُ الله؛ فيه النُورُ، فخُذُوا بِكتابِ اللهِ، واستمسِكُوا بِهِ» فحثّ على كتاب الله، ورغّب فيه، ثمّ قال: **«وأهلَ بيتي، أُذكّرُكُم اللهَ في أهْلِ بَيْتي، أذكّرُكُم اللهَ في أهْلِ بَيْتي[1]».**

فقال [له] حصين: و مَنْ أهلُ بيته؟ يا زيدُ؟ أليسَ نِساؤُهُ مِن أهلِ بيتهِ؟.

فقال: نساؤُهُ مِن أهلِ بيته، ولكنْ أَهْلُ بيتِهِ مَنْ حُرِمَ الصدقةَ بعدَهُ[2].

ومن ذلك ما ذكره في (مسند ابن حنبل) رفعه إلى أبي سعيد الخُدريّ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لِعَليٍّ عليه السلام: «أَنْتَ مِنّي بِمَنزِلَةِ هارُونَ مِن مُوسى، إلاّ أنّهُ لا نبيَّ بَعْدي»[3].

ثمّ رفعه بإسناده إلى سعد بن أبي وقّاص؛ فزادَ فيه: «أو ما تَرْضَى»[4].

---

(١) في المصدر زيادة: أذكركم الله في أهل بيتي.

(٢) صحيح مسلم: ج٤/ ١٨٧٣/ ح٢٤٠٨، الرسالة النافعة ضمن المجموع المنصوري: ج٢/٤٢٠، العمدة لابن البطريق: ص١٤٤/ ح١٣٨.

(٣) مسند أحمد: ج٤/ ٦٤/ رقم١١٢٧٢. وأنظر: تاريخ دمشق: ج١/ ٣٠٧ و٤٢٨، محاسن الأزهار: ٤٢٤، كفاية الطالب: ٢٨١-٢٨٧. وانظر البروج للمؤلّف: ٢٦٧.

والحديث متواترٌ عن النَبيّ صلى الله عليه وآله وقد عدّه جمع ممّن أورد الأحاديث المتواترة في المتواترات.انظر لقط اللآلي المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي: ٣٣ الحديث الخامس، قال رواه من الصحابة عشرة. ويجد الباحث الحديث مرويّاً عن أكثر من عشرين صحابياً في ما جاء في الحديث رقم ٣٣٦ وما بعده من ترجمة أمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام من تاريخ دمشق ١ / ٣٠٧ بتحقيق المحمودي.

(٤) مسند أحمد: ج١/ ٣٦٩/ ح١٥٠٥.

فكانتْ هذه الإشارةُ تُفيدُ الولايةَ، والشركةَ في الأمر، و لأنّه استثنى النُبوّةَ.

ورفعه من طريق أُخرى إلى سعيد بن المسيّب، عن سعد[١] رفعه بإسناده إلى مصعب بن سعد: «ألا تَرْضَى بذاك» مكان: «أوَ ما ترضى» بغير واو[٢].

ورفعه إلى سعد بن إبراهيم، عن سعد، ولم يرد الواو[٣].

ورفعه إلى عائشة بنت سعد[٤].

ورفعه بإسناده إلى أسماء بنت عُمَيس، مثله، واستثنى النبوّة[٥].

ورفعه بإسناده إلى سعد بن مالك، إلاّ أنّهُ زاد فيه: «أن المسرة لما خامرت قلبه بما ساق الله إليه من فضله خلافة النبوّة، وأشركه في تصرف أعمال النبوّة، رجع يسعى، فرأيتُ غبارَ قَدَميهِ يسطعُ»[٦].

ورفعه بإسناده إلى عامر بن سعد[٧].

ورفعه بطريق أُخرى إلى أسماء بنت عميس[٨].

ورفعه بإسناده إلى سعيد بن زيد، إلى النَبيّ ﷺ[٩].

ومن (صحيح البخاريّ) من الجزء الخامس، بإسناده إلى مصعب بن سعد،

---

(١) مسند أحمد: ج١/ ٣٧٠ و٣٧٥ حديث: ١٥٠٩ و١٥٣٢.

(٢) مسند أحمد: ج١/ ٣٨٦/ ح١٥٨٣.

(٣) مسند أحمد: ج١/ ٣٦٩/ ح١٥٠٥.

(٤) مسند أحمد: ج١/ ٣٦١/ ح١٤٦٣.

(٥) مسند أحمد: ج١٠/ ٣٠١/ ح٢٧١٤٩.

(٦) كذا في مسند أحمد: ج١/ ٣٦٦/ ح١٤٩٠، وفي النسختين: يصدع.

(٧) مسند أحمد: ج١/ ٣٩١/ ح١٦٠٨.

(٨) مسند أحمد: ج١٠/ ٣٠٧: ٢٧١٤٩.

(٩) الرسالة النافعة ـ المجموع المنصوري ـ: ج٢/ ٤٢٠-٤٢١.

عن أبيه سعد: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرجَ إلى تَبُوك، واستخلَفَ عَلِيّاً عليه السلام فقال: أَتُخلفُني في النساء والصبيان؟

فقال: «أَلا تَرْضَى أن تكون مِنّي بِمنزلة هارُون من مُوسى إلاّ أَنّهُ ليسَ نَبِيّ بَعْدي»[1].

وبإسناده بطريق أُخرى إلى مُصعب، في الجزء الرابع، بإسناده إلى عامر بن سعد، عن أبيه، مثله، وذكر أنّه ساقَهُ سعدُ بن أبي وقّاص، برواية عامر، فقال سمعتُهُ بهاتينِ، وإلاّ فاستَكّتا[2].

ومن (صحيح مسلم) من الجزء الرابع في أوّله، في مناقب أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ عَلِيّ بن أَبِي طالِب عليه السلام بإسناده إلى عامر بن سعد، عن أبيه سعد، ذكر الخبر، واستثنى النُبُوّة[3].

وله غير ذلك من الطرق، اختصرناها، فهلْ بعدَ هذا من زِيادة لِطالب الإفادة؟[4].

ومن (مسند ابن حنبل) بإسناده رفعه عن الحارث بن حَصِيرة، يرفعه إلى أسماء بنت عُمَيس، تقول: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «اللّهمّ، إنّي أقولُ كَما قالَ أَخِي مُوسى: اللّهمّ **﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾** ...» الآية[5].

---

(١) صحيح البخاري: ج٤/ ١٦٠٢: ٤١٥٤.

(٢) صحيح البخاري: ج٣/ ١٣٥٩: ٣٥٠٣، صحيح مسلم: ج٤/ ١٨٧٠: ٢٤٠٤.

(٣) صحيح مسلم: ج٤/ ١٨٧٠: ٢٤٠٤ طبع دار الفكر.

(٤) راجع الرسالة النافعة ـ المجموع المنصوري ـ: ج٢/ ٤٢٢.

(٥) طه: ٢٩-٣٢، راجع: العمدة لابن البطريق: ص٣٣٥/ ح٤٥٤ فإنّه رحمه الله أسنده إلى مسند أحمد ابن حنبل، وأنظر فضائل الصحابة: ج٢/ ٦٧٨/ ح١١٥٨.

فهذا ـ كما ترى ـ تصحيحٌ لِما ذكرنا أوّلا: من أنّ المراد ـ بِنُزُولهِ من النَبيّ ﷺ منزلَةَ هارُون من مُوسى ـ الخلافةُ في القوم، والشركةُ في الأمر، بالنصّ الصريح، فاستغنيت عن التعليل، فأيّ كشف أجلى من هذا؟![1]

ومن (مناقب) الفقيه ابن المغازليّ الشافعيّ، بإسناده رفعه إلى ابن عبّاس (رضي الله عنه) نصّ رسول الله ﷺ قال:

«يا أيّها الناسُ، مَن آذى عليّاً فقد آذاني، إنّ عليّاً أوّلُكم إيماناً وأوْفاكُم بِعَهدِ الله، يا أيّها الناسُ، مَن آذى عليّاً بُعِثَ يومَ القِيامَةِ يَهُودِيّاً أو نَصْرانِيّاً».

فقال جابرُ بن عبد الله الأنصاريّ: يا رسول الله، وإنْ شهدَ أن لا إلهَ إلاّ اللهُ، وأنّك رسولُ الله؟.

فقال: «يا جابِرُ، كلمةٌ يحتجِزُون بِها لا يُسْفَك دِماؤُهُم وأموالُهُم، وأنْ لا يُعْطُوا الجِزيَةَ عن يَد وهُم صاغِرُون»[2].

وقد تضمّنَ هذا الخبرُ أنّه عليه السلام «أوّلُ الناس إيماناً» وقد تواترتْ بِهِ الآثارُ والنقلُ الصحيح، من غير طريق[3] ولو فصّلناهُ لَطالَ بِهِ الشرحُ.

وصرّحَ بِأنّهُ «أوفَى الجمع بِعَهد الله» وكانت هذه إشارةً إلى أنّه عليه السلام أولى بالأُمّةِ، لأنّ الله سبحانه قد ذكرها بلفظ «العهد» في قوله لإبراهيم عليه السلام: **﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾**[4].

---

(١) الرسالة النافعة ـ المجموع المنصوري ـ: ج٢/ ٤٢٤.

(٢) مناقب ابن المغازلي: ص٥٢/ ح٧٦.

(٣) راجع البروج في أسماء أمِير المُؤْمِنِينَ عليه السلام للمؤلّف، بعنوان «أوّل الناس إسلاماً» رقم ٧، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٤/ ١٢٢، و ج١٣/ ٢٢٥، وقد ذكر النسائي في كتابه خصائص عَلِيّ بن أَبي طالِب (رضي الله عنه) بثمانية طرق: ٢٣-٣٠.

(٤) البقرة: ١٢٤.

فجعلَ الإمامةَ عَهْداً فهو أولى بأمانة الله سبحانه.

وتضمّن الخبر: «أنّ مَن آذى عليّاً فقد آذاه» وقد ثَبتَ أنّ أذاهُ كُفْرٌ، بالإجماع. وقد صرّح في آخر الخبر بأنّه «يُحشرُ يومَ القِيامة يَهُوديّاً أو نَصْرانيّاً» ولا يحشرُ بهذه الصفة إلاّ المشركُون، فما ظَنُّك بِمَن حارَبَهُ.

وأجرى سَبَّهُ على رُؤُوس المَنابِرِ وفي محارِيبِ المساجِدِ، ما يكون اسمه عند الله غَداً بعدَ خبر الصادق المَصدُوق؟.

وبإسناده رفعه إلى جابر بن عبد الله الأنصاريّ، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يوم الحُدَيبية، وهو آخِذٌ بِضَبْعِ عليٍّ عليه السلام وقال:

«هذا أميرُ البَرَرَة، وقاتِلُ الفَجَرَة، مَنْصُورٌ مَن نَصَرَهُ، مَخْذُولٌ مَن خَذَلَهُ» ثُمَّ مَدَّ صوتَهُ: «أنَا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابُها، فمَنْ أرادَ العلم فليأتِ البابِ»[1].

فتضمّنَ هذا الخَبرُ معنى الإمامة، ثمّ أفادَ معنى الإمامة بدارِ العلمِ، وأنّهُ لا دُخُولَ لأحَد إليه إلاّ من طريق عليٍّ عليه السلام وقد نهى اللهُ تعالى عن إتيان البُيُوتِ من ظُهُورِها، وأَمَرَ بإتْيانها من أبوابها[2].

فإذن، المُتّصلُ بالرسول صلى الله عليه وآله من غير عليٍّ عليه السلام قد أَتى البُيُوت من حيث نُهِيَ عن إتيانها، فكان هذا إشارةً تزيد ما قدّمناه من الدلالة على أنّه الإمامُ بعدَ رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فَصْل.

وفيه رفعه بإسناده عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّما مَثَلُ عليٍّ في هذه الأُمّة مَثَلُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في القرآن»[3].

---

(١) مناقب ابن المغازلي: ص٨٤/ ح١٢٥، العمدة لابن البطريق: ص٣٥٤/ ح٥٠٣.

(٢) **﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**. البقرة: ١٨٩.

(٣) مناقب ابن المغازلي: ص٧٠/ ح١٠٠، العمدة لابن البطريق: ص٣٦٢/ ح٥٢٧.

فتأمّل هذا الخبرَ؛ فهو مُفيدٌ جِدّاً، لأنّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ سورةُ الإخلاص. فأدّى[1] الإخلاص بِوُدِّهِ.

وفيه: معنى «التوحيد» ولفظه، فكانت الإمامةُ لهُ وَحْدَهُ دُون غيرِهِ.

وفيه: معنى «الإمامة» من لغة العرب وهو ما ذكره في تفسير (الصَمَد) إنّه السيّد المصمُود إليه، وهو أولى من قول: مَن قال: هو ما لا جَوْفَ لَهُ، لأنّهُ لو كان جِسْماً لكان محدَثاً وهو تَعالى قديمٌ، وقد قال شاعرهم:

ألا بكّــرَ النــاعي بخيرِبــني أَسَــدْ   بعمرِو بنِ مسعود وبالسيّدِ الصمدْ[2]

ومن كتاب (الفردوس) لابن شيرويه الديلميّ، ذكره في قافيه الواو، ورفعه بإسناده إلى أبي سعيد الخُدريّ (رضي الله عنه) عن النَبيّ ﷺ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[3] عن ولايةِ عَليّ بن أَبي طالِب عليه السلام[4].

نسألُ الله الثباتَ في الأمر، حتّى إذا سَألْنَاهُ؛ قُلنا: أنزلناهُ حيثُ أنزلتَهُ أَنْتَ ورسولُك، وقد قدّمناهُ على الجميع كما قدّمْتَهُ، وحيثُ شاء تقديمُك لهُ في المواضع الّتي زاغَتْ فيها الأبصارُ، وبَلَغَت القُلُوبُ الحَناجِرَ، وظَنَّ قومٌ بالله الظُنُونَ و﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[5] في بَدْر والخندق وحُنين، فلو عَدَلْنا به عن معنى الإمامة، وتقدّم الرِئاسة؛ فأخّرنا والحالُ هذِهِ لانْتَضَمْنا في قول عَنترة العبسيّ:

---

(١) هذا هو الظاهر، وكلمة (فأدّى) مشوهة في النسختين.

(٢) ديوان هند بنت معبد: ١. من موسوعة الشعر العربيّ.

(٣) الصافات: ٢٤.

(٤) أخرجه ابن البطريق في كتابه «العمدة»: ص٣٦٣/ ح٥٣٠.

(٥) الأحزاب: ١١.

وإذا تكـــونُ كريهـــةٌ أُدْعــى لَهــا   وإذا يُحـاسُ الحَيْسُ يُـدْعَى جُنْـدَبُ
هـــذا لَعَمْـــرُكُمُ الصَـــغارُ بِعَيْنِـــهِ   لا أُمَّ لِـــي إنْ كـــانَ ذاكَ ولا أَبُ[1]

ومنها: قوله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام: «اللّهمّ أَدِرِ الحَقَّ (مَعَ عليٍّ)[2] حيثُ دارَ»[3].

وقد عَلِمْنا إجابَةَ دَعْوَتِه صلى الله عليه وآله ومن ذلك قوله عليه السلام إنَّهُ أولى بِالأمْرِ بعدَ رسول الله صلى الله عليه وآله لا يُخالِفُ في ذلكَ أَحَدٌ من العلماء؛ فإذَنْ الحقُّ في دعواهُ، فلا يجوزُ تعدّيهِ إلى غيره والحالُ هذهِ.

ومنها: قوله صلى الله عليه وآله: «لا يدخُلُ الجنّةَ إلاّ مَن جاءَ بِجَوازٍ مِن عَلِيٍّ بن أَبي طالِب عليه السلام»[4].

وإذا كانَ هذا هكذا؛ كانَ تقديمُهُ واجِباً، واعتقادُ ولايتِهِ على الأُمّةِ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومنها: قوله صلى الله عليه وآله: «مَثَلُ عليٍّ في هذهِ الأُمّةِ مَثَلُ الوالِدِ»[5].

فهذه إشارةٌ قويّةٌ إلى وُجُوبِ إمامتهِ على الكافةِ، وهو بِمَنزلةِ الوالِدِ لِلصحابَةِ، وهو خيرُ الأُمّةِ؛ فإذَنْ طاعَتُهُ على الجميعِ واجِبةٌ.

فتضمّنَ هذا معنى الإمامةِ لِمَن تأمّلَهُ بِعَينِ النَصَفَةِ، ولم يركبْ متنَ العِناد في دفعِ الحُجّة.

---

(١) لم نجد الشعر منسوباً إلى عنترة، وإنّما ذُكِرَ في (موسوعة الشعر العربيّ) عن ديوان هُنَيّ بن أحمر الكِنانيّ من شعراء الجاهليّة، وقال المرزبانيّ: قد رُوِيَتْ هذه الأبيات لغير هُنَيّ، والثبت أنّها له.

(٢) ما بين القوسين من الأولى.

(٣) تنبيه الغافلين: ٨٤، صحيح الترمذي: ج٥/ ٦٣٣، فردوس الأخبار للديلمي: ج٤/ ٤٢٣.

(٤) مناقب ابن المغازلي: ٢٩٩ طبعة المدرسين، العمدة لابن البطريق: ٣٦٢.

(٥) العمدة لابن البطريق: ٣٦٩.

وحديثُ الراية يومَ خيبر: رواهُ ابنُ حنبل، في (مُسنده) رواهُ بإسناده إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: كان أبي يسمرُ معَ عليٍّ عليه السلام وكانَ يلبسُ ثيابَ الصيفِ في الشتاءِ، وثيابَ الشتاءِ في الصيفِ، فقيل له: لَوْ سألتَهُ عن هذا! فسألَهُ عن هذا؟ فقال:

«صدق، إنّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَ إليَّ وأنا أرمَدُ، يومَ خيبر، فقلتُ: يا رسول الله! إنّي أرْمَدُ؛ فَتَفَلَ في عَيني، وقال: اللّهمّ أذْهِبْ عنهُ الحَرَّ والقُرَّ والبَرْدَ»[١] ـ هكذا في الحديث، فكأنّ القُرَّ: معظمُ البرد، وأعادَ ذِكرَهُ للتأكيد ـ قال عليه السلام: **«فما وجدتُ حَرّاً ولا بَرْداً»**[٢].

قال: وقال: **«لأَبْعَثَنَّ رَجُلا يُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ، ويُحبُّ اللهَ ورسولَهُ، ليسَ بِفرّار»**.

قال: فتطاوَلَ لها الناسُ فبعثَ عَلَيّاً عليه السلام[٣].

ورفعه بإسناده إلى أبي سعيد الخُدريّ إلاّ أنّه قال: فأخَذَ رسول الله ﷺ الرايةَ فهزَّها، وقال: «مَن يأخُذُها بِحَقّها؟» فجاءَ فلانٌ! فقال: «امْضِ»[٤]، ثُمّ جاءَ آخَرُ! فقال: «امْضِ»، ثُمَّ قالَ النبيّ ﷺ: «والّذي كرَّمَ وَجْهَ مُحمّد لأعْطِيَنَّها رَجُلا»...ثُمّ سَرَدَ الخَبَرَ[٥].

---

(١) مسند أحمد: ٢٨١/ح١١١٧، فضائل الصحابة: ج٢/ ٥٦٤/ ح٩٥٠، وفي العمدة لابن البطريق: ص١٨٧/ ح٢١٧.

(٢) مسند أحمد: ج١/ ٢٨١/ ح١١١٧.

(٣) مسند أحمد: ج١/ ٢٨٢/ ح١١١٧.

(٤) في المصدر: امط.

(٥) مسند أحمد: ج٣/ ١٦، وفي ط: ج٤/ ٣٤/ ح١١١٢٢ وتتمة الحديث: «... رجلاً لا يَفِرُّ، هاكَ يا عليُّ».

ورفعهُ بإسناده إلى سعيد بن المُسيّب[1].

ثُمّ روى الحديثَ بغير زيادة بإسناده إلى عبد الله بن بُريدة، وذكر طَرَفاً من حديث خيبر، إلاّ أنّهُ قال: «فأعطى الرايَةَ أبا بكر؛ فانصرف ولم يفتحْ، فأصابَ الناسَ يومئذ شدّةٌ وجهدٌ. فقال رسولُ الله ﷺ»... ثُمّ ذكر الخبرَ بِطُوله، وزادَ فيه: قال بُريدةُ: «وأنا مِمَّن تَطاوَلَ لَها» يعني الرايَةَ[2].

ورفعهُ بإسناده إلى أبي هُريرة، وذكر الحديث من أوّله كما ذكرنا، إلاّ أنّهُ قال: قال عُمَرُ: «فما أحببتُ الإمارةَ قبلَ يومئذ، فتطاوَلْتُ لَها، واستشرفْتُ؛ رَجاءَ أنْ يدفَعُها إليَّ، فلمّا كان الغَدُ دَعا عليّاً ﷺ فدفَعَها إليه» وزادَ فيه: «قاتِلْ، ولا تَلْتَفِتْ، حتّى يفتَحَ اللهُ عليكَ»[3].

ورواهُ بطريق أُخرى، عن أبي بُريدة، وزاد في حديثه: «هذا قِتالُ عليٍّ ﷺ ومرحب، وارتجازُهُ وقَتْلُهُ إيّاهُ»[4].

ورواه بإسناده إلى سهل بن سعد، عن أبيه، وذكر الحديثَ بِطُوله، إلاّ أنّه زاد فيه قول علي ﷺ يا رسول الله: «أقاتِلُهُم حتّى يكُونُوا مِثْلَنا»[5].

---

(١) مناقب ابن المغازلي: ح٢١٧، ومسند أحمد: ج١٣/ ٤٩٩/ ح٨١٦٣، وأخرجه ابن البطريق في العمدة: ص١٨٨/ ح٢٢٠ لاحظ.

(٢) مسند أحمد: ج٩/ ١٩/ ح٢٣٠٥٤. أقول: ونصّ الحديث: فقال رسول الله ﷺ: «إنّي دافعٌ اللواءَ غَداً إلى رَجُل يُحبُّهُ اللهُ ورسولُهُ، ويُحبُّ اللهَ ورسولَهُ، لا يرجعُ حتّى يُفتحَ لَهُ»: مسند أحمد: ج٥/ ٣٥٣-٣٥٥.

(٣) مسند أحمد: ج٢/ ٣٨٤، وفي ط: ج١٤/٥٤٠/ح٨٩٩٠، فضائل الصحابة: ج٢/٦٢٠/ح١٠٣٠.

(٤) مسند أحمد: ج٥/ ٣٥٨. ط.١، وفي الرسالة النافعة: «وقتل عليٌّ إيّاه» وكان في النسختين المخطوطتين: «وقبله رسول الله ﷺ إياه».

(٥) مسند أحمد: ج٥/ ٣٣٣ قديم، فضائل الصحابة: ج٢/ ٦٠٧/ ح١٠٣٧.

ورفعه بإسناده من طريق أُخرى إلى أبي هريرة، وذكره، و زاد في اللفظ ما لا يخرجه عن المعنى الأوّل[١].

ورفعه بإسناده من طريق أُخرى إلى أبي سعيد الخُدريّ، إلاّ أنّه جعل مكان قوله: «أمِطْ» «امْضِ»[٢].

ورفعه من طريق أُخرى إلى أبي هريرة، وروى الحديث، ولم يُخالف في ألفاظه خلافاً يجبُ إفرادُهُ بِالذكر، إلاّ أنّه قال: «اللّهمّ، اكْفِهِ أذى الحَرّ والبَرْد»[٣].

ورفعه بإسناده إلى سعد بن أبي وقّاص، وذكر إعطاءهُ الرايةَ في أربع خلال ذكر فيها سُفيان ثلاثاً، ونسيَ واحدةً: ذكر فيها حديث الغدير، والمنزلة، والراية يوم خيبر[٤].

ورفعه بإسناده إلى أبي هريرة، بطريق أُخرى، و وسّعَ في طريق الخبر[٥].

ومن (صحيح) البخاريّ في آخر الجزء الثالث منه، رفعه بإسناده إلى سلمة بن الأكْوَع، قال: كان عليّ عليه السلام تخلّفَ عن النبيّ صلى الله عليه وآله فخَرَجَ عليٌّ فلحقَ بِالنّبيّ، فلمّا كان مساءَ تلك الليلة الّتي فَتَحَها في صباحها؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأُعْطِيَنَّ الرايةَ ـ أو لَيَأْخُذَنَّ الرايةَ ـ رَجُلا يُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ ـ أو قال: يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ ـ يفتحُ اللهُ عليهِ» فإذا نحنُ بِعَليٍّ، وما نرجُوهُ! فقال: «هذا عَلِيٌّ» فأعطاهُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله ففتحَ اللهُ عليه[٦].

---

(١) مسند أحمد: ج١٤/ ٥٤٠/ ح٨٩٩٠.

(٢) تقدّم تخريجه في المسند: ج٤/ ٣٤/ ح١١١٢٢.

(٣) فضائل الصحابة: ج٢/ ٦٣٧/ ح١٠٨٤.

(٤) مسند أحمد: ج١/ ١٨٥ طبع دار الفكر.

(٥) فضائل الصحابة: ج٢/ ٦٥٩/ ح١١٢٢، العمدة لابن البطريق: ص١٩٢/ ح٢٢٩.

(٦) صحيح البخاري: ج٤/ ٧٣ باب فضل من أسلم على يديه من كتاب الجهاد، وأيضاً في: ج٥/ ١٧١ باب غزوة خيبر.

ومن الجزء المذكور ـ أيضاً ـ بالإسناد المقدّم، رفعه إلى سهل، وزاد فيه ـ بعدَ قول النبيّ ﷺ: «يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ ويُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ» ـ: فباتَ الناسُ يدوكُون دَوْكاً ـ معناهُ يختلطُون اختلاطاً ـ ذكره ابنُ فارس في «المُجْمَل» ـ ليلتَهم، أيُّهُم يُعطى؟ فغَدَوا كُلُّهم يرجُوهُ؛ فقال: «أَيْنَ عَلِيّ بن أَبِي طالِب» فقالوا: يَشْتَكِي عينيهِ، ودعا لهُ فبرأ كأنْ لمْ يَكُنْ بهِ وَجَعٌ، فقال: «أُقاتِلُهُم حتّى يكُونُوا مِثْلَنا»[1]... ثُمّ سَرَدَ الحكايةَ ونصَّ الخبر.

ومن الجزء الرابع ـ أيضاً ـ في ثلثه الأخير، في باب مناقب عَلِيّ بن أَبِي طالِب ﷺ بالإسناد المقدّم، وذكر الخبر، وزاد فيه قال عُمَر: تُوُفِّي رسول الله ﷺ وهو عنهُ راض، وقال لعليٍّ ﷺ: «أَنْتَ مِنِّي وأنا مِنْكَ»[2].

وبإسناده إلى سهل بن سعيد، أنّ رسول الله ﷺ قال: «لأُعْطِيَنَّ الرايَةَ غَداً رَجُلا يفتحُ اللهَ على يَدَيْهِ» قال: فباتَ الناس يَدُوكُون دَوْكاً لَيْلَتَهم أَيُّهم يُعطاها، فلمّا أصبحَ الناس غَدَوْا على رسول الله ﷺ كُلُّهم: أَيُّهم يرجُو أنْ يُعطاها؟ فقال: «أَيْنَ عليُّ بن أبي طالب؟» فقالوا: يشتكي عينَهُ، يا رسول الله، وأَرْسَلَ إليهِ، فأُتى بِهِ، فلمّا جاءَ بَصَقَ في عينَيْهِ، ودَعا لَهُ، فَبَرأَ، كأنْ لم يكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فأعطاهُ الرايةَ، فقال عليٌّ: يا رسول الله! أُقاتِلُهُم حتّى يكُونُوا مِثْلَنا؟ فقال: «أُنْفُذْ على رَسْلِكَ حتّى تَنْزِلَ بَساحَتِهِمْ، ثُمّ ادْعُهُمْ إلى الإسلام، وأَخْبِرْهُم بِما يَجِبُ عليهم مِن حَقّ الله فيه، فوالله، لَئِنْ يهديَ اللهُ بِكَ رَجُلا واحِداً خَيْرٌ لَكَ

(١) صحيح البخاري: ج٤/ ٧٣ باب فضل من أسلم على يديه من كتاب الجهاد، وأيضاً ج٥/ ١٧١ باب غزوة خيبر.

(٢) صحيح البخاري: ج٥/ ١٨ باب مناقب عَلِيّ بن أَبِي طالِب، والعمدة لابن البطريق: ص١٩٤/ ح٢٣٣، الرسالة النافعة «المجموع المنصوري»: ج٢/ ٤٣١.

مِن أنْ تكونَ لَكَ حُمرُ النَعَم»[١]... ثُمّ ذكر الخبرَ بِطُوله.

ومن الجزء الخامس من (صحيح) البخاريّ، بإسناده رفعه إلى سلمة، ثمّ سَرَدَ الخبرَ[٢].

ورفعه بإسناده إلى سهل بن سعد، وذكر الحديث بطولِهِ[٣].

ومن (صحيح مسلم) من الجزء الرابع، بإسناده إلى عمر بن الخطّاب، بعد قتل عامر: «أَرْسلني رسولُ الله ﷺ إلى عَلِيّ بن أَبي طالِب عليه السلام وهُوَ أَرْمَدُ، وقال: «لأُعْطِيَنَّ الرايَةَ رَجُلا يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ ويُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ».

قال: فأَتَيْتُ عَلِيّاً فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ وهُوَ أَرْمَدُ، حتّى أَتَيْتُ بِهِ رسول الله ﷺ فَبصَقَ في عينَيْهِ، فَبَرَأَ، وأَعْطاهُ الرايةَ، وخَرَجَ مَرْحَبٌ وهُوَ يقول:

قَدْ علمتْ خيبرُ أنّي مَرْحَبُ ... شاكِي السِلاح بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إذا الحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فقال عليٌّ:

أَنا الّذي سَمَّتْنِي أُمّي حَيْدَرَهْ ... كَلَيْثِ غَابَات كَرِيْهِ المَنْظَرَهْ

أُوفِيْهِمُ بِالصاعِ كَيْلَ السَنْدَرَهْ

فضربَ رأسَ مرحَب فقتَلَهُ، ثمّ كان الفتحُ على يديْهِ[٤].

---

(١) صحيح البخاري: ج٤/ ٧٣ كتاب الجهاد باب فضل من أسلم على يديه، و ج٥/ ١٧١ باب غزوة خيبر.

(٢) صحيح البخاري: ج٥/ ١٨ و١٣٤ باب مناقب عَلِيّ بن أَبي طالِب.

(٣) صحيح البخاري: ج٥/ ١٣٤.

(٤) صحيح مسلم: ج٥/ ١٩٥ باب فضائل عليّ من كتاب الفضائل، وفي شرح النوويّ: ج١٢/ ١٨٥، وفيهما: (فبسقَ في عينَيْهِ)!.

وبإسناده إلى عكرمة بن عمّار، وذكر الحديث بِطُوله، ورفعه إلى ابن عبّاس بالإسناد والخبر الطويل[١].

وفي آخر كُرّاس من الجزء المذكور ـ أيضاً ـ من (صحيح مسلم) بالإسناد المقدّم، رفعه إلى أبي هُريرة، وذكر الحديث بطوله، إلاّ أنّه قال: سارَ عليٌّ شيئاً و وَقَفَ ولم يلتفتْ، فصَرَخَ: يا رسول الله! على ماذا أُقاتل الناسَ؟.

قال: «قاتِلْهم حتّى يَشْهدُوا ألاّ إلهَ إلاّ اللهُ، وأنّ مُحمّداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعُوا منكَ دماءَهم وأموالَهم إلاّ بِحَقّها، وحسابُهم على الله»[٢].

ومثله رفعه ـ أيضاً ـ برواية أُخرى، وذكر الحديث بطوله، ولم يذكر اختلاف لفظ يُخلّ بالمعنى[٣].

ورفعه بإسناده إلى سلمة بن الأكوع، وروى نحو ما تقدّم[٤].

ومن (تفسير) الثعلبي في معنى قوله تعالى: ﴿**وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا**﴾[٥] قال: وذلك فتحُ خيبر. رفعه بإسناده قال: حاصَرَ رسول الله ﷺ أهلَ خيبر حتّى أصابَها مخمصةٌ شديدةٌ، ثمّ إنّ رسول الله ﷺ أعطى اللواءَ عمرَ بن الخطّاب، ونهضَ مَن نهض معه من الناس، ولَقَوا أهل خيبر؛ فانكشفَ عمر وأصحابه، ورجعوا إلى رسول الله ﷺ يُجَبِّنُهُ أصحابُهُ ويُجَبِّنُهُم.!

وكان رسول الله ﷺ قد أخذتهُ الشقيقةُ فلمْ يخرجْ إلى الناس، فأخَذَ أبو بكر راية رسول الله ﷺ ثمّ نهضَ يُقاتلُ، ثمّ رَجَعَ، فأخَذَها عُمَرُ فقاتلَ ثمّ رَجَعَ،

---

(١) صحيح مسلم: ج٥/ ١٩٥.

(٢) صحيح مسلم: ج٧/ ١٢١.

(٣) صحيح مسلم: ج٧/ ١٢١.

(٤) صحيح مسلم: ج٧/ ١٢٢.

(٥) الفتح: ٢.

فأُخْبِرَ بذلك رسول الله ﷺ قال: «أمَا ـ والله ـ لأُعْطِيَنَّ الرايةَ غَدَاً رَجُلا يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ، ويُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ، ليسَ بِفرّار، يأخُذُها عنوةً». وليس ثَمَّ عليٌّ، فلمّا كانَ من الغَدِ تَطاوَلَ لَها أبو بكر وعُمَرُ ورِجالٌ من قريش رَجا كُلٌّ واحد منهم أن يكون صاحبَ ذلك، فأرسلَ رسول اللهﷺ سلمة ابن الأكوع إلى عليٌّ عليه السلام فدعاهُ فجاءَهُ على بعير لهُ فأناخَ بِالقُرب مِن رسول اللهﷺ وهو أَرْمَد قد عَصَبَ عينَيْهِ بِشقّةِ بُرْد قَطَرِيّ.

قال سلمة: فجئتُ أَقُودُهُ ـ ولفظ هذا الحديث يدلّ على أنّ عمر قاده بعض المسافة وسلمة بعضها ـ قال: فأتيتُ به رسولَ الله ﷺ قال رسولُ اللهﷺ: «ما لَكَ؟»

قال: «رمدتُ»؟

قال: «أُدْنُ مِنّي» فَدَنَا مِنه فَتَفَلَ في عينَيْهِ، فما شكا وَجْعَها بَعْدُ حتّى مضى لسبيله.

ثمّ أعطاهُ الرايةَ، فنهضَ بِالرايةِ وعليهِ جامِعَةٌ أُرْجُوان حمراء، قال: أَخْرَجَ كُمَّيْها! فأتَى مدينةَ خَيبر.

فخرجَ مرحبٌ، وعليه مغفرٌ مصفَّرٌ، وحَجَرٌ قد نقبهُ مثل البيضة، وهو يرتَجِزُ ويقولُ:

قـد عَلِـمَ الأبطـالُ أنّـي مرحَـبُ شـاكي السـلاحِ بَطَـلٌ مُجَـرَّبُ
أطعـنُ أحيانـاً وحينـاً أضـربُ إذا الحـروبُ أقبلـتْ تَلَهّـبُ
كـانَ حِمـايَ كـالحمى لا يقـربُ

فبَرَزَ عليٌّ عليه السلام فقالَ:

أنَاالّـذي سَـمَّتْني أُمّـي حيـدَرَهْ كَلَيْـثِ غابـات شـديد قَسْـوَرَهْ
أَكِـيْلُهُمْ بِالسـيفِ كَيْـلَ السَـنْدَرَهْ

فاختلفا ضربتين، فبَدَرَهُ عليٌّ ﷺ بضربة فقدَّ الحَجَرَ والمِغْفَرَ، وفَلَقَ رأسَهُ حتّى أَخَذَ السيفُ في الأضراس، وأَخَذَ المدينةَ، وكان الفتحُ على يَدَيْهِ[1].

وقد رواه ابن المغازلي الفقيه الشافعي في (مناقبه) بأسانيد كثيرة وطرق جمّة، قال في بعض ذلك: لمّا وَلَدَتْ فاطمةُ بنتُ أسد رحمة الله عليها عليّاً ﷺ سَمَّتْه أَسَداً باسمِ أَبيها، فلمّا قَدِمَ أبو طالب كَرِهَ ذلك، وسَمّاهُ عليّاً، فلمّا ارتجز عليٌّ ﷺ ذكرَ ما سَمَّتْهُ بهِ أُمُّهُ.

و«حَيْدَرَةٌ» من أسماء الأَسَد.

و«السَنْدَرَةُ» شجرةٌ تُعمل منها القسيُّ، ويُحتمل أن يعمل منها مكاييل جائزة[2].

أو يكون السندرة امرأةً تكيلُ كيلا وافياً، فمَثَّلَ بِهِ.

وكَرَّرَهُ في (مناقبه) بزيادات مفيدة، وهي ـ بحمد الله ـ لَمن طلبها موجودةٌ وميلنا إلى الاختصار[3].

ومن (الجمع بين الصحاح الستّة) لأبي الحسن رَزين، من الجزء الثالث في ذكر غزوة خيبر من (صحيح الترمذيّ) رفعه بإسناده إلى سلمة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى عليٍّ ﷺ وهو أرمد، فقال: «لأُعْطِيَنَّ الرايَةَ غَدَاً رَجُلا يُحِبُّ اللهُ ورسولَه ويُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ» وتلا الخبر بطوله[4].

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي: ج٩/ ٥٠.

(٢) كذا ظاهر النسختين، ولاحظ مناقب ابن المغازلي: ١٧٩، ففيه: والسندرة يحتمل أن يكون مكيالاً يتّخذ من هذه الشجرة.

(٣) وأنظر مناقب ابن المغازلي: ص١٧٩/ ح٢١٣ و١٨٠-١٨٨.

(٤) صحيح الترمذي: ج٥/٦٣٨، ومسند أحمد: ج٤/٥٢، وأنظر العمدة لابن البطريق: ص٢٠٤/ ح٢٥٧.

وفيه بالإسناد المتقدّم إلى سهل بن سعد، عن أبيه، وذكر الخبر[١].

فقد رأيتَ هذه الآثارَ وما فيها من الدلالة القويّة والفضيلة العظيمة الّتي تميَّزَ بها على جميع الصحابة، وهو خيرُ الأُمّة، فكان خيارُ الخيارِ.

وفي الخبر دلالةٌ على العصمة، والقطع على المغيّب، وأنّ الباطنَ منهُ سليمٌ مثل الظاهر، وأنّه أَخَذَ الفوزَ العظيمَ، لأنّهُ تعالى ذكر في آخر سورة الشُورى: ﴿**فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[٢] فما بعدَ ذلك مِنْ مُلْتَمَس!.

وقد نطقَ القرآنُ الكريمُ بِلفظ المَحبّة، فقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾[٣] وكان عليٌّ عليه السلام أثبتَ البُنيان قِياماً، وأصدقُ الفُرسان صِداماً.

ثمّ ذكره تعالى بصفة أُخرى في قوم قد نَكَلُوا عن الجهاد، أو خِيْفَ منهم ذلك: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[٤] ثُمّ كشفَ ذلك في تمام الآية بقوله تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٥].

فإذا تقرّرَ ذلك؛ فقد علمنا أنّ أَحَداً لا يبلغُ إلى منزلتهِ في الجِهاد، ولا كان لو لم يكن قد ورد نصٌّ في تفضيله والثناء عليه من الله ورسوله مصرّحاً؛ لاستدْلَلْنا

---

(١) راجع صحيح البخاري: ج٥/ ١٣٤ باب غزوة خيبر، وفي مسند أحمد: ج٤/٥٢ الخبر كاملاً.

(٢) التوبة: ١١١.

(٣) الصفّ: ٤.

(٤) المائدة: ٥٤.

(٥) المائدة: ٥٤.

على فضلِهِ وتقديمِهِ على الجميعِ بتقديمِهِ في الجهاد، وعنايته في الدين، كيفَ؟ وقد صرّح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمحبّتهِ للهِ ومحبّةِ اللهِ لهُ.

وممّا يزيدكَ تِبياناً وهدايةً إنْ شاء اللهُ تعالى: أنّ خصالَ الفضلِ والكمالِ إنّما تكونُ بالقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبذلك فَخَرَت العربُ على العجم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفَخَرَتْ قُريشٌ بقُربها منه صلى الله عليه وآله وسلم.

فكانَ أهلُهُ أولى بذلك، وعليٌّ عليه السلام ـ بإجماع الأهلِ وإطباق العُلماء معهم على ذلك ـ أفضلُ الكُلِّ.

ومن ذلك: التقدّمُ في الإسلام، وقد سبق طرف من الحديث فيه.

ومن ذلك: الجِهاد، فقد قدّمنا ما يدلّ على ذلك، وهو ظاهر.

ومن ذلك: العلمُ، فهو بابُ مدينتِهِ.

وزُلفى القيام بِالحوض؛ فهو عليه السلام من السُقاةِ عليه، وولداه.

ومن ذلك: الشفاعةُ، فله صَفْوُها.

روّينا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لأهل بيته: «لَنْ يبلُغُوا الخيرَ حتّى يُحِبُّوكُم للهِ ولِقرابَتِي، أَيرجُو سَلْهَبُ شَفاعَتي؟ ويُحْرَمُها بَنُو عبد المطّلب!»[1].

سَلْهَبٌ: حَيٌّ من أحياء مُرادٍ.

فكيفَ ينبغي تأخيرُ مَنْ هذهِ خِصالُهُ وصِفاتُهُ! لو لم يَرِد [illegible] بإمامته، ولم ينطق القُرآنُ بِولايتهَ، فنسألُ اللهَ الثباتَ في الأمر والعزيمةَ على الرُشد.

فكيف آثار الأُخوّة، والخلافة، والوزارة، والشركة في الأمر والإرث، وقضاء الدَّيْن، وإنفاذ المواعيد، وردّ الودايع؟!.

ومن مسند ابن حنبل بإسناده إلى عبد المؤمن، عن أبي المُغيرة، عن عَلِيّ بن

---

(١) الرسالة النافعة ـ المجموع المنصوري ـ: ج٢/ ٤٣٦.

أَبِي طالِب قال: طَلَبَني رسول الله ﷺ فوَجَدَنِي في حائط نائماً، فضَرَبَني بِرجله فقال:

«قُمْ ـ والله ـ لأُرْضِيك: أَنتَ أَخي، وأَبو وُلْدِي، تُقاتِلُ على سُنَّتي، مَن ماتَ على عَهْدي فهو في كنز الله، ومَن ماتَ على عهدِكَ فقد قَضى نَحبَهُ، ومَن ماتَ يُحِبّك بعدَ موتِكَ يَخْتِمُ اللهُ لهُ بِالأَمْنِ والإيمانِ ما طَلَعَتْ شمسٌ أو غَرَبَتْ»[1].

وبطريق ذكر فيها سليمان بن الربيع، وزاد فيه: «عليٌّ أَخِي، وصاحبُ لِوائي». والأخُ ـ عند المُنْصِف ـ أولى من الصاحب، وصاحبُ اللواءِ الناسُ تبعُهُ.

ونفسُهُ نفسُهُ، بدليل خبر المُباهلة الّذي أطبقَ أهلَ النقل عليه.

وولَدُهُ وَلَدُهُ. وخرجت الزوجاتُ من إطلاق لفظ «النساء» بإخراجه فاطمة عليها السلام وحدها دون زوجاته.

وكم من آية: **﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾**[2] **﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾**[3].

وحديثُ سُورة براءة، وما كان من أمرها، والكلمات الخمس بعدها.

وإذا كان نفس عليٍّ نفسَهُ؛ فكيف يجوزُ لنفس أن تقدّم على نفس رسول الله ﷺ.

ومن (مسند) ابن حنبل حديث الأبواب الّتي كانت إلى المسجد وسدّها، قال يوماً: «سُدُّوا هذهِ الأبوابَ إلاّ بابَ عليٍّ» فتكلّمَ في ذلك أُناسٌ، قال: فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «أمّا بعدُ، إنّي أمرتُ سدَّ هذهِ

---

(١) فضائل الصحابة: ج٢/ ٦٥٦/ ح١١١٨، العمدة لابن البطريق: ص٢٥٣/ ح٣١٦.

(٢) يوسف: ١٠٥.

(٣) العنكبوت: ٤٣.

الأبواب غير باب عليٍّ، فقالَ فيه قائِلُكُم!، واللهِ، ما سَدَدْتُ شيئاً ولا فتحتُهُ، ولكنّي أُمِرْتُ بشيء فاتَّبَعْتُه»[1].

ثُمّ كَرّرَهُ بِأسانيد ثلاثاً أو أربعاً، وفي بعضه زياداتٌ من قول أبي بكر، وعُمَرَ، والعبّاس[2].

ولكلّ شيء من ذلك دليلٌ على مزيّةِ الاختصاصِ، ووجوب الإقرارُ بِالتقديم؛ لأنّهُ لا ينبغي للأُمّة أنْ تُخرجَ من أَدْخَلَهُ اللهُ ورسولُهُ، وميّزهُ على الخاصّة من خلاصة أصحابه.

ومن (مناقب) الفقيه المغازلي، رواه بإسناده إلى عديّ بن ثابت، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المسجد فقال: «إنّ الله أوحى إلى نبيّه موسى عليه السلام أن ابن لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلاّ موسى وهارون وابنا هارون»[3].

وفي هذا الخبر فضيلةُ السُكنى له دُون البَشَرِ، وقد رواه بطرقه، وميلنا إلى الاختصار، إلاّ أنّه قال في بعض أحاديثه: «فمنْ ساءَهُ فها هُنا» وأومى بيده نحو الشام.

يريد أنّ من كَرِهَ ذلك فليَصِرْ ـ إن شاء ـ إلى أعظم إنكار بفضل الله له.

فقد أحلّه حيثُ أحلّ، وأدخله حيث دخل، وباهَلَ به إذْ باهَلَ، وقرنه بنفسه في المؤاخاة، هذا دليل على القطع في الباطن وصلاح المغيّب، فمَن أولى منه بِالأمر لولا العصبيّة والحميّة ودفع الدلالة الجليّة؟!.

---

(۱) مسند أحمد: ج۲/ ۲٦، فضائل الصحابة: ج۲/ ٥۸/ ح۹۸٥.

(۲) انظر العمدة لابن البطريق: ص۲۲٥/ ح۲۸٥-۲۸۸.

(۳) مناقب ابن المغازلي: ۲٥۲ وتمام الخبر من المصدر: «وإنّ الله أوحى إليَّ أن ابن مسجداً طاهراً لا يسكنه إلاّ أنا وعلي وابنا علي عليهم السلام».

وقد ذكر الثعلبيّ حديث وفد نجْران في قصّة المُباهلة، وذكر الحديث بطوله، وأنّ رسول الله ﷺ خَرَجَ مُحتضِناً للحُسين وآخِذاً بيد الحسن، وفاطمةُ تَمْشي خلفَهُ، وعليٌّ خلفَهما، وهو يقولُ لهم: «إذا دَعَوْتُ فأمِّنُوا».

فقال أُسقُفُ نَجْران: يا معشرَ النَصارى إنّي لأَرَى وُجوهاً، لَوْ سألُوا اللهَ أنْ يُزيلَ جَبَلاً من مَكانِهِ لأزالَهُ، فلا تَبْتَهِلُوا؛ فلا يبقى على وَجْهِ الأرض نَصْرانِيٌّ إلى يوم القيامة.

فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأيْنا أنْ لا نُلاعِنَكَ، ونثبتَ على دِيننا، وأنتَ على دِيْنِكَ وأَعْطَوهُ الصُلْحَ في كلّ عام أَلْفَي حُلّة، نصف في رَجَب ونصف في صفر.

وقال النَبيّ ﷺ:

«والّذي نفسي بيده، إنّ العذابَ قد تَدَلّى على أهل نَجْران لَوْ لاعَنُوا لَمُسِخُوا قِرَدَةً وخَنازيْرَ، ولاضْطَرَمَ الوادي عليهم ناراً، ولاستَأْصَلَ اللهُ نَجْران وأَهْلَهُ حتّى الطيرَ على الشَجَرِ، ولَمَا حالَ الحولُ على النصارى كُلّهم حتّى هَلَكُوا»[1].

فقال الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فَإِن**﴾ أي أعرضوا عن الإيمان ﴿**تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ**﴾[2].

ورواه ابن المغازلي الفقيه الشافعيّ الواسطيّ، ورواه بإسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاريّ، إلاّ أنّه ذكر في أوّل الحديث: أنّ رسول الله ﷺ قال لهما:

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي: ج٣ / ٨٥.

(٢) آل عمران: ٦٢-٦٣.

«أسلما» قالا: يا محمّد، أسلَمْنا قبلَك، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: **«كذبتما»** ثمّ دعاهما إلى المُلاعنة، وذكر الحكاية[1].

ومن (مسند) ابن حنبل، رفعه بإسناده إلى عمران بن حصين، قال: بَعَثَ رسول الله صلى الله عليه وآله سريّةً، وأمّرَ عليّاً عليه السلام فأحْدَثَ شيئاً في سَفَرِهِ، فقال عمران: تعاقَدَ أربعةٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنْ يذكُروا أَمْرَهُ لرسول الله صلى الله عليه وآله.

قال عمران: وكُنّا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله صلى الله عليه وآله فسلّمنا عليه، فدخلوا عليه، فقام رجلٌ منهم فقال: يا رسول الله إنّ عليّاً قد فعل كذا وكذا، فأعرضَ عنه، ثمّ قام الثاني فقال كذا، فأعرضَ عنه، ثمّ قام الثالث، فأعرضَ عنه، ثمّ قام الرابع فقال: يا رسول الله إنّ عليّاً فعل كذا وكذا، قال: فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وقد تغيّرَ وجهُه[2].

فقال: وبإسناده إلى حبشي بن جنادة السكوني، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «عليٌّ مِنّي وأنا مِنهُ، ولا يُؤدّي عَنّي إلاّ أنا أو عليٌّ»[3].

وروى بطرقه ورجاله رفعه إلى سلمان الفارسيّ، قال: سمعتُ سيّدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«كنتُ أنا وعليٌّ نُوراً بين يَدَي الله عزّوجلّ قبلَ أنْ يخلقَ اللهُ آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلقَ اللهُ تعالى آدم قسّمَ ذلك النورَ جُزئين، فجزءٌ أنا وجزءٌ عليٌّ»[4].

---

(١) مناقب ابن المغازلي: ص٢٦٣/ ح٣١٠.

(٢) مسند أحمد: ج٤/ ٤٣٧، العمدة لابن البطريق: ص٢٥٢/ ح٣١٣ و٣١٤.

(٣) مسند أحمد: ج٤/١٦٥، فضائل الصحابة: ج٢/٥٩٤/ح١٠١٠، مناقب ابن المغازلي: ٢٢١.

(٤) فضائل الصحابة: ج٢/ ٦٦٢/ ح١١٣.

وقد ذكر من طريق ابن المغازلي رفعه بإسناده لفظ الخبر، وزاد فيه: «حتّى افترَقْنا من صُلْبِ عبد المطّلب، ففيّ النُّبُوّةُ، وفي عليٍّ الخلافةُ»[١].

وذكره في كتاب (الفردوس) لابن شيرويه الديلميّ، مثله سواء[٢].

فإذا كان قسيمَهُ، والمخلوقَ معهُ من نُور ربّه، وشريكَهُ في نَسَبِهِ وسَبَبِهِ، فكيفَ ينبغي لمقدّم أن يتقدّم قدمه؟.

وهل كَرَمُ لِذِي كَرَم ساوَى شرفَه وكرمَه؟ هيهاتَ هيهاتَ!! (لعلّ ما يبقى خير ما فات)[٣].

ما آمَنَ بِالله مَن جَحَد بِرُسُلِهِ، ولا صدّق رسولَهُ مَنْ أَنْكَرَ قولَهُ وعملَهُ:

فنِعْمَ وَلِيُّ الأمْرِ بعدَ وَلِيِّهِ و مُنْتَجَعُ التَقْوى ونِعْمَ المُؤدّبُ

ونِعْمَ طبيبُ الداءِ مِن أَمْرِ أُمَّة يُواكِلُها ذُو الطِبِّ والمُتَطَبِّبُ[٤]

وما تنقمونَ من أبي الحسن شبيه هارُون إذا شفعوا، وأخو رسول الله ﷺ إذا أفرقوا[٥] والصابر في موطن (الموت)[٦] إذْ نَكَلُوا.

فانظر رحمك الله ما الأمر الّذي بعّدهُ ممّا قرّبَ منه غيره؟ وأوجب تأخّرهُ عمّا استولى عليه سواهُ؟

---

(١) مناقب ابن المغازلي: ص٨٧-٨٨/ ح١٣٠.

(٢) فردوس الأخبار: ج٢/ ٣٠٥/ ح٢٧٧٦، كفاية الطالب: ص٣١٥/ ح٨٧.

(٣) هكذا صحّحنا ما بين القوسين، وكان في الثانية: «لعلى ما يبقى بخير ما فات»، وفي الأولى «لعلى ما ينفع بخير ما فات»، وفي الرسالة النافعة: «لعل ما بقي غير ما فات»، انظر الرسالة النافعة: ج٢/ ٤٤٠.

(٤) ديوان الكميت: ٦٧٤. من موسوعة الشعر العربيّ.

(٥) في الاولى: إذا فرقوا.

(٦) (الموت) في الأولى.

فإذا كان الدليلُ لا يُتَبَعُ، وقولُ رسولﷺ لا يُسْمَعُ، فإلى أينَ المرجعُ والمفزعُ؟

فنسألُ الله توفيقاً يقودُ إلى الهُدى مَن طلبهُ، ورشداً يُدني للتمسّك بالحقّ سببه، وأن نجعل البراهينَ مالكةً زمامَ أمرنا، والآثارَ النبويّةَ هاديتنا في اختلاف نفعنا، واستكفاء شرّنا، فإنّ [شرّ] النفوس أعظم الشرور، والإعراض[1] عن الأدلّة النافعة ـ نعوذُ بالله منه ـ مفتاحُ الشرور.

فهذا ما أمكن على وجه الاختصار من الكلام في إمارة أَمِير المُؤْمِنِيْنَ وتقدّمه باستحقاق الخلافة بعد النَبِيّﷺ بلا فصل.

وهذه الجملة في الاستدلال على صحّة إمامته عليه السلام منقولةٌ من كلام الإمام المنصور[2] سيف آل الرسول وربّاني أسباط البتول، ربيب الإيمان، حليف السنّة والقران، أَمِير المُؤْمِنِيْنَ، عبد الله بن حمزة بن سليمان سلام الله عليه ورضوانه، اخترتُ كلامه على ما سواهُ وفصّلتُ استدلاله على ما عداه؛ إذْ كان كلامه في نفسه حجّةً، وإلى رضوان الله محجّةً.

وقد أطال الأئمّة والعلماء في إيراد الأدلّة الكثيرة على إمامة عليّ عليه السلام وتكلّموا في تفضيله على الصحابة الأعلام، وأجمع كتاب في هذا الباب كتاب «المُحيط بالإمامة في شرح كتاب الدِعامة» وغيره من تصانيف العترة النبويّة وشيعتهم من علماء الزيديّة.

وقد أشرتُ إلى طرف من ذلك في كتاب «تلقيح الألباب في شرح أبيات اللباب».

(١) كذا في هامش النسخة: «والإعراض» وهو في الرسالة النافعة أيضاً وكان في النسخة (والاعواض).

(٢) الرسالة النافعة ـ المجموع المنصوري ـ: ج٢/ ٤٤٠.

فائدة

وهيهنا فائدةٌ ـ لم نعرض لها بعدُ ـ وهي: أنّ ابْن العَرَبِيّ ذكر في ما تقدّم زُهد أبي بكر بطلبه الاستقالة، وأنّ عليّاً رغب في الإمامة.

فنقول: قد ذكرنا جملةً من الجواب على ابْن العَرَبِيّ في هذا، وبقي منه قول عليّ عليه السلام في الشقشقيّة: «فيا عَجَباً! بَينا هُوَ يَستقيلُها في حياته؛ إذْ عَقَدَها لآخَرَ بعدَ وفاته»[1].

قال ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى: العجبُ منهُ ـ وهو يستقيل المسلمين الخلافة أيّام حياته، فيقول: «أَقِيْلُوْنِي»ـ ثمّ يعقدُ لآخَرَ عندَ وفاته، هذا يُناقص الزُهد فيها والاستقالة منها[2].

وقد قال بعض الشيعة فأجاد:

حَمَلُوها يومَ السقيفةِ أوْزا ... راً تَخفّ الجِبال وهِيَ ثِقالُ

ثُمّ جاؤُوا من بعدِها يَسْتَقِيلُو ... نَ، وهيهاتَ عَثرة لا تُقالُ[3]

قال ابن أبي الحديد رحمه الله: إنّما قال: «أَقِيْلُوْنِي» ليدريَ ما في نفس الناس من بيعته، ويخبرَ ما عندهم من ولايته، فيعلم مُريدهم وكارههم[4].

قال: وقد جرى مثل ذلك لعليّ عليه السلام قال لهم: «اتْرُكُوني فأنا كأَحَدِكُم، بَلْ

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٦٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٦٨-١٦٩.

(٣) ديوان مهيار الديلمي: ٩٨٣. من موسوعة الشعر العربيّ.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٦٩.

أَنا أَسْمَعُكُم وأطْوَعُكُم لِمَنْ ولّيتموهُ أَمْرَكُم» فأَبوا عليه ثُمَّ، فكَرِهَها أَوّلا، ثمّ عَهِدَ بِها إلى الحَسَن عند موته.

قالت الإماميّةُ: هذا غيرُ لازم، والفرق بين الموضعين ظاهرٌ، لأنّ عليّاً عليه السلام لم يقل: إنّي لا أصلحُ لها، ولكنّهُ كَرِهَ الفِتنةَ، وأبو بكر قال كلاماً معناهُ: أنّي لا أصلح لها، لقوله: «لَسْتُ بِخَيرِكم»، ومن ينفي عن نفسه صلاحيّتَهُ للإمامة؛ لا يجوزُ أن يعهد بها إلى غيره[1].

قال ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى:

إن قيل: لا تخلو حالُ الصحابة إمّا أن تكون عَدَلَتْ عن الأفضل، وهو عليّ عليه السلام لعلّة ومانع في الأفضل، أو لا مانع.

فإن كان لا لمانع؛ كان ذلك عقداً للمفضول بالهوى، فيكون باطلا.

وإن كان لمانع ـ وهو ما تذكرونه من خوف الفتنة، وكون الناس كانوا يبغضون عليّاً عليه السلام ويحسدونه ـ فقد كان يجبُ أن يَعذِرَهم عليٌّ عليه السلام في العدول عنه، ويعلم أنّ العقد لغيرِهِ هو الأصلحُ للإسلام، فكيف يحسُنُ منهُ أن يشكوَهم بعدَ ذلك، ويتوجّدَ عليهم[2].

قال: قيل: يجوزُ أن يكون أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام لم يغلبْ على ظنّه ما غلبَ على ظنون الصحابة من الشغب وفوران الفتنة، والظنون تختلفُ باختلاف الأمارات، فربّ إنسان يغلب على ظنّه ما لا يغلبُ على ظنّ غيره، ويغلبُ على ظنّه أمرٌ يغلبُ على ظنّ غيره خلافُه[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٦٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٥٨.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٥٨.

قال: فإن قيل: إذا لم يغلبْ على ظنّه ما غلبَ على ظُنونهم، فقد سلّمتمْ أنّه ظلمَ الصحابة، ونسبَهُم إلى غصب حقّهِ؛ فما الفرقُ بين ذلك، وبين أن يستظلمهم؛ لِمُخالفة النصّ[1].

قال: الفرق بين الأمرين ظاهر، لأنّه ﷺ لو نسبهم إلى مخالفة النصّ؛ لوجبَ وجودُهُ، ولو كان النصّ موجُوداً لكانُوا فُسّاقاً، وإذا نسبَهم إلى ترك الأولى؛ فقد نسبَهم إلى أمر يدّعونَ فيه خلافَ ما يدّعي ﷺ[2].

قلتُ: تحاشا ابنُ أبي الحديد عن التخطئة، ولو قال: «أَخْطأُوا» خَلَصَ من هذه الورطة، وكلامُه في هذا الموضع لا يتّسعُ له هذا الاختصار.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٥٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٥٩.

[خاتمة]

في تفضيل سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام
ونذكر طرفاً من تاريخ ولادتها وزواجها،
أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وذكر وفاتها عليها السلام[1]

(١) أضفنا هذا العنوان من عبارة المؤلّف.

وإذْ قد نجّزْنا ما وَعَدْنا به من الفصول الّتي تقرّرتْ قاعدةُ الكتاب عليها، وانساقت مقاصد الكلام إليها، فإنّا نختمُ كتابنا هذا بطرف من فضائل فاطمةعليها السلام وبذلك يظهر تفضيلُها على عائشة وغيرها من نساء العالمين؛ لأنّ في كلام ابن العَرَبِيّ ما قدّمناه من تفضيله لعائشة على فاطمةعليها السلام. وهذه المسألة قد عرضتْ في مدّة متقادمة وغيرها من هذا القبيل، فأجبتها بكتاب سمّيته كتاب «التَنْوِيهُ في كشفِ التَمْويه»[1] وأودعتُه جملةً شافيةً من فضل فاطمةعليها السلام رضوان الله عليها.

وأذكر الآن طَرَفاً من تاريخ ولادتها وزواجها، ونَبْذاً من أحوالها وأقوالها، وما ورد فيها عن أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، وأختم ذلك بذكر وفاتهاعليها السلام.

أمّا ولادتهاعليها السلام:

فولدت سنة إحدى وأربعين من مولد أبيهاصلى الله عليه وآله وسلم[2] وحملت بها أُمّها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بعد البعثة، وسائر أخواتها حملت بهنّ قبل البعثة.

فلفاطمةعليها السلام هذه المزيّةُ الشريفةُ، فهي من غرس النُبوّة وثمرات الرسالة.

قال ابن عبد البَرّ في (الاستيعاب): الّذي تواترت به الأخبارُ، وتسكُنُ إليه النفسُ في ترتيب بنات رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: أنّ زينبَ الأُولى، ثُمّ الثانية رقيّة، ثُمّ الثالثة أُمّ كلثوم، ثمّ الرابعة فاطمةُ ـ رضي الله عنهنّ ـ[3].

---

(١) وقد طبع هذا الكتاب باسم «نهاية التنويه في إزهاق التمويه» بتحقيق أحمد بن درهم بن عبد الله حوريه، وإبراهيم بن مجد الدين بن محمّد المؤيّديّ، وانظر (ص ١٤٤ وما بعدها).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٣.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٣.

وأمّا زواجها عليها السلام:

فذكر صاحب الاستيعاب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أنكحَ علياً عليه السلام فاطمةَ سلام الله عليها بعد وقعة أُحد، وكان سِنّها يومَ تزوَّجَها عليه السلام خمسَ عشرةَ سنة، وخمسة أشهر[١].

واختلف في مهرها من عليٍّ عليه السلام: فرُوِي أنّهُ أمْهَرَها دِرْعَهُ، وأنّه لم يكن له ذلك الوقتَ صفراءُ ولا بيضاءُ[٢].

وروى صاحب كفاية الطالب: أنّ النَبيّ صلى الله عليه وآله قال: «يا عليّ إنّ الله قد أمرني أنْ أزوّجَكَ فاطمةَ، فقد زوّجتُكُما على أربعمِائة مثقال فضّة، إنْ رضيتَ».

فقال عليٌّ عليه السلام: يا رسول الله، قد رضيتُ[٣].

وذكر جملةَ أبواب:

الأوّل: في أنّ الله أَمَرَهُ بِزواجها من عليّ عليه السلام[٤].

والثاني: في نِثارها[٥].

والثالث: في مُفاخرة الحُور العِيْن بِما أَصَبْنَ من ذلك[٦].

والرابع: في أنّ الملائكةَ زَفَّتْ فاطمةَ إلى عليٍّ عليهما السلام[٧].

والخامس: في طعام العِرْس[٨].

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٤.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٤.

(٣) كفاية الطالب في مناقب عَلِيّ بن أَبِي طالِب: ٢٩٨-٢٩٩.

(٤) كفاية الطالب في مناقب عَلِيّ بن أَبِي طالِب: ٢٩٧ الباب الثامن والسبعون.

(٥) كفاية الطالب في مناقب عَلِيّ بن أَبِي طالِب: ٢٩٩ الباب التاسع والسبعون.

(٦) كفاية الطالب في مناقب عَلِيّ بن أَبِي طالِب: ٣٠٠ الباب الثمانون.

(٧) كفاية الطالب في مناقب عَلِيّ بن أَبِي طالِب: ٣٠٢ الباب الحادي والثمانون.

(٨) كفاية الطالب في مناقب عَلِيّ بن أَبِي طالِب: ٣٠٤ الباب الثاني والثمانون.

بكلام لا يتّسعُ له الموضعُ، فيه لها غايةُ الفضل الظاهر، ونهايةُ التفضيل الباهر على غيرها من جميع نساء العالمين.

ونعودُ إلى الخلاف في مهرها:

فذكرنا ما رواه صاحب الكفاية أنّه تَزَوَّجَها على درعه الحطمية.

وقيل: إنّه عليه السلام تزوَّجَ فاطمةَ رضوان الله عليها على أربعمِائة وثمانين درهماً، فأمَرَ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل ثُلُثها في الطِيْبِ[١].

وفي شرح ابن أبي الحديد: ما كان إنكاحُهُ عليّاً عليه السلام إلاّ بعدَ أنْ أَنْكَحَهُ الله تعالى إيّاها من السماء بشهادة الملائكة[٢] وهذا هو المشهورُ في كتب الزيديّة ورواياتهم، عن خير البريّة[٣].

وإلى هذا أشار السيّد أبو طالب في كتاب «الإفادة في تواريخ الأئمّة السادة» وذكر فيه تاريخ تزويج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لابنته فاطمة من عليّ عليه السلام:

(قال: زَوَّجَهُ صلى الله عليه وآله وسلم)[٤] فاطمةَ في آخر شهر صفر سنة اثنتين من الهجرة وبنى بها بعدَ بدر بأربعة أشهر[٥].

وقد ذكرتُ ذلك في كتاب «بيان التنويه في كشف التمويه»[٦].

---

(١) كفاية الطالب في مناقب عَلِيّ بن أبي طالِب: ٣٠٢، والاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٩٣.

(٣) المراتب: ٨٨، محاسن الأزهار: ٤٠٢-٤٠٤.

(٤) ما بين القوسين من المصدر، وليس في الثانية، وفي الأولى بدل (زوّجه صلى الله عليه وآله وسلم): «زوجه عليّ عليه السلام».

(٥) «الإفادة في تاريخ الأئمّة السادة»: ٣.

(٦) سبق ذكر الكتاب باسم «نهاية التمويه».

وقول ابن عبد البرّ في الاستيعاب: إنّ عليّاً عليه السلام دخل على فاطمة بعد وقعة أُحد[١] بعيدٌ عندي، لما ذكره أبو طالب في (تاريخه).

ولأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام مُنْصَرَفَهُ من أُحد فناولها سيفَهُ، وقال عليه السلام: «اغْسِلي عن هذا دَمَهُ، يا بُنيّةُ! فواللهِ، لقدْ صَدَقَني اليومَ»[٢].

فقال لها عليٌّ مثل ذلك[٣].

وظاهرُهُ يقضي بأنّهُ دَخَلَ على فاطمة عليها السلام كدُخُول أبيها عليها صلوات الله عليه وعليها، وهذا لا يكونُ إلاّ بعد النكاح.

ويحتملُ أن يكون قبل نُزُول آية الحجاب.

والأوّلُ أظهرُ، وقد عرض ذكر ذلك في كتاب «شرح المفاخرة».

وهيهنا سؤالٌ، وهو قولُ النَبيّ صلى الله عليه وآله لفاطمة رضي الله عنها: «اغْسِلي عن هذا دَمَهُ» يعني سيفَه، والظاهر أنّه عليه السلام يوم أُحُد لم يُقاتل بسيف، وإنّما قتلَ أُبَيّ ابن خلف برُمْحِهِ، وفي حديثه: أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله لّما أسند في الشِعْبِ؛ أدركه أُبيّ وهو يقول: أينَ مُحمّد؟ لا نجوتُ أن نَجا.

فقال القومُ: يا رسولَ الله! أيعطفُ عليه رجلٌ مِنّا؟

قال صلى الله عليه وآله: «دَعُوهُ».

فلمّا دَنا، تَناوَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله الحَرْبَةَ من الحارث بن الصمّة، قال بعضُ القوم لّما أَخَذَها صلى الله عليه وآله انتفضَ بِها انتفاضَةً تَطايَرْنا عنهُ تطايُرَ الشَعْر عن ظهر البعير

(١) الاستيعاب في معرفة الاصحاب: ج٤/ ١٨٩٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ج٣/ ١٠٦.

(٣) روى نحوه الحاكم النيسابوري في (مناقب فاطمة الزهراء عليها السلام): ٩٨ الحديث ١٢٩. وأنظر المستدرك على الصحيحين: ج٣/ ٢٤.

إذا انتفضَ، ثُمّ استقبَلَهُ فطَعَنَهُ في عُنُقِهِ، وقد كان يقول بمكّة: يا محمّدُ، إنّ عندي «العود» فَرَساً أعلِفُهُ كُلّ يوم فرقاً من ذرة، أقتُلُكَ عليه!.

فيقولُ رسولُ الله ﷺ: بَلْ أنا أقتُلُكَ عليه، إنْ شاء الله تعالى.

فلمّا رجع أُبَيّ بن خلف إلى قُريش، وقد خَدَشَهُ في عُنُقِهِ خَدْشاً غير كثير، وقد احتقنَ دمُهُ، قال: «قَتَلَني والله محمّدٌ».

قالوا: له ذَهَبَ ـ والله ـ فُؤادُكَ، والله إنْ[1] بِكَ بأسٌ.

قال: إنّه قد كان قالَ لي بِمكّةَ: «أنا أَقْتُلُكَ» فواللهِ لو بَصَقَ عليَّ لَقَتَلَنِي، فماتَ عدوُّ الله بِسرِف[2] وهم قافِلُون بهِ إلى مَكّة.

هذا لفظ ابنُ هشام في (سيرة رسول الله ﷺ)[3] فالأمر كما ترى ما كان قتل رسول الله ﷺ لأبي بن خلف إلاّ بِرُمحه، وفي كلامه عليه السلام ما يفيد أنّه ضرب بِسيفه حتّى أرواهُ دَماً، وأمر فاطمة بِغَسلهِ، ولابُدّ من صحّة ذلك، ما كان حديثاً يُفترى، ولم يذكر ابن هشام في (سيرته) شيئاً من هذا، و واجبٌ صحّة الكلام وثبوته وصدقه وإن أغفله ابن هشام[4].

وأمّا أحوالها سلام الله عليها:

فهنّ أحوالُ النُبوّة الّتي نَطَقَ بِفَضلها القُرآن، وأَعْرَبَ عنها الفُرقان، وإذا شئتَ فاقرأ سورة ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ...**﴾ إلى آخرها، وما خصّها اللهُ بهِ، وبعلها وابنَيْها عليهم السلام من الثناء الحَسَن والوَصْف الجميل والبِشارة

---

(١) في الاولى: إن ما.

(٢) (سَرِف) هو موضع على أميال من مكّة (معجم البلدان: سرف).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ج٣/ ١٣٥ قريب منه.

(٤) راجع السيرة النبوية لابن هشام: ج٣/ ١٠٦.

بالجنّة ولباسها ونعيمها وشرابها، وما أعدَّ اللهُ لهم فيها من خيرها وفضلها وثوابها ذلك هو الفوز العظيم.

وكانتْ عليها السلام تُكنّى بِأُمّ أَبيها[١] وكانت أحبَّ الناس إليه[٢].

وروى صاحب الكفاية: أنّ عليّاً عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وآله - وقد قَعَدَ بينَهُ وبينَ فاطمة -: يا رسول الله! أنا أَحَبُّ إليكَ، أو هِيَ ؟ قال: «هِيَ أَحبُّ إليَّ مِنك، وأَنْتَ أَعَزَّ عليَّ مِنها»[٣].

وكان صلى الله عليه وآله إذا قَدِمَ مِن غَزْوٍ أو سَفَرٍ بَدَأَ بِالمَسجد، فَصلّى فيه ركعتين، ثمّ يأتي بيتَ فاطمة.

وكان يقول عليه السلام: «إذا اشْتَقْتُ إلى الجنّة شَمَمْتُ شَفَتَيْ فاطمةَ»[٤] لأنّ جبريل عليه السلام أهدى لرسول الله صلى الله عليه وآله تُفّاحاً من الجنّة ليلةَ حملتْ خديجةُ بفاطمة عليها السلام فكانتْ فاطمةُ مخلوقةً من ذلك التفاح.

وأمّا ما وَرَدَ فيها عن أَبيها صلى الله عليه وآله فنحنُ نروي ما ذكره صاحب الاستيعاب؛ لأنّه غير متَّهم عندَ الخُصوم لِثقته وعدالته وصحيح حفظه وروايته.

قال رحمه الله تعالى: روى عبد الرحمن بن أبي نعيم، عن أبي سعيد الخدريّ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فاطمةُ سيّدةُ نِساء أهل الجنّة، إلاّ ما كان من مَرْيَم ابنت عِمْران»[٥].

---

(١) انظر وجه تكنيتها بهذه الكنية: كتاب (تاريخ أهل البيت عليهم السلام) لنصر الجهضميّ، وانظر أيضاً مجلة علوم الحديث العدد (٢٠).

(٢) الاستيعاب: ج٤/ ١٨٩٩.

(٣) كفاية الطالب في مناقب عَلِيّ بن أَبي طالِب: ٣٠٨.

(٤) كنز العمّال: ج١٢/ ١٠٩/ ح٣٤٢٢٨.

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٤.

وعن الصادق عليه السلام : «لفاطمة ثمانية أسماء: الصدّيقةُ، والزهراءُ، والطاهِرةُ، والزكيّةُ، والرضيّةُ، والمَرْضِيّةُ، والبَتُولُ، وفاطِمَةُ»[1].

وعن عليّ عليه السلام : «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا خَرَجَ كانَ آخِرُ عَهْدِهِ بفاطمةَ، وإذا رَجَعَ كانَ أوّلُ عَهْدِهِ بفاطمةُ»[2].

وروى أبو طالب، عن ابن عبّاس، قال: «يُنادي مناد يومَ القيامة: يا أهلَ الجمعِ غُضُّوا أبصارَكُم عن فاطمةَ بنتِ مُحمّد»[3] قال: «فتخرُجُ من قبرها ومعَها ثِيابٌ تشخبُ بِالدم، حتّى تنتهي إلى العَرْشِ؛ فتقول: «يا ربّ انْتَصِفْ لِوُلْدِي مِمّن قَتَلَهم» قال ابن عبّاس: فوالله لينتصفُ لَهم مِمّن قَتَلَهُم»[4].

وروى عن عمران بن حصين: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عادَ فاطمةَ وهيَ مَرِيضةٌ، فقال لها: «كيفَ تَجدينَكِ يا بُنيّةُ؟».

قالت: «إنّي وَجِعَةٌ، وإنّه ليزيدُني أنّهُ ما لي طعامٌ آكُلُهُ».

قال صلى الله عليه وآله : «يا بُنَيّةُ! إنّك سيّدةُ نِساء العالمين».

فقالت: «يا أبَة! فأيْنَ مَرْيَمُ بنتُ عمران؟».

قال: «تلكَ سيّدةُ نِساء عالَمِها، وأنتِ سيّدةُ نِساء عالَمِكِ، أما ـ والله ـ لقد زوّجتُكِ سيّداً في الدُنيا والآخرة»[5].

وروى عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «سيّدةُ أهل الجنّة مريمُ، ثُمّ فاطمةُ بنت مُحمّد، ثُمّ خديجة، ثُمّ آسيَةُ امرأةُ فرعون»[6].

---

(١) كذا في تنبيه الغافلين: ٦٦ ونهاية التنويه للمؤلّف: ٧٠، ولم يرد اسم (الرضيّة) في النسختين.

(٢) مناقب آل عَلِيّ بن أَبي طالِب: ج٣/ ٣٧٥.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٩٣.

(٤) مناقب آل عَلِيّ بن أَبي طالِب: ج٣/ ٣٧٥.

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٥.

(٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٥.

وعن ابن عبّاس: أنّ رسول الله ﷺ خَطّ في الأرض أربعة خُطُوط، ثُمّ قال: «أَتَدْرُون ما هذا؟»

قالوا: اللهُ ورسولُهُ أعلَمُ؟

فقال رسول الله ﷺ: «أفضلُ نِساء الجنّة خديجةُ بنتُ خُويلِد، وفاطمةُ بنت محمّد، ومريمُ بنت عمران، وآسِيَةُ بنت مزاحم امرأة فرعون»[1].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ نِساء العالمين أربعٌ: مريمُ بنتُ عمران، وآسِيَةُ بنتُ مُزاحم، وخديجةُ بنتُ خُوَيْلِد، وفاطمةُ بنتُ مُحمّد ﷺ»[2].

وعن أَنَس قال: قال رسول الله ﷺ: «حَسْبُك من نِساء العالمين أربع: مريمُ بنتُ عِمران وخديجةُ بنتُ خُويلد، وفاطمةُ بنت محمّد، وآسِيَةُ امرأةُ فرعون»[3].

وروى عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أُمّ المؤمنين: أنّها قالت: ما رأيتُ أَحَداً كانَ أشْبَهَ كَلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمةَ، وكانتْ إذا دَخَلَتْ إليه قامَ إليها فقَبَّلَها ورَحَّبَ بها، كما تَصْنَعُ هِيَ بِهِ ﷺ[4].

وعن عائشة، قالت: ما رَأَيْتُ أَحَداً كانَ أَصْدَقَ لَهْجَةً من فاطِمَةَ، إلاّ أنْ يكونَ الّذي وَلَدَها ﷺ[5].

وروى بإسناده عن جُميع بن عمير، قال: دخلتُ على عائشة، فسأَلتُ: أيُّ الناس كانَ أَحَبَّ إلى رسول الله ﷺ؟

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٥.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٦.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٦.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٦.

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٦.

قالت: فاطمةُ، قلتُ: فمِنَ الرجالِ؟

قالتْ: زَوْجُها، إنْ كانَ ما علمتُهُ صَواماً قوّاماً[١].

وروى ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى في تسميتها عليها السلام «سيّدةَ نِساء العالمين» لأنّه قد تواتر الخبر عنه ﷺ... إمّا هذا اللفظ بعينهِ، أو لفظِ يُؤدّي معناهُ.

روي: أنّه قال لها ـ وقد رآها تبكي عند موته ـ: «ألا ترضَيْنَ أن تَكُوني سيّدةَ نِساء هذهِ الأُمّةِ؟»[٢].

وروي: أنّه قال: «سادات نساء العالمين أربعٌ: خديجةُ بنتُ خُويلد، وفاطمةُ بنتُ مُحمّد، وآسِيَةُ بنتُ مُزاحم، ومَرْيَم بنتُ عِمران»[٣].

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٧.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ٢٦٥-٢٦٦ باختلاف.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٢١ و١٨٩٥ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠/ ٢٦٦.

فائدة يليق ذكرها في هذا الموضع

قال **ابن أبي الحديد** في شرح كلام عليّ عليه السلام حيث قال: **«وأمّا فلانة؛ فأدركها رأي النساء، وضِغْنٌ غلا في صدرها كمِرْجَلِ القَيْنِ، ولو دعيتْ لِتنالَ من غيري مثل ما نالتْ منّي لم تفعلْ، ولها - بعدُ - حُرمتها الأولى، والحساب على الله»**[1].

قال ابن أبي الحديد: كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد رأى في المنام عائشة في سَرَقَة من حرير، مُتَوَفّى خديجة، فقال: **«إنْ يكنْ هذا من عند الله؛ يُمضِهْ»**.

روي هذا في الأسانيد الصحيحة. وكان نكاحة إيّاها في شوّال.

وتقول: هل كان في نسائه أحظى منّي؟ وقد نكحني وبنى عليّ في شوّال[2]. ردّاً بذلك على من زعم أنّ دخول الرجل بالمرأة - بين العيدين - مكروهٌ.

وتوفّي رسول الله صلى الله عليه وآله وهي بنت عشرين سنةً، وكانت فقيهةً، راويةً للشعر، ذات حظّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وميل ظاهر إليها.

وقد ذكرنا في كتاب «شرح المُفاخرة» طرفاً واسعاً من فضلها وأخبارها وحالها.

وهذه زيادة من شرح ابن أبي الحديد، قال رحمه الله تعالى، يصف بِدَلالها على رسول الله صلى الله عليه وآله: وكانت لها جرأةٌ وإدلالٌ لم يزل يَنْمُو ويستشري؛ حتّى

---

(١) نهج البلاغة، الكلام رقم ١٥٦.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/١٨٨٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/١٩٠.

كان منها ـ في أمره في قصّة مارية ـ ما كان من الحديث الّذي أسرّهُ إلى الزوجة الأُخرى، وأدّى إلى تظاهرهما عليه، وأنزل فيهما قرآناً ية تلى في المحاريب يتضمّن وعيدا غليظاً عقيب تصريح بوقوع الذنب و صَغْو القلب[١] وأعقبتها تلك الجرأة، وذلك الانبساط أنْ حدثَ منها في أيّام الخلافة العلويّة ما حدث.

وقد عفا اللهُ عنها! وهي من أهل الجنّة!! عندنا بسابق الوعد!؟ وما صحّ من التوبة!؟؟[٢].

وروى ابن عبد البَرّ في كتاب الاستيعاب يرفعه بإسناده متّصلاً إلى عكرمة، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ لِنسائه: «أيّتُكنّ صاحبةَ الجَمَلِ الأدْبَب؛ يُقتلُ حولَها قتلى كثيرٌ، وتنجُو بعدَما كادَتْ»[٣].

قال صاحب الاستيعاب أبو عُمر ابن عبد البَرّ: هذا الحديث من أعلام نُبوّتِهِ ﷺ[٤].

وأمّا قوله ﷺ: «أدركها ضعفُ النساء» أي ضعفُ آرائهنّ.

وجاء في الحديث: «إنّهنّ قليلاتُ عقل ودين» أو قال: «ضعيفات».

والمرأة في أصل الخلقة سريعةُ الانخداع، سريعةُ الغضب، سيّئةُ الظنّ، فاسدةُ التدبير، والشجاعة فيهنّ مفقودةٌ أو قليلةٌ، وكذلك السخاءُ[٥].

هذا كلام ابن أبي الحديد، قال:

---

(١) راجع تفسير قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾. وانظر صحيح البخاري.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٩٠-١٩١.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٨٥.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٨٥.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٩٢.

وأمّا الضغْنُ: فاعلم أنّ هذا الكلام يحتاجُ إلى شرح، قال: وقد كنتُ قرأتهُ على الشيخ أبي يعقوب، يوسف بن إسماعيل اللمَعَانيّ رحمه الله تعالى، أيّامَ اشتغالي عليه بعلم الكلام، وسألتُهُ عمّا عنده فيه؟.

فأجابني بجواب طويل، أنا أذكر محصوله، بعضه بلفظه رحمه الله وبعضه بلفظي، فقد شذّ عنّي لفظه كلّه بعينه، قال:

أوّل بَدْءِ الضغْنِ كان بين عائشة وبين فاطمة عليها السلام وذلك لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تزوّجها عَقيبَ موت خديجة رضي الله عنها، فأقامها مقامها، وفاطمةُ هي ابنةُ خديجة.

ومن المعلوم أنّ ابنة الرجل إذا ماتت أُمّها، وتزوّج أبوها امرأةً أُخرى، كان بين الابنة وبين الإمرأة كدرٌ وشنآن، وهذا لابدّ منه، لأنّ الزوجة تنفسُ عليها ميل الأب، والبنتُ تكرهُ ميل أبيها إلى امرأة غريبة، كالضرّة لأُمّها، بل هي ضرّة على الحقيقة، وإن كانت الأمّ ميتةً، ولأنّا لو قدّرنا الأُمّ حيّةً، لكانت العداوة مُضطرمةً متسعرةً، فإذا كانتْ قد ماتتْ ورثتْ ابنتُها تلك العداوةَ، وفي المثل: «عداوةُ الحماة والكَنّة» قال الراجز:

إنّ الحمـاةَ أولعَـتْ بِالكنّـهْ   وأولعـتْ كنّتُهـا بِالظنّـهْ[1]

ثمّ اتّفق أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مال إليها وأحبّها، فازداد ما عند فاطمة بحسب زيادة ميله إليها.

وأكرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة إكراماً عظيماً أكثر ممّا كان الناس يظنّونه، وأكثر من إكرام الرجال بناتهم، حتّى خرج بها عن حدّ حُبّ الآباء للأولاد،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٩٢-١٩٣.

فقال بمحضر من الخاصّ والعامّ مِراراً، لا مرّةً واحدةً، وفي مقامات مختلفة، لا في مقام واحد:

«إنّها سيّدةُ نِساء العالَمين» و«إنّها عديلة مريم بنت عِمران» و«إنّها إذا مرّتْ في الموقف نادى مناد من جهة العرش: يا أهلَ الموقف: غُضُّوا أبصارَكم لتعبرَ فاطمةُ بنتُ مُحمّد».

وهذا من الأحاديث الصحيحة، وليس من الأخبار المستضعفة.

وإنّ إنكاحها عليّاً عليه السلام ما كان إلاّ بعد أن أنكحه الله إيّاها في السماء، بشهادة الملائكة، وقال غير مرّة: «يؤذيني ما يؤذيها ويغضبني ما يغضبها»[1] و«إنّها بضعةٌ منّي يُريبُني ما رابَها»[2].

وكان هذا وأمثاله يوجبُ زيادةَ الضِغنِ عند الزوجة حَسَبَ زِيادة هذا التعظيم والتبجيل، والنفوسُ البشريّة تغيظُ على ما هو دون هذا، فكيف هذا؟.

ثمّ حصل عندَ بعلِها ما هو حاصل عندَها ـ أعني عليّاً عليه السلام ـ فإنّ النساء كثيراً ما يجعلنَ الأحقادَ في قُلوب الرجال، لاسيما وهنّ محدّثات الليل، كما قيل في المثل.

وكانت فاطمة تكثر الشكوى إلى بعلها من عائشة، وتغشاها نساءُ المدينة وجيرانُ بيتها؛ فتنقلنَ إليها كلمات عن عائشة، ثمّ تذهبنَ إلى بيت عائشة؛ فتنقلن إليها كلمات عن فاطمة، وكما كانت فاطمة تشكو إلى بعلها، كانت عائشة تشكو إلى أبيها، لعلمها أنّ بعلها لا يُشكيها[3] على ابنته، فحصل في قلب أبي بكر شيءٌ من ذلك أثّرَ في قلبه.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٩٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٩٣.

(٣) يقال: أشكى فلاناً؛ إذا قبل شكواه.

ثمّ تزايد تقريظ رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام وتقريبه واختصاصه، فأحدثَ ذلك حَسَداً لهُ وغيظاً في نفس أبي بكر عنه، وهو أبوها، وفي نفس طلحة، وهو ابن عمّها، وهي تجلسُ إليهما ويجلسان إليها ويحادِثانها، فأعدى إليها منهما كما أعدتهما.

قال: ولستُ أُبرِّئ عليّاً عليه السلام من مثل ذلك، فإنّهُ كان ينفُسُ على أبي بكر سكونَ النَبيّ ﷺ وثناؤه عليه، ويُحبّ أن ينفردَ هو بهذه المزايا والخصائص دُونَهُ ودُونَ الناس أجمعين.

ومن انحرفَ عن إنسان انحرفَ عن أهلهِ وأولاده، فتأكّدتْ البغضةُ بين هذين الفريقين.

ثمّ كان من أمر القذفِ ما كان، ولم يكن عليٌّ عليه السلام من القاذفين، ولكنّه كان من المُشيرين على رسول الله ﷺ بِطلاقها، تنزيهاً لِعِرْضِهِ عن أقوال الشُناة والمُنافقين.

قال له ـ لمّا استشارهُ ـ: «وإنْ هيَ إلاّ شِسْعُ نعلِكَ» وقال له: «النساءُ كثيرٌ» وقال له: «سَلِ الخادمَ وخَوِّفْها، وإنْ أقامتْ على الجحودُ فاضْرِبْها».

وبلغ عائشة هذا الكلام كلّه، وسمعتْ أضعافه ممّا جرتْ عادة الناس أنْ يتداولوه في مثل هذه الواقعة، ونقل النساءُ إليها كلاماً كثيراً عن عليٌّ عليه السلام وعن فاطمة عليها السلام وأنّهما قد أظهرا الشماتة جِهاراً وسِرّاً بوقوع هذه الحادثة لها، فتفاقم الأمرُ وغلظَ.

ثمّ إنّ رسول الله ﷺ صالَحها ورجعَ إليها، ونزلَ القرآنُ بِبراءتها، فكان منها ما يكون من الإنسان ينتصرُ بعد أن قُهِرَ، ويستظهرُ بعدَ أنْ غُلِبَ، ويُبرّأُ بعدَ أن اتُّهِمَ من بسط اللسان، وفلتات القول، وبلغ ذلك كلّهُ عليّاً عليه السلام وفاطمة عليها السلام

فاشتدّت الحالُ وغلظتْ، وطوى كلّ من الفريقين قلبه على الشَنَآن لصاحبه، ثمّ كان بينَها وبين عليّ ﷺ في حياة رسول الله ﷺ أحوالٌ وأقوالٌ، كلّها تقتضي تهييجَ ما في النفوس، نحو قولها له ـ وقد استدناهُ رسول الله ﷺ فجاءَ حتّى قعدَ بينهما ـ: «أما وجدتَ مقعَداً لكَ إلاّ فَخِذِي»!.

ونحو ما روي أنّهُ سارّهُ يوماً، فأطال مُناجاتهِ، فجاءتْ ـ وهي سائرة خلفهما ـ حتّى دخلتْ بينهما، وقالت: «فيم أنتما فقد أطلتما»! فيقال: إنّ رسول الله ﷺ غضبَ ذلك اليومَ.

وما روى من حديث الجَفْنَةِ والثريد الّتي أمرت الخادم، فوقفتْ لها فأكْفَأتْها، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «غارت أمّكم».

ونحو ذلك ممّا يكون بين المرأة وأحمائها.

ثمّ اتّفق أنّ فاطمة ﷺ ولدتْ أولاداً كثيرةً: بنين وبنات، وهي لم تلدْ ولداً.

وأنّ رسول الله ﷺ كان يُقيمُ بني فاطمة مقامَ بنيه، ويُسمّى الواحد منهما «ابني» ويقول: «دَعوا لي ابني ولا تَزْرِمُوا على ابني» و«ما فعل ابني؟»[1].

فما ظنّك بالزوجة إذا حُرِمَت الولدَ من البعل، ثمّ رأتْ البعلَ يتبنّى بنى ابنته من غيرها، ويحنو عليهم حُنُوّ الوالد المُشفق! هل تكونُ محبّةً لأولئك البنين ولأُمّهم ولأبيهم؟ أم مبغضةً!.

وهل تودّ دوامَ ذلك واستمراره؟ أم زواله وانقضاؤه!؟

ثمّ اتّفق أنّ رسول الله ﷺ سدّ باب أبيها إلى المسجد، وفتح باب صهره عليّ ﷺ.

---

(١) قال في النهاية لابن الأثير: ج٢/ ١٢٤ لا تزرموا على ابني، أي لا تقطعوا عليه بوله، يقال: زرم الدمع والبول، إذا انقطع. انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٩٥.

ثمّ بعث أباها ببراءة إلى مكّة، ثمّ عزله عنها بصهره.

فقدح ذلك ـ أيضاً ـ في نفسها.

وولد لرسول الله صلى الله عليه وآله إبراهيم من مارية، فأظهر عليّ عليه السلام بذلك سُروراً كثيراً، وكان يتعصّبُ لِمارية، ويقوم بأمرها عند رسول الله صلى الله عليه وآله ميلا على غيرها، وجرت لمارية نكبةٌ مناسبةٌ لنكبةِ عائشة فبرّأها عليّ عليه السلام منها، وكشف بُطلانها، أو كشفه اللهُ على يده، وكان ذلك كشفاً محسوساً بالبصر، لا يتهيّأ للمُنافقين أن يقولوا فيه ما قالوه في القُرآن المنزّل في براءة عائشة.

وكلّ ذلك ممّا كان يوغِرُ صدرَ عائشة عليه، ويُؤكّد ما في نفسها منه.

ثمّ مات إبراهيم، فأبطنتْ شماتةً، وإن أظهرتْ كآبةً، ووجم عليّ عليه السلام من ذلك وكذلك فاطمة عليها السلام وكانا يُؤثران أن تتميّزَ ماريةُ عليها بالولد، فلم يقدّر لهما، ولا لمارية ذلك.

وبقيت الأمورُ على ما هي عليه، وفي النفوس ما فيها، حتّى مرض رسول الله صلى الله عليه وآله المرضَ الّذي تُوُفّيَ فيه، فكانت فاطمةُ وعليّ عليهما السلام يُريدان أن يُمرّضاهُ في بيتهما، وكذلك كان أزواجه كلّهنّ، فمال إلى بيت عائشة بمقتضى المحبّة القلبيّة الّتي كانت لها دون نسائه، وكَرِهَ أن يُزاحم فاطمةَ وبعلَها في بيتهما، فلا يكون عنده من الانبساط لوجودهما ما يكون إذا خلا بنفسه في بيت مَنْ يميلُ إليه بطبعه، وعلمَ أنّ المريض يحتاج إلى فضل مُداراة ونوم ويقظة وانكشافِ وخروجِ حدث، فكان إلى بيته أسكن منه إلى بيت صهره وبنته، فإنّه إذا تصوّر حياءَهما منهُ استحيى هو ـ أيضاً ـ منهما، ولم يكنْ له إلى غيرها من الزوجات مثل ذلك الميل إليها، فتمرّض في بيتها، فغُبطَتْ على ذلك، ولم يمرّض

رسول الله ﷺ منذُ قدم المدينة مثل هذا المرض، وإنّما كان مرضُهُ الشقيقةَ[١] يوماً أو بعض يوم ثمّ يَبْرأ، فتطاوَل هذا المرض[٢].

وكان عليّ ﷺ لا يشكّ أنّ الأمرَ لهُ، وأنّه لا ينازعُهُ فيه أحدٌ من الناس، ولهذا قال لمّا قال له عمّه وقد مات رسول الله ﷺ: أُمدُدْ يدَكَ أُبايعْكَ، فيقولُ الناسُ: عمُّ رسول الله ﷺ بايَعَ ابنَ عمِّ رسول الله ﷺ، فلا يختلفُ عليك اثنان.

قال: «يا عمُّ، وهلْ يطمعُ فِيها طامِعٌ غيري»!

قال: ستعلم.

قال: «فإنّي لا أُحِبُّ هذا الأمر من وراء رِتاجٍ، وأُحِبُّ أنْ أُصْحِرَ[٣] بِهِ».

فسكتَ عنه.

فلمّا ثقل[٤] رسول الله ﷺ في مرضه؛ أَنْفَذَ جيشَ أُسامة، وجعل فيه أبا بكر وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار، فكان عليّ ﷺ بوصوله إلى الأمر ـ إنْ حدثَ بِرسول الله ﷺ حَدَثٌ ـ أَوْثَقَ، وتغلّب على ظنّه أنّ المدينةَ ـ لو خَلَتْ من منازعٍ يُنازعه الأمرَ بِالكلّية ـ فيأخذهُ صَفْواً عَفْواً، وتتمّ له البيعةُ، فلا يتهيّأ فسخُها.

فكانَ من عَوْدِ أبي بكر من جيش أُسامة ـ بِإرسالها إليه، وإعلامه بِأنّ رسول الله ﷺ يموتُ ـ ما كان.

---

(١) الشقيقة: مرض يأخذ في نصف الرأس والوجه.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٩٦.

(٣) يقال: أصحر فلان بما في قلبه، أي أظهره.

(٤) يقال: أصبح ثاقلاً، أي مريضاً.

ومن حديثِ الصلاةِ بِالناس ما عُرِفَ، فنسب عليّ عليه السلام إلى عائشة أنّها الّتي أمرت بلالا مولى أبيها أن يأمره، فليصلّ بالناس، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله - كما روي - قال: «لِيُصلّ بهمْ أحدُهُم» ولم يُعيّن، وكانت صلاةَ الصبح، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في آخر رَمَق يَتهادَى بينَ عليّ عليه السلام والفضل بن العبّاس، حتّى قامَ في المحراب، كما ورد في الخبر[1].

ثمّ دخل، فقبضَ عليه السلام ارتفاع الضُحى.

فجعل قومٌ صلاته حُجّة في صرف الأمر إليه، وقالوا: أيّكم يطيبُ نفساً أن يتقدّم قدمين قدّمهما رسول الله صلى الله عليه وآله في الصلاة ولم يحملوا خروج رسول الله صلى الله عليه وآله لصرفه عنها، بل لمحافظته على الصلاة مهما أمكن، فبُويع على هذه النكتة التي تّهمها عليّ عليه السلام أنّها إنّما ابتدأت منها.

وكان عليّ عليه السلام يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً ويقول: إنّه قال صلى الله عليه وآله: «إنّكنّ لَصُويحبات يوسف» إنكاراً لهذه الحال، وغضباً منها، لأنّها وحفصة تبادرتا إلى تعيين أبويهما، وأنّه استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب، فلم يُجْدِ ذلك مع قُوّة الداعي الّذي كان يدعو إلى أبي بكر، ويُمهّدُ لهُ قاعدةَ الأمر، وتقرّرُ حاله في نفوس الناس، ومن اتّبعه على ذلك من أعيان المهاجرين والأنصار.

ولّما ساعد على ذلك من الحظّ الفلكيّ والأمر السماويّ الّذي جمع عليه القُلُوب والأهواء.

فكانتْ هذه الحال عند عليّ عليه السلام أعظمَ من كلّ عظيم، وهي الطامّة الكبرى، والمصيبة العظمى، ولا ينسبها إلاّ إلى عائشة وحدَها، فدعا عليها في خلواته وبين خواصّه، وتظلّمَ إلى الله منها.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٩٦-١٩٧.

وجرى له في تخلّفه عن البيعة ما هو مشهورٌ، حتّى بايعَ.

وكان يبلغهُ وفاطمةَ عنها كلّ ما يكرهانه منذُ مات رسول اللهﷺ إلى أن ماتتْ فاطمة، وهما صابران على مضض ورَمَض[1].

واستظهرتْ عائشةُ بولاية أبيها واستطالتْ، وعظم شأنها وانخذل عليٌّ وفاطمةُ وقُهِرا.

وأُخذتْ فَدَك، وخرجتْ فاطمةُ تُجادلُ عن ذلك مِراراً؛ فلم تظفرْ بشيء، وفي كلّ ذلك تبلّغُها النساءُ والداخلاتُ على عائشة كلّ كلام يسوءُها، ويبلّغنَ عائشةَ عنها وعن بعلها مثل ذلك.

إلاّ أنّه شتّان ما بين الحالين، وبعدَ ما بين الفريقين، هذه غالبةٌ وهذه مغلوبةٌ، وهذه آمرةٌ وهذه مأمورةٌ.

وظهر التشفّي والشماتة، ولا شيء أعظم مرارةً ومشقّةً من شماتة العَدُوّ[2].

وقال ابن أبي الحديدﷺ: قلتُ لهُ رحمه الله تعالى: أتقول إنّ عائشةَ عيّنتْ أباها للصلاة، ورسول الله لم يُعيّنهُ!.

فقال: أمّا أنا فلا أقولُ ذلك، ولكنّ عليّاً كان يقولُه، وتكليفي غير تكليفه، كانَ حاضراً ولم أكُنْ حاضراً، وأنا محجوجٌ بالأخبار التي تّصلتْ بي، وهي تتضمّنُ تعيين النبيّﷺ لأبي بكر في الصلاة، وهو محجوجٌ بما كان قد عَلِمَهُ أو غَلَبَ على ظنّه من الحال الّتي كان حضرها.

---

(١) الرمض: الغيظ الشديد.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٩٧-١٩٨.

قال: ثمّ ماتتْ فاطمةُ عليها السلام فجاء نساءُ رسول الله صلى الله عليه وآله كلّهنّ إلى بني هاشم في العزاء إلاّ عائشة، فإنّها لم تأتِ، وأظهرتْ مَرَضاً، ونُقِلَ إلى عليّ عليه السلام عنها كلامٌ يدلّ على السرور[1].

ثمّ بايعَ عليّ عليه السلام أباها فسُرّتْ بذلك، وأظهرتْ من الاستبشار بتمام البيعة واستقرار الخلافة وبُطلان منازعه الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثروا، واستمرّتْ الأمورُ على هذا مدّةَ خلافة أبي بكر وخلافة عمر وعثمان، والقُلُوبُ تَغْلي، والأحقادُ تُذيبُ الحجارة، وكُلّما طال الزمانُ على عليّ عليه السلام تضاعفتْ هُمُومُهُ وغمومُهُ، وباحَ بما في نفسه، إلى أن قتلَ عُثمان، وقد كانت عائشةُ أشدَّ الناس عليه تأليباً وتحريضاً، فقالتْ: «أبعده الله!» لّما سمعتْ بقتله، وأمّلَتْ أن تكون الخلافة في طلحة، فتعودُ الإمرةُ تيميّةً، كما كانت أوّلا، فعدلَ الناسُ إلى عَلِيّ بن أَبِي طالِب عليه السلام، فلمّا سمعتْ صرختْ: «واعثماناهُ! قُتِلَ عُثمانُ مظلوماً» وثار ما في الأنفس، حتّى تولّدَ من ذلك يوم الجَمَلِ وما بعده.

قال ابن أبي الحديد: هذه خلاصة كلام الشيخ أبي يعقوب رحمه الله ولم يكن يتشيّع، وكان شديداً في الاعتزال، إلاّ أنّهُ كان في التفضيل بغداديّاً[2].

فأمّا قول عليّ عليه السلام: «ولو دُعِيَتْ لِتَنالَ من غيري مثلَ ما أَتَتْ إليَّ؛ لم تفعلْ».

فإنّما يعني به عمر، يقول: لو أنّ عمر ولي الخلافةَ ـ بعدَ قتلِ عُثمان على الوجهِ الّذي قُتِلَ عليه، والوجه الّذي أنا وليتُ الخلافة عليه، ونسب إلى عمرـ[3] أنّه كان يؤثر قتله، أو يحرّض عليه.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٩٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/ ١٩٩.

(٣) الزيادة من المصدر.

ودُعِيَتْ عائشة إلى أن تخرج عليه في عصابة من المسلمين إلى بعض بلاد الإسلام؛ لم تفعل»[١].

قال ابن أبي الحديد: وهذا حقٌّ؛ لأنّها لم تكن تجد على عمر ما تجدهُ على عليّ عليه السلام ولا الحال الحال[٢].

فأمّا قوله عليه السلام: «ولها - بعد - حُرْمَتُها الأُولى، وحسابها على الله»[٣].

فإنّه يعني بذلك حرمتها بنكاح رسول الله صلى الله عليه وآله لها، وحبّه إيّاها، وحسابها على الله، إنّه غفورٌ رحيمٌ، لا يتعاظمُ عفوَهُ زلّةٌ، ولا يضيقُ عن رحمته ذنبٌ»[٤].

قال ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى:

فإن قلتَ: هذا الكلام يدلّ على توقّفه عليه السلام في أمرها وأنتم تقولون: إنّها من أهل الجنّة، فكيف تجمعون بين مذهبكم وبين هذا الكلام؟

قلتُ: يجوزُ أن يكون قال هذا الكلام قبل أن يتواتر عنده الخبر بتوبتها، فإنّ أصحابنا يقولون: إنّها تابَتْ بعدَ قتل أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام وندمتْ، وقالت: لوددتُ أنّ لي من رسول الله صلى الله عليه وآله عشرة بنين كلّهم ماتوا، ولم يكن يومُ الجَمَلِ.

وأنّها كانتْ بعد قتله عليه السلام تُثني عليه وتنشرُ مناقبه.

وكانت عقيب الجَمَلِ تَبكي حتّى تبلّ خمارها، واستغفرت الله تعالى وندمتْ!.

ولكن لم يبلغْ أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام حديثُ توبتها بعد يوم الجَمَلِ بَلاغاً يقطع العذر، ويثبت الحُجّة.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٩٩ بتغيير.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٩٩.

(٣) نهج البلاغة الكلام رقم ١٥٦.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٩٩.

والّذي شاع عنها من الندم والتوبة شياعاً مُستفيضاً، إنّما كان بعد قتله عليه السلام إلى أن ماتتْ.

قال ابن أبي الحديد رحمه الله: ويؤكّد قبول التوبة منها، ما روي في الأخبار المشهورة أنّها زوجةُ رسول الله صلى الله عليه وآله في الآخرة كما كانت زوجتَهُ في الدنيا!!.

ومثل هذا الخبر إذا شاع يُوجبُ علينا أن يتكلّف إثبات توبتها لو لم ينقل، كيف والنقلُ لها يكاد أن يبلغ حدّ التواتر؟!.

نجز كلام العلاّمة ابن أبي الحديد[1].

وأقول: الأمرُ في توبة عائشة أمرٌ معلومٌ، وقد ذكر توبتَها أئمّتُنا الكرام، وساداتنا الأعلام، ولم يروَ عن أحد منهم غير ذلك.

وممّا يرويه علماؤنا أنّ عليّاً عليه السلام كان يقول في يوم الجَمَلِ: «إنّي لأعلمُ إنّها زوجةُ رسول الله صلى الله عليه وآله في الجنّة، ولكن ابْتُلِيَ الناسُ بها» أو كما قال.

وقد روى ابن أبي الحديد ما روى عن شيخه الشيخ أبي يعقوب رحمه الله تعالى من الأُمور الّتي ذكرها، وإلى عائشة نسبها، وذكر ما كان عليّ عليه السلام يعامل به عائشة في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وما كانت فاطمة عليها السلام تعاملها به، فتلك أُمور غابت عنّا وبعدت منّا، والله أعلم بصحّتها.

فأمّا الّذي ظهرَ واشتهرَ فحربُ عائشة لأمير المؤمنين عليه السلام وكانت تلك منها هفوةً في الإسلام، وقد تداركتْ بالتوبة النصوح، ودخلت في بابه المفتوح.

وما عدا ذلك من الأحوال والأقوال؛ فلا أتحمل العهدة في صحّة ذلك، وأقول فيها، وفي أبيها، ما قال الله سبحانه: **﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ١٩٢-٢٠٠.

(٢) الحشر: ١٠.

نبذةٌ من كلام فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها

وقد وعدنا بشيء من كلام فاطمة عليها السلام ولم يتنفّس لها الأيّام عقيبَ وفاة أبيها صلوات الله عليه، فيكثرُ كلامها وتنشرُ الرواية للعلم عنها، بل تجرعتْ بعده صلوات الله عليه غُصصاً، فأكثرُ ما يُروى عنها ما دارَ بينها وبين أبي بكر، في أمر فَدَك، وقد أسلفنا شيئاً من كلامها في فَدَك وبقي منه ما رأينا إثباته، والعهدةُ فيه على رواية العلاّمة ابن أبي الحديد رحمه الله في شرحه، بأسانيد ذكرها وبيّنها، وطرق كثيرة حتّى قال:

قالوا جميعاً: لّما بلغَ فاطمة عليها السلام إجماعُ أبي بكر على منعها فَدَك؛ لاثتْ خِمارها وأقبلتْ في لُمّة من حفدتها، ونساء قومها، تطأُ في ذُيولها، ما تخرمُ مِشيتها من مِشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى دخلتْ على أبي بكر، وقد حشدَ من المهاجرين والأنصار، فضُرِبَ بينَها وبينَهم رَيْطةٌ بيضاءُ، وقال بعضهم: قِبطيّةٌ، ثمّ أنّتْ أنّةً أجهشَ لها القومُ بِالبكاء، ثُمّ أمهلتْ طويلا حتّى سكنُوا من فَوْرَتهم، ثمّ قالتْ:

«أبتدِئُ بحمدِ مَنْ هو أولى بِالحمد والطولِ والمجدِ، الحمدُ لله على ما أنعمَ، وله الشكرُ على ما ألهمَ»[1]. وذكرتْ خطبةً طويلةً جِدّاً، قالتْ في آخرها: **فـ﴿اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾**[2] **وأطيعوه في ما أمركم به فـ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾**[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢١١.

(٢) آل عمران: ١٠٢.

(٣) فاطر: ٢٨.

واحمدُوا للهِ الّذي بِعظمتهِ ونورِه يَبتَغي مَن في السماواتِ ومَن في الأرض إليه الوسيلةَ، ونحنُ وَسيلتُهُ في خلقه، ونحنُ خاصّتهُ، ومحلُّ قُدسه، ونحنُ حُجّتهُ في غيبة نبيّهِ، ونحنُ ورثةُ أنبيائهِ».

ثمّ قالت: **«أنا فاطمةُ بنتُ مُحمّد صلى الله عليه وآله وسلم أقولُ عَوداً على بَدْىء، وما أقولُ ذلك سَرَفاً ولا شَطَطاً، فاسمَعُوا بِأسماع واعية، وقلوب راعية».**

ثمّ قالت: **﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١]. فإنْ تعزُوهُ تجِدُوهُ أبي دُونَ آبائكم، وأخا ابن عمّي دُونَ رجالكم»[٢].**

وهما رِوايتانِ في هذا الكلام، أحدهما: هذه.

والثانية: رواها أبو العيناء، عن ابن عائشة، قال: فلمّا قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقبلتْ فاطمةُ عليها السلام إلى أبي بكر، في لُمّة من حفدتها..[٣] ـ ثمّ اجتمعت الروايتانِ من هيهنا ـ ونساء قومها، تطأُ ذُيولها، ما تخرمُ مِشيتها من مِشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى دخلتْ على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنِيْطَتْ[٤] دُونها مُلاءةٌ، ثُمّ أنّتْ أنّةً أجهشَ لها القومُ بالبكاء، وارتجَّ المجلسُ، ثمّ أمهلتْ هُنَيْهةً حتّى إذا سَكَنَ نَشيجُ القومُ وهدأتْ فورتُهم، افتتحتْ كلامَها

---

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج١/ ٢١١-٢١٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٤٩.

(٤) نيطت: أي وصلت وعلقت.

بالحمدِ للهِ عزّ وجلّ والثناءِ عليه، والصلاةِ على رسول الله ﷺ ثمّ قالتْ:

«﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1] فإنْ تعزُوهُ تجدُوهُ أبي دُونَ آبائكم، وأخا ابن عمّي دُونَ رجالكم، فبلّغَ الرسالةَ صادِعاً بالنذارَةِ، مائِلا عن سُنن المُشركين، ضارِباً ثَبَجَهُم، يدعو إلى سبيلِ ربّهِ بالحكمةِ والموعِظَةِ الحَسَنَةِ، آخِذاً بأكْظامِ[2] المُشركين، يهشِمُ الأصنام، ويُفلّقُ الهامَ، حتّى انهزَمَ الجمعُ وولّوا الدُّبُرَ، وحتّى تَفَرّى[3] الليلُ عن صُبْحِهِ، وأسفَرَ الحقُّ عن مَحْضِهِ، ونَطَقَ زعيمُ الدينِ، وخَرِسَتْ شقاشِقُ الشياطينِ، وتمّتْ كلمةُ الإخلاصِ.

﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾[4] نُهزةَ الطامِعِ، و مُذْقَةِ الشارِبِ، وقَبْسَةَ العَجْلانِ، ومَوْطَأَ الأقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَرَقَ[5] وتَقتاتُونَ القِدّ، أذِلّةِ خاسِئِينَ، يَتَخَطّفُكُمُ الناسُ مِن حولِكُم، حتّى أنقذَكمُ اللهُ بِرسُولِهِ ﷺ بعدَ اللّتَيا والّتي، وبعدَ أنْ مُنِيَ بُهَمُ الرجال وذُؤبان العرب وفِرَدة أهل الكتاب.

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾[6] أو نَجَمَ قَرْنُ

---

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) الأكظام: جمع كَظَم ـ بالتحريك ـ وهو مخرج النفس من الحلق.

(٣) تفرّى: انشق.

(٤) آل عمران: ١٠٣.

(٥) الطرق: الماء الّذي بالت الإبل فيه وفي الاولى: الريق.

(٦) المائدة: ٦٤.

الشيطانِ أو فَغَرَتْ فاغِرَةٌ قَذَفَ أخاهُ في لَهَواتِها، فلا يَنْكفِئ حتّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، ويُطْفِئَ عادِيَةَ لَهَبِها بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً في ذات الله.

وأنتمْ في رَفاهِيَة فَكِهُون آمِنُون وادِعُون»[١].

«حتّى إذا اختارَ اللهُ لِنبيِّهِ دارَ أنبيائِهِ، ظَهَرَتْ حَسِيكَةُ النِفاق، وشمل جلبابُ الفِتَن، ونَطَقَ جاهِلُ الغاوين، ونَبَغَ خامِلُ الآفِكين، وهَدَرَ فَنِيقُ المُبطلين، فخَطَوا في عَرَصاتِكم.

وأطْلَعَ الشيطانُ رأسَهُ صارِخاً بِكُم، فدَعاكمُ فألْفاكُم لِدَعْوَتِهِ مُستَجِيبينَ، ولِلغِرَّةِ مُلاحِظِين، ثمّ استنهَضَكم فوَجَدَكم خِفافاً، وأحمَشَكُم فألْفَاكُم غِضاباً، فوَسَمْتم غيرَ إبْلَكم، وأوْرَدتُم غيرَ شِرْبكم.

هذا! والعهدُ قريبٌ، والكَلْم رحيبٌ[٢] والجُرْحُ لَمّا يَنْدَمِلُ.

إنّما زَعَمْتُم ذلِكَ خَوْفَ الفِتْنَة ﴿أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[٣]. فهيهاتَ! وأنّى بكم؟ وأنّى تؤفَكُون؟ وكتابُ الله بينَ أيديكم، زواجِرُهُ بَيِّنَةٌ وشَواهِدُهُ لائِحَةٌ وأوامِرُهُ واضِحةٌ. أرَغْبَةً عنهُ تُرِيدُون؟ أمْ لِغيره تحكمُون؟ ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[٤] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٤٩-٢٥٠ وفيه: إلى هُنا انتهى خبر أبي العيناء عن ابن عائشة، وأمّا عروة عن عائشة، فزاد بعد هذا: حتّى....

(٢) رحيب: أي واسع.

(٣) التوبة: ٤٩.

(٤) كهف: ٥٠.

دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١].

ثمّ لم تَلْبَثُوا إلاّ رَيْثما انْ تسكُنَ نَفْرَتُها، (تُسِرُّون حَسْوًا في ارتغاء، ونحنُ نصبرُ منكم على مثل حَزِّ المُدَى)[٢].

وأنتُم الآنَ تزعمون أن لا إرثَ لنا؟ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٣].

يا ابن أبي قحافة! أ تَرِثُ أباك؟ ولا أَرِثُ أبي؟ لقد جئتَ شيئاً فَرِيّاً!

فدونَكَها مَخْطُومةً مرحولةً، تلقاكَ يومَ حَشْرِكَ، فنعمَ الحكمُ اللهُ، والزعيمُ محمّدٌ، والموعِدُ القيامة، وعندَ الساعةِ يَخسرُ المُبطلون!».

ثمّ انكفأت إلى قبر أبيها ﷺ فقالت:

قد كانَ بعدَكَ أنْباءٌ وهَنْبَثَةٌ ... لو كُنْتَ شاهِدَها لَمْ تكثرِ الخُطَبُ

إنّا فَقَدْناكَ فَقْدَ الأرضِ وابِلَها ... واختَلَّ قومُكَ فَاشْهَدْهُمْ ولا تَغِبِ

فَلَيْتَ بَعدَكَ كانَ المَوتُ صادَفَنا ... لَمّا قَضَيْتَ وحالَتْ دُونَكَ الكُتُبُ[٤]

قال المرتضى: أخبرنا أبو عبد الله المرزبانيّ، قال: حدّثني عليّ بن هارون، قال: أخبرني عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر، عن أبيه، قال: ذكرتُ

---

(١) آل عمران: ٨٥.

(٢) ما بين القوسين من المصدر.

(٣) المائدة: ٥٠.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٥١. وقد مضى بتغيير عن ديوان فاطمة الزهراء عليها السلام: ص١. من موسوعة الشعر العربيّ. وانظر لسان العرب (هنبث) والبدأ والتاريخ للمقدسيّ: ٥٦٨.

لأبي الحسين؛ زيد بن عليّ بن الحسين بن عَلِيّ بن أَبِي طالِب عليه السلام كلامَ فاطمةَ عليها السلام عند منع أبي بكر إيّاها فَدَك، نقلتُ له: إنّ هؤلاءِ يزعمُون أنّه مصنوعٌ، وأنّه من كلام أبي العيناء، لأنّ الكلام منسوقُ البلاغة!.

فقال لي: رأيتُ مشايخَ آلِ أبي طالب يروُونَهُ عن آبائهم، ويُعلّمونه أبناءَهم، وقد حدّثني بِهِ أَبِي، عن جدّهِ، يبلغُ بِهِ فاطمةَ عليها السلام على هذه الحكاية.

وقد رواهُ مشايخُ الشيعة وتدارسوُهُ قبل أنْ يولَدَ جدّ أبي العيناء[1].

وقد حدّث الحسينُ بنُ عَلوان، عن عطيّة العَوْفي: أنّه سمعَ عبد الله بن الحسن بن الحسن يذكُرُ عن أبيه هذا الكلام.

ثمّ قال أبو الحسين زيدٌ عليه السلام: وكيفُ تُنكِرونَ هذا من كلام فاطمة عليها السلام وهم يروُون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجبُ من هذا، ويحقّقونه!؟ لولا عداوتهم لَنا أهلَ البيت.

ثمّ ذكر الحديث بطوله على نَسَقِهِ، وزادَ في الأبيات:

ضاقتْ عليَّ بِلادي[2] بعدَما رَحُبَتْ ... وسِيْمَ سِبطاكَ خَسفاً فيهِ لِي نَصَبُ

فليتَ قبلَكَ كانَ الموتُ صادَفَنا ... قَومٌ تَمَنَّوا فَأُعْطُوا كلَّ ما طَلَبُوا

تَجَهَّمَتْنا رِجالٌ واسْتُخُفَّ بِنا ... مُذْ غِبْتَ عَنّا وكُلَّ الإرْثِ قد غَصَبُوا[3]

قال: فما رأينا أكثرَ باكِياً وباكيةً من ذلك اليوم[4].

---

(١) وفي المصدر: وقد حدث.

(٢) في الهامش: ضاقت علينا بلاد.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٥٣.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٥٢-٢٥٣.

قال المرتضى: وقد رُوِيَ هذا الكلام على هذا الوجه من طُرُق مختلفة ووجوه كثيرة، فمَنْ أرادها أَخَذَها من مواضِعها[١].

قلتُ: وقد رواها ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى بطرقها وأسانيدها، وصحّحَ شيئاً وضعّفَ شيئاً.

وروى خطبةَ فاطمة عليها السلام من وجوه كثيرة، وفيها زياداتٌ ورواياتٌ ألفاظُها مُتقاربةٌ، ومعانيها مُتوافقةٌ، وكلماتها مُتناسقةٌ، وفي شيء منها تكرارٌ أوجبَهُ تحقيقُ الرواية[٢].

فمن ذلك قولُها عليها السلام: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[٣]... الآية، إلى قولها: «فإنْ تعزُوهُ تجدُوهُ أبي دُونَ آبائكم وأخا ابن عمّي دُونَ رجالكم[٤] حتّى قالت: ثُمّ أنتم الآنَ تَزْعمُون أنْ لا إرثَ لي؟ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٥] إيهاً معاشِرَ المِلّةَ! أَبْتَزُّ إرثَ أبي؟ آللهُ أمَرَ أنْ تَرِثَ ـ يا ابن أبي قُحافة ـ أباكَ! ولا أرِثَ أبي؟ لقدْ جِئْتَ شيئاً فَرِيّاً! فدُونَكَها مَخطُومَةً مَرْحُولَةً تَلْقاكَ يومَ حشرِكَ، فنعمَ الحَكَمُ اللهُ، والزعيمُ مُحمّدٌ، والموعدُ القيامةُ، وعندَ الساعةِ ﴿يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾[٦] ﴿لِّكُلِّ

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٥٢-٢٥٣.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٤٩-٢٥١.

(٣) التوبة: ١٢٨.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢٥.

(٥) المائدة: ٥٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢١٢.

(٦) الجاثية: ٢٧.

نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[1] و﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[2].

وقد قدّمنا طرفاً من كلامها عليها السلام ـ في الردّ على ابْن العَرَبِيّ ـ: إنّ عليّاً عليه السلام رجع إلى قول أَبِي بَكْر في ما رواه من الحديث في أمر فَدَك.

وأمّا قول ابن العَرَبِيّ: إنّ عائشة أعلم من فاطمة؛ فقد تقدّم من كلامه أن قال: «ليس العلم بكثرة الرواية وإنّما هو يظهر عند الحاجة إليه»... إلى آخر كلامه[3].

فنقول: وكلامك هذا يبطل قولك: «إنّ عائشة أعلم من فاطمة» لأنّ عائشة إنّما ظهرت عنها كثرة الرواية، وقد قلتَ: «ليس العلم بكثرة الرواية، وإنّما هو يظهر عند الحاجة إليه».

فحصل لنا من كلامك هذا أنّ كثرة الرواية لا تدلّ على العلم وسعته، كذلك الحال في فاطمة عليها السلام لأنّها توفيتْ عقيب وفاة أبيها صلوات الله عليه وآله، فلم تطلْ لها المُدّةُ، وتظهرُ من علمها ما يحتاج إليه، وقد عاشتْ عليها السلام بعد أبيها صلوات الله عليه أيّاماً يسيرةً، اختلف في تقديرها الروايات، فبعضهم يقول: ثمانية أشهر، وقيل: ثلاثة أشهر، وقيل: ستّة أشهر، وقيل: سبعين، وقيل: مائة يوم.

ذكر هذه الروايات في الاستيعاب[4] وكلّها جديرةٌ بالقصر والقلّة؛ فلم يكن في مثل هذه المدّة ما يتّسعُ لظهور علم البتول عليها السلام.

---

(١) الأنعام: ٦٧.

(٢) الزمر: ٤٠، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦/ ٢١٢.

(٣) عارضة الأحوذي: ج٩/ ١٤١.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٤.

وقد عرفنا أنّها رضيعة أخلاف التنزيل، وسليلة من هبط عليه جبريل، فجديرٌ بها العلم والحكمة، وأنّها لا تحتاج إلى أحد من الأُمّة.

وكلّ من قال: «إنّ عائشة أعلم منها» محجوجٌ بأمرين:

أحدهما: بما قال ابن العَرَبيّ، فإنّه لم يجعل كثرة الرواية دليلا على العلم، فقد كفانا المؤونة، وأراحنا من طلب الحجّة.

وأمّا ثانياً: فإنّا لو سلّمنا أنّ الدليل على علم عائشة كثرةُ الرواية عنها، فلا دليل على أنّها أكثر علماً من فاطمة عليها السلام لأنّ فاطمة عليها السلام لم يطلْ لها المدّةُ، فيعرف فيها قدرُ علمها، وكثرةُ روايتها، بل كانت المدّة من سبعين يوماً إلى ستّة أشهر على اختلاف الروايات، وفي كلّ هذه المدّة تجرّعتْ من الغُصص ما يسدّ باب الرواية، ويخمدُ نارَ الذكاء والفطنة، فلا طريق إلى تفضيل عائشة بالعلم على فاطمة عليها السلام.

وأمّا وفاتُها عليها السلام

فكانت على ما ذكر من الاختلاف في مولدها، وفي حديثها عليها السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لها:

«إنّ جبريل كان يُعارِضُني بِالقرآنِ كلَّ سنة مرّةً، وإنّه عارَضَني العامَ مرّتينِ، فلا أراهُ إلاّ وقد حَضَرَ أجَلي، وإنّكِ أوّلُ أهل بيتي لُحوقاً بِيَ، ونعمَ السلفُ أباك».

قال: فبكتْ، ثمّ قال: «ألا ترضَينَ أن تكوني سيّدةَ نِساء هذهِ الأُمّةِ». فضحكت.

هذه رواية الاستيعاب[1].

وفي رواية أهل البيت عليهم السلام: أنّه صلى الله عليه وآله لمّا أخبرها بمعارضة جبريل صلوات الله عليه القرآنَ، وقوله: «وما أراه إلاّ قد حضرني أجلي» بكتْ كذلك، فلمّا رأى بُكاها فسارّها بِمحضر عائشة، فقال لها: «إنّكِ أوّلُ أهلي لُحوقاً بِيَ»، فضحكتْ.

فسألَتْها عائشةُ: ما أضحكها؟!

فقالت: «ما كنت لأفشي سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله» حتّى إذا قُبِضَ عليه السلام أخبرَتْها بِما سَرَّهُ إليها من البُشرى بِمَقدمها عليه صلى الله عليه وآله[2].

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٤.

(٢) صحيح مسلم: ج٧/ ١٤٣ باب فضائل فاطمة عليها السلام، العمدة لابن البطريق: ص٤٤٧/ ح٦٩٢-٦٩٣.

وكانتْ وفاتُها عليها السلام ليلةَ الثُلاثاء لثلاث خلونَ من شهر رمضان، سنةَ إحدى عشرةَ، وهيَ بنتُ سبعة وعشرين سنةً[١].

وروى الحاكمُ، عن الصادق: أنّها عليها السلام تُوُفّيَتْ ولها ثمانيةَ عشرةَ سنةً وتسعةُ أشهر. ولمّا تُوُفّيَتْ قالَ عليٌّ عليه السلام:

نَفسيْ على زَفَراتِها محبوسةٌ ... ياليْتَها خرجتْ معَ الزَفَراتِ

لا خيرَ بعدَكِ في الحياةِ وإنّما ... أبكي مَخافَةَ أنْ تطولَ حَياتي[٢]

وفي حديث آخر: ولدتْ قبلَ النُبوّة بخمس سنين، وصلّى عليها العبّاسُ[٣].

واختلف في سنّها وقتَ وفاتها:

فذكر الزبير بن بكّار: أنّ عبدَ الله بن الحسن ابن الحسن عليهما السلام دخلَ على هشام بن عبد الملك، وعنده الكلبيّ، فقال هشام لعبد الله ابن الحسن: يا أبا محمّد، كم بلغتْ فاطمةُ بنت رسول الله صلى الله عليه وآله من السنّ؟.

فقال: ثلاثين سنة.

فقال هشامٌ للكلبيّ: كم بلغتْ من السنّ؟ فقال: خمساً وثلاثين سنة.

فقال هشامْ لعبد الله بن الحسن: اسمع الكلبيّ يقول: ما تسمع، وقد عُنِيَ بهذا الشأن.

فقال عبد الله بن الحسن: سَلِ الكلبيّ عن أُمّه، وسَلْني عن أُمّي.

هذه رواية الاستيعاب[٤].

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٩.

(٢) ديوان أمير المؤمنين عليه السلام: ٩٧. من موسوعة الشعر العربيّ.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٩.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٩.

وفي رواية أهل البيت عليهم السلام: أنّ فاطمة عليها السلام ولدتْ بعد النُبُوّة بِسَنة؛ كما قدّمنا في أوّل ترجمتها.

وقال أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام:

لكلّ اجتماع من خليلينِ فُرْقةٌ وكلُّ الّذي دُونَ الفِراق قليلُ
وإنّ افتقادِي فاطِماً بعدَ أحمَد دليلٌ على أنْ لا يدومَ خليلُ[1]

ولّما توفيتْ رضوان الله عليها، أوصتْ بأنْ لا يحضرها أحدٌ، ولا يشهدَ جنازتَها إلاّ أهلُها عليٌّ عليه السلام والحسنان، والعبّاسُ، والفضلُ بن العبّاس، وخاصّتُهم من الأولياء، ودُفِنَتْ ليلا، ولّما أصبح أبو بكر جاءَ من السُنحْ، فأخبرَ بمقالتها.

وكان الحاضرون لقبرها: العبّاس، وعَلِيّ بن أَبِي طالِب، والفضل بن العبّاس رضي الله عنهم[2].

وفي دفنها ليلا كراهةَ أنْ يحضرَ نعشَها من القوم أحدٌ؛ دليلٌ على الموجدة التي وَجَدَتْها عليهم، والله المستعان.

وكان (حيّ)[3] الوالدُ السيّدُ العلاّمةُ صلاحُ الدين المهديُّ ابن أحمد بن صلاح بن الهادي بن أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ إبراهيم بن تاج الدين قدّس الله روحه ونور ضريحه، يسمعُ كتبَ الحديث على (حيّ) الفقيه العالم المحدّث، شهاب الدين أحمد بن سليمان الأوزريّ رحمه الله تعالى، فعرض في خلال القراءة حديث:

---

(١) ديوان أمير المؤمنين عليه السلام: ٢٩٩. من موسوعة الشعر العربيّ.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٨.

(٣) هذه الكلمة يكتبها علماء اليمن للدلالة على حياة الشخص حين النقل عنه.

«إنّ اللهَ ليغضبُ لِغضبكِ، يا فاطمة»[١] وهو حديث مشهورٌ ـ أحسبهُ في البخاريّ ـ فقال: (حي) الوالد رحمه الله تعالى: هذا حديثٌ صحيحٌ[٢].

قال الفقيه رحمه الله تعالى: نعمْ، فاستمرّ في القراءة حتّى بَلَغَ إلى موت فاطمة عليها السلام وأنّها ماتَتْ وهي غاضبةٌ على أبي بكر (وعمر)[٣].

فقال رحمه الله تعالى، لشيخه المذكور: هذا صحيحٌ؟ أعني موت فاطمة وهي غاضبةٌ على أبي بكر؟

فقال: نعمْ.

فقال: كيف التلفيقُ بينَ غَضَبِها على أبي بكر، وبين «إنّ اللهَ لَيَغضبُ لِغَضَبكِ، يا فاطمةُ»؟

فاستحرّ الجدالُ بينَهما حتّى أدّى إلى ترك القراءةِ في تلك الحال، وقامَ (حيّ) الوالد رحمه الله تعالى غاضِباً مُنافراً حتّى استرضاهُ شيخُه، وأزالَ ما في نفسه.

والحديثُ يجرُّ بعضُه بعضاً.

وفي الرواية ـ أحسبُها عن القاسم عليه السلام ـ: أنّه سُئِلَ عن أبي بكر؟

فقال: لَنا أُمٌّ صِدّيقةٌ بنتُ صِدّيق، ماتَتْ وهيَ غاضبةٌ عليه، فنحنُ غاضبونَ لِغَضَبِها.

وكان (حي) سيّدي ووالدي عليّ ابن المرتضى رحمه الله تعالى يرى هذا الرأي ويبالغُ فيه، وينكرُ على مَنْ يذهبُ إلى خلافه.

وأقولُ ـ وبالله التوفيق ـ: قد سبق من آبائنا عليهم السلام من تلا ـ وقد سُئِلَ عنهم ـ

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٤/ ١٨٩٨.

(٢) صحيح البخاري: ج٣/ ٣٦١/ ح٣٥١٠، كنز العمال: ج١٢/ ١١١/ ح٣٤٢٣٧.

(٣) ما بين القوسين من الأولى.

قولَ الله تعالى: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[1]: استعملنا اللهُ لِطاعته، وأدخلَنا بِفَضله في سعةِ رحمته، وتداركَنا بِلُطفه، وتَجاوز عَنّا بِطَوله، ومَنّ علينا بِمَغفرته! إنّه لا يرتجى إلاّ فضلُه ولا يُخشى إلاّ بطشُهُ، تباركَ أنْ يُوصف إلاّ بالإحسان، وتنزّهَ أنْ يُخافَ منه إلاّ العدلُ ﴿**رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾[2].

---

(١) البقرة: ١٣٤.

(٢) الكهف: ١٠.

خاتمة الكتاب

قال مؤلّف هذا الكتاب:

ما كان تأليفي له إلاّ حميّةً على أَمِير المُؤْمِنِيْنَ، وسيّد الوصيّين، وقائد الغُرّ المُحجّلين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، جمّ الفضائل والمناقب، قُصارى بغية الطالب أبي الحسن؛ عَلِيّ بن أَبِي طالِب عليه السلام.

حين فضّل عليه ابْن العَرَبِيّ أبا بكر: في علمه، وفضله، وزهده، وسخائه، وشجاعته، وتدبيره، وغير ذلك من المنازل الّتي ذكرها[1].

وعرفتَ أنّ ذلك منهُ كان غَمْصاً لِمَنْ فضّلهُ اللهُ ورسولُه، وحميّةً منه على مذهبه.

وخشيتُ أن يراهُ مَن يتوهّمُ صدقَهُ في وَقِيْعَتِهِ، وينخدعَ بسراب قِيْعَتِهِ، فيحسبُ ضبابَهِ سُحاً، وسَرابَه شراباً، وخزفَهُ ذهباً، وتمويهَهُ مَذْهباً، وزُورَهُ صِدقاً، وباطلَهُ حَقّاً، وحَيْفَهُ عَدْلا، وجَورَهُ فَصْلا، وفُضُولَهُ فَضْلا، فيجترّهُ بزمام غوايَتِهِ، ويَشْتَرِي الضلالةَ بهدايَتِهِ، ويبتاعَ الجهالةَ بِدِرايَتِهِ، ويظنَّ بجهلهِ أنّهُ هداهُ، ولا يعلمَ بحقيقةِ علمهِ أنّه أرداهُ، وإنّما يُؤتى الناسُ من العُلماء.

---

(١) أقول: قد تواتر عنه عليه السلام نحو قوله: «ما زلت مظلوماً منذ قبض الله رسوله حتّى يوم الناس هذا»: الخطبة رقم ١٧٣، وراجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩/ ٣٠٥-٣٠٦.

فاحكم أنت أيّها القارئ المنصف، وهذا التاريخ أمامك، فكم من ظالم لِحَقّ أَمِير المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام قد حَكَمَ وظَلَمَ؟؟ وكم من مدافع للحق قد قُتِلَ وشُرِّدَ وظُلِمَ؟

وها هم إخواننا الحُوثيّون يُحارَبُون في اليمن من أجل عقيدتهم!؟ ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾.

وقد قال ﷺ: «قَطَعَ ظَهري اثنانِ: جاهِلٌ يُغِرُّ الناسَ بِنُسْكِهِ، وعالمٌ مُنْهَمِكٌ في فِسقِهِ»(١).

وإنّما كانَ ضلالُ أكثر هذهِ الأمّةِ لِتقليدِ عُلماء السُوء، الّذين جَحَدُوا فضل الذُرّيّةِ ومالُوا بِأتْباعِهِم غيرَ مذهبِ العِترةِ الزَكِيّةِ، وعَدَلُوا بِهِم عن البَحْرِ الزَخّار إلى ركِيّةِ، وأوقعوهم في المهاوي السحيقة، وصرفُوهم عن الأخذ في فهمهم بالحقيقة، والاعتصام بالعُروة الوثيقة، فنجدُهم مصرّعينِ بسيوف تقليدِ الأسلاف، مُرضعين دُعاف أحلافِ الخلاف.

فرايتُ أنْ أُزيلَ من كلام ابْن العَرَبِيّ تمويهَهُ، وأُميطَ من شُبَهِهِ تشبيهَهُ؛ ليقفَ حيثُ وقفهُ دليلُ التفضيل خاسِئاً، ويذوقَ وبالَ أمرِهِ، ويتحسّاهُ إن كان لابُدّ حاسِياً.

والكلامُ هذا موجّهٌ إلى من اعتقدَ عقيدتَهُ، وأوضعَ إلى ما أوضعَ من المحالّ مطيّتهُ.

ولَسنا بحمد الله نسرفُ في التفضيل، ولا نتعدّى ما وَرَدَ بِهِ الدليلُ، ولا نجهلُ ما للصحابَةِ من الفضلِ المشهورِ، والعملِ المبرورِ، والجِهادِ المرضِيِّ، والطريقِ النَبويّ.

بل نُوقفُ كلَّ أحد في دَرَجَتِهِ، ولا نَتجاوَزُ بِهِ فوقَ رُتبتهِ، ونقولُ: لِكُلٍّ منهم فضلٌ، ولأبي الحسن «وخيرُ الأُمُورِ أوسطُها» والتوسّطُ فيهم هُو القولُ الحَسَن.

فنحنُ لِحَقّهم راعُون، ولِفَضلهم مُراعُون، ولتفضيل أمِير المُؤمِنِيْنَ ﷺ مُظْهِرُون، ولِهذا القول بالكتابِ والسُنّة مُنتصِرون، ولِكلام ابْن العَرَبِيّ ناقِضُون، ولِثوابِ اللهِ على ذلك متعرّضُون.

والحمدُ لله رَبّ العالَمينَ

وسلامٌ على عباده الّذين اصطفى

ولا حولَ ولا قُوّةَ إلاّ باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ

---

(١) بحار الأنوار: ج١/ ٢٠٨/ ح٨.

نهايات النسخ

❖ كان في نهاية النسخة الأولى: «وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، فرغَ من تحريرِهِ ـ بِحمدِ اللهِ تعالى وتيسيرِهِ وإعانَتِهِ ـ عصرَ يوم الأحد٢٣ شهر رمضان الكريم سنة ١٠٦٣هـ».

❖ وفي نهاية النسخة الثانية: «وافقَ الفراغُ من رَقْمِ هذا الكتابِ المُبارَكِ ليلةَ الأربعاء خامس وعشرين شهر ربيع الآخِرِ سنةَ خمس وستّين وألف من الهجرة النَبويّة على صاحبها أفضلُ الصلاة والسلام، والحمدُ لله حقّ حَمْدِهِ وصلواتُهُ على محمّد وآله خير خلقه».

يقول المراجع لهذه النسخة المحقّقة:

قد كان ليَ شرفُ الإشرافِ على هذا التحقيق، بالضبطِ والتصحيحِ والمُقابلةِ بِكلْتَي نُسختَيهِ، وتمّ العمل بِمعونة فضيلة الأخ العزيزالشيخ محمّد الإسلاميّ اليزديّ الحائري حفظه الله ورعاه وآتاه مناه.

فللهِ الشكرُ على توفيقهِ لِذلكَ، ولحمدهُ حمداً كثيراً، ونصلّي على سيّدنا رسول الله وعلى الأئمّة من آله الطاهرين ونسلّم تسليماً.

حُرّرَفي الثامن عشر من شهر شعبان المعظّم سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة، في مدينة قُمّ المقدّسة صانَها الله من الآفات.

وكَتَبَ السيّد محمّد رضا الحسينيّ الجلاليّ
كَانَ اللهُ لَهُ

المصادر والمراجع

١. الإحكام في أُصول الأحكام: للحافظ أبي محمّد علي بن حزم الأندلسي الظاهري، دار الجيل ـ بيروت.

٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد بن عبدالبرّ، تحقيق علي محمّد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة.

٣. أُسد الغابة في معرفة الصحابة: لعزّالدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمّد الجزري (ت: ٦٣٠هـ) تصحيح الشيخ عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

٤. الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) تحقيق علي محمّد البجاوي، دارالجيل، بيروت الطبعة الأُولى (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

٥. أعلام المؤلّفين الزيديّة: للسيّد عبدالسلام عبّاس الوجيه، مؤسّسة الإمام زيد بن علي عليه السلام الثقافية، عمّان، الأُردن (١٤٢٠هـ).

٦. الإفادة في تاريخ الأئمّة السادة، للسيّد أبي طالب يحيى بن حسين الهارونيّ (ت: ٤٢٤هـ) تحقيق محمّد كاظم رحمتي، نشر ميراث مكتوب ـ طهران.

٧. أنساب الأشراف: للإمام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت: ٢٧٩هـ) حقّقه الدكتور سهيل زكار ورياض زركل، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأُولى (١٤١٧هـ).

٨. البروج في أسماء أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام : للعلاّمة السيّد الهادي بن إبراهيم بن علي الوزير، تحقيق الشيخ محمّد الإسلامي اليزدي، منشورات جامعة الأديان والمذاهب، الطبعة الأُولى (١٤٢٩هـ/ ١٣٨٧ شمسى) قُمّ، إيران.

٩. بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ نور الدين علي بن أَبِي بَكْر الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ) تحقيق عبدالله محمّد الدرويش، دار الفكر للطباعة والنشر (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤ م) بيروت.

١٠. تاريخ الأُمم والملوك: لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ) تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.

١١. نهاية التنويه في إزهاق التمويه: للسيّد الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (ت: ٨٢٢هـ) تحقيق أحمد بن درهم بن عبد الله حوريّة وإبراهيم بن مجد الدين بن محمّد المؤيّدي، منشورات مركز أهل البيت عليهم السلام للدراسات الإسلاميّة، اليمن - صعدة ١٣٢١هـ.

١٢. تنبيه الغافلين في فضائل الطالبيين: للإمام الحاكم أبي سعد المحسن بن كرامة البيهقي الجشمي، تحقيق إبراهيم يحيى الدرسي، منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، اليمن، صعدة.

١٣. جامع الأُصول من أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله: للإمام أبي السعادات مبارك بن محمّد بن الأثير الجزري (٥٤٤-٦٠٦هـ) حقّقه محمّد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة (١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م).

١٤. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ) دار إحياء التراث العربي، طبعة سنة ١٩٦٦م.

١٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الإصفهاني (ت: ٤٣٠هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٦. خصائص أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ عَلِيّ بن أَبِي طالِب عليه السلام: للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد أحمد بن شعيب النسائي (٢١٥-٣٠٣هـ) تحقيق محمّد كاظم المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة، قُمّ، إيران، الطبعة الأُولى ١٤١٩هـ.

١٧. الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور: للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) دار الفكر، الطبعة الأُولى (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) بيروت.

١٨. زهر الأكم في الأمثال والحكم، لليوسي، تحقيق محمّد حاجي ود. محمّد الأخضر ـ الدار البيضاء ١٤٠١هـ.

١٩. السنن الكبرى: للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت:٤٥٨هـ) إعداد الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة، بيروت.

٢٠. السيرة النبوية: لابن هشام، حقّقها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢١. الشافي: للإمام المنصور بالله أبي محمّد، منشورات مكتبة اليمن الكبرى بصنعاء، اليمن، الطبعة الأُولى (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) طبع مؤسّسة الأعلمي، بيروت.

٢٢. شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٢٣. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ـ في الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام ـ: للحافظ عبيد الله بن عبد الله بن أحمد ـ المعروف بالحاكم الحسكاني ـ الحنفي النيسابوري، من أعلام القرن الخامس الهجري، تحقيق الشيخ محمّد باقر المحمودي، منشورات الأعلمي، بيروت، الطبعة الأُولى (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م).

٢٤. صحيح البخاري: للإمام أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق الدكتور مصطفى ديب، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، اليمامة، الطبعة الخامسة (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٢٥. صحيح الترمذي ـ الجامع الصحيح ـ: لأبي عيسى محمّد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ـ٢٩٧هـ) تحقيق إبراهيم عطوه عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٦. صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ) تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ/١٩٧٨م).

٢٧. الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم: للعلاّمة الشيخ زين الدين أبي محمّد علي ابن يونس العاملي النباطي البياضي (ت:٨٧٧هـ) تحقيق محمّد باقر البهبودي، الطبعة الأُولى (١٣٨٤هـ) المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

٢٨. عارضة الأحوذي ـ شرح صحيح الترمذي ـ: لابن العربي محمّد بن عبدالله المالكي (٤٦٨ـ٥٤٣ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٩. عمدة عيون صحاح الأخبار: للحافظ ابن البطْرِيق، شمس الدين، يحيى بن الحسن بن الحسين الأسديّ الرَبْعيّ الحلّيّ (٥٢٣ ـ٦٠٠هـ) تحقيق مالك المحمودي وإبراهيم البهادري، قُمّ، إيران.

٣٠. فرائد السمطين: لإبراهيم بن محمّد الجوينيّ (٦٤٤ـ٧٣٠ هـ) تحقيق الشيخ محمّد باقر المحمودي ـ مؤسّسة المحمودي ـ بيروت.

٣١. الفردوس: للحافظ شيرويه ابن شهردار الديلميّ (ت: ٥٠٩هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، طبع سنة (١٤٠٦هـ).

٣٢. فضائل الصحابة: للإمام أبي عبد الله، أحمد ابن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) حقّقه وصي الله بن محمّد عبّاس، مؤسّسة الرسالة، جامعة أُمّ القرى، مكّة المكرّمة، الطبعة الأُولى (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

٣٣. الكشف والبيان في تفسير القرآن: للإمام أبو إسحاق الثعلبي، تحقيق محمّد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٣٤. كفاية الطالب في مناقب عَلِيّ بن أَبِي طالِبﷺ: للإمام الحافظ أبي عبد الله، محمّد بن يوسف بن محمّد القرشي الكنجي الشافعي (الشهيد ٦٥٨هـ) تحقيق محمّد هادي الأميني، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الثانية (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

٣٥. كنز العمّال في سنين الأقوال والأفعال: للعلاّمة علاء الدين المتّقي بن حسام الدين الهندي (ت: ٩٧٥هـ) مؤسّسة الرسالة، بيروت، طبع سنة (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

٣٦. لقط اللآلي المتناثرة في الأحاديث المتواترة: للإمام أبي الفيض محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي ـ صاحب تاج العروس ـ، تحقيق محمّد عبدالقادر عطا.

٣٧. محاسن الأزهار في مناقب إمام الأبرار ووالد الأئمّة الأطهار الإمام َمِير الْمُؤْمِنِيْنَ عَلِيّ بن أَبِي طالِبﷺ: لأبي عبدالله حُميد بن أحمد المَحِلّيّ (المستشهد سنة ٦٥٢هـ) تحقيق الشيخ محمّد باقر المحمودي، طبع مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قُمّ، إيران.

٣٨. المحصول في علم أُصول الفقه: للإمام فخر الدين محمّد بن عمر بن الحسين الرازي (٥٤٤ - ٦٠٦هـ) تحقيق الدكتور طه جابر فياض العلواني مؤسّسة الرسالة، بيروت، سنة (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٣٩. المراتب في فضائل أَمِير المُؤْمِنِيْنَ وسيّد الوصيّين عَلِيّ بن أَبِي طالِب صلوات الله عليه: لأبي القاسم إسماعيل البستي المعتزلي المتوفّى حدود ٤٢٠هـ، تحقيق محمّد رضا الأنصاري، المطبوع ضمن ميراث حديث شيعه ـ دفتر ٦ ـ، قُمّ، إيران.

٤٠. المسند: للإمام أحمد ابن حنبل، تحقيق صدقي محمّد جميل العطار، طبع دار الفكر، الطبعة الثانية (١٤١٤هـ/١٩٩٤م) والطبع الحجري الميمنيّة، مصر ١٣١٣هـ.

٤١. مناقب آل أبي طالب: لأبي جعفر محمّد بن علي بن شهرآشوب السرويّ المازندرانيّ (ت: ٥٨٨هـ) تحقيق الدكتور يوسف البقاعي، الطبعة الثانية (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) دار الأضواء.

٤٢. مناقب ابن المغازلي: للحافظ الخطيب أبي الحسن علي بن محمّد بن محمّد الواسطي الجلابي الشافعي الشهير بـ«ابن المغازلي» (ت: ٤٨٣هـ) المكتبة الإسلامية، طهران، سنة ١٤٠٣هـ.

٤٣. المناقب للخوارزمي: للحافظ أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد بن محمّد البكري المكّي الحنفي ـ المعروف بـ«أخطب خوارزم»ـ (٤٨٤ـ٥٦٨هـ) تقديم العلاّمة محمّد رضا الموسوي الخراساني، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٩م).

٤٤. مناقب فاطمة الزهراءﷺ (المطبوع باسم فضائل الزهراء) للحاكم النيسابوري المتوفّى سنة ٤٠٥هـ، تحقيق علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، طبع دار الفرقان ـ القاهرة ١٤٢٩هـ.

٤٥. موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، إعداد أبو هاجر محمّد السعيد بن بسيوني زعلول، عالم التراث، بيروت، سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

٤٦. موسوعة الشعر العربيّ. برنامج حاسوبيّ، بإشراف ياسر سعيد حارب الإصدار الأوّل.

٤٧. النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمّد الجزري ابن الأثير (٥٤٤ـ٦٠٦هـ) تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود محمّد الطناحي.

٤٨. نهج البلاغة: وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمّد الرضي ابن الحسن الموسوي من كلام أَمِير الْمُؤْمِنِيْنَ أبي الحسن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وضع فهارسه الدكتور صبحي الصالح، الطبعة الأولى، بيروت (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).

الفهرست



موقع العتبة العلوية المقدسة : www.imamali-a.com

رقم الاصدار (١)